حكايات السيدة ملعقة

ألْف پرويْسن

ترجمة: بثينة الإبراهيم

مكتبة 1250

منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING

الى الغالية ..

التي أهدتني ..

أول كتاب في حياتي

وجعلتني

أعشق رائحة الكتب ..

مكتبة | 1250

حكايات

السيدة ملعقة

الكاتب: آلف برويسن
عنوان الكتاب: حكايات السيدة ملعقة
ترجمة وتقديم: بثينة الإبراهيم

العنوان باللغة الأصلية: Mrs. Pepperpot Stories
الكاتب: Alf Proysen

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9921-775-25-9
الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2022
5000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 40 04 81 98 965 +
بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 60 58 00 11 78 964 +
takween.publishing@gmail.com
takweenkw
takween_publishing
TakweenPH
www.takweenkw.com

بغداد - العراق/ شارع المتنبي، عمارة الكاهجي
تلفون: 07810001005 / 07830070045
daralrafidain@yahoo.com
Dar alrafidain
info@daralrafidain.com
Dar.alrafidain
www.daralrafidain.com
Dar alrafidain

ألْف پروِيْسن

مكتبة | 1250

حكايات السيدة ملعقة

قصص

ترجمتها عن الإنجليزية

بثينة الإبراهيم

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
مرايا
دار الرافدين

(١)

العجوز القصيرة السيدة ملعقة

مكتبة
t.me/soramnqraa

كان يا ما كان، كانت سيدة عجوز تخلد إلى الفراش ليلًا كما تفعل العجائز عادة، وتستيقظ صباحًا كما تفعل العجائز عادة. لكنها ذلك الصباح، استيقظت لتجد نفسها صغيرة بحجم ملعقة شاي، وهذا شيء لا تفعله العجائز عادة. أما الغريب في الأمر فإن اسمها كان حقًّا السيدة ملعقة.

«حسن، ما دمت قد غدوت بحجم ملعقة الشاي، فلا بد لي أن أُحسِن استغلال هذا»، قالت لنفسها، فلم يكن عندها أحد تحادثه؛ إذ خرج زوجها إلى الحقول، وكل أبنائها كبروا وسافروا.

كان عندها الكثير من الأعمال ذلك اليوم. عليها أولًا أن تنظف البيت، ثم لديها الغسيل المنقوع بانتظار الانتهاء منه، وعليها أخيرًا أن تُعِد الفطائر المحلاة من أجل العشاء.

«عليَّ النهوض من الفراش بأية صورة»، قالت في نفسها، ثم تشبثت بطرف اللحاف، ولفَّت نفسها به، وتدحرجت وتدحرجت

حتى غدا اللحاف شبيهًا بقطعة نقانق ضخمة، وسقط على الأرض بهدوء. زحفت السيدة ملعقة خارجة منه ولم تؤذِ نفسها.

كان العمل الأول تنظيف البيت، غير أن هذا سهل تمامًا؛ فقد اكتفت بالجلوس أمام جحر الفأر وصاءت حتى خرج إليها.

«نظف البيت من عاليه إلى سافله»، قالت، «وإلا وشيت بك إلى القطة». فنظف الفأر البيت من أعلاه إلى أسفله.

نادت السيدة ملعقة القطة: «بس! بس! العقي الصحون والأطباق وإلا وشيت بك إلى الكلب»، فلعقت القطة كل الصحون والأطباق ونظفتها.

ثم نادت العجوز الكلب. «اسمع أيها الكلب، رتب الفراش وافتح النافذة وسأكافئك بالعظام». ففعل الكلب ما أُمر، ولما فرغ جلس على عتبة الباب الأمامي ومرَّر عليها ذيله حتى غدت لامعة كالمرآة.

«عليك الحصول على عظامك بنفسك»، قالت السيدة ملعقة، «ليس عندي وقت لخدمتكم يا قوم»، وأشارت إلى أسكفة النافذة حيث يوجد عظم كبير.

وأرادت البدء بالغسيل. كان عليها أن تشطفه في الغدير، لكن الغدير شبه جاف، فجلست وأخذت تهمهم شاكية:

«لقد عشت عمرًا طويلًا، لكني لم أرَ طوال حياتي غديرًا جافًّا كهذا. إن لم يهطل المطر قريبًا، فأظن الجميع سيموتون عطشًا».

وكررت قولها المرة بعد المرة، وهي تنظر إلي السماء طيلة الوقت. في نهاية الأمر حنقت غيمة المطر في السماء وعزمت على إغراق المرأة العجوز. لكنها احتمت بزهرة تاج الملوك، حيث لبثت مستكنَّة ودافئة، والمطر ينسكب ويشطف ثيابها في الغدير.

أخذت العجوز تتذمر ثانية: «عشت عمرًا طويلًا، ولكني في حياتي كلها لم أرَ ريحًا جنوبية واهنة مثل التي هبت علينا في الآونة الأخيرة. أنا واثقة بأن ريح الجنوب لو هبت الآن لما استطاعت رفعي عن الأرض، مع أن حجمي لا يفوق حجم ملعقة الشاي».

سمعت ريح الجنوب هذا وسرعان ما جاءت تنهب الأرض، لكن السيدة ملعقة اختبأت في جحر غُرير(١)، ومن مخبئها راقبت ريح الجنوب ترفع كل الثياب على حبل الغسيل.

ثم أخذت تتذمر مرة أخرى: «عشت عمرًا طويلًا، لكني طوال أيامي لم أرَ الشمس تمنح قليلًا من الحرارة في منتصف الصيف. يخيل إلي أنها فقدت كل قواها، وهذه حقيقة».

سمعت الشمس هذا واستحالت قرمزية من الغضب، وأرسلت أشعة قوية لتسبب للمرأة العجوز ضربة شمس. لكنها كانت في بيتها آمنة عندئذ، تبحر في المغسلة في صحن فنجان. أثناء ذلك جففت الشمس الحانقة كل الثياب على الحبل.

---

(١) ينتمي إلى فصيلة ابن عرس. وله غُدَد يطلق منها رائحة كريهة كلّما استشعر أذىً أو انزعاجًا.

«والآن حان وقت إعداد العشاء»، قالت السيدة ملعقة، «سيعود زوجي في غضون ساعة. لا بد أن تكون ثلاثون فطيرة محلاة جاهزةً على المائدة، بأية وسيلة».

كانت قد أعدت عجينة الفطائر المحلاة في وعاء يوم أمس. وجلست قرب الوعاء وقالت: «كنتَ دومًا أثيرًا عندي أيها الوعاء، وقد أخبرت كل الجارات أنك لا مثيل لك في أي مكان. وأنا واثقة، بأنك لو شئتَ لمشيتَ نحو موقد الطبخ وأشعلته».

فمضى الوعاء نحو الموقد وأشعله.

ثم قالت السيدة ملعقة: «لن أنسى ما حييت اليوم الذي ابتعت فيه مقلاتي. كان في المتجر الكثير من المقالي، لكني قلت: «إن لم أتمكن من ابتياع المقلاة المُعَلَّقة فوق رأس البائع، فلن أشتري أية مقلاة. فهي أفضل مقلاة في العالم بأكمله. وأنا واثقة أن هذه المقلاة ستقفز إلى الموقد إن وقعتُ في مأزق يومًا ما»».

وعندئذ قفزت المقلاة إلى الموقد، ولمَّا صارت حرارتها مناسبة، مال الوعاء ليُجري العجين في المقلاة.

فقالت المرأة العجوز: «قرأت مرة حكاية خرافية عن مقلاة بوسعها التدحرج على الطريق. كانت أغبى حكاية قرأتها، لكني واثقة بأن الفطائر المحلاة في المقلاة ستتشقلب في الهواء بسهولة إن أرادت ذلك».

عندئذ قفزت الفطيرة المحلاة قفزة عظيمة لشعورها بالزهو

الكبير، وتشقلبت كما قالت السيدة ملعقة. ليست فطيرة واحدة فحسب، بل كل الفطائر فعلت ذلك، وواصل الوعاء ميلانه، والمقلاة في قليها حتى شارفت الساعة على الانقضاء، وكانت المحصلة ثلاثين فطيرة محلاة في الطبق.

عاد السيد ملعقة إلى البيت، وأثناء فتحه الباب عادت السيدة ملعقة إلى حجمها المعتاد، فجلسا وتناولا عشاءهما.

لم تقل العجوز شيئًا عن تحولها صغيرةً بحجم ملعقة الشاي، لأن العجائز لا يتحدثن عادة عن أشياء كهذه.

(٢)

السيدة ملعقة والدمية الآلية

حدث هذا قبل عيد الميلاد بيومين. غنت السيدة ملعقة وترنمت وهي تجري في أنحاء مطبخها، إذ كانت سعيدة جدًّا لأنها أنهت كل استعدادات العيد. فقد ذُبح الخنزير، وأُعدت النقانق، وكل ما تعيّن عليها فعله أن تعد لنفسها كوبًا من القهوة وتجلس لترتاح قليلًا.

«يا لروعة أيام العيد»، قالت، «الكل سعيد -وبخاصة الأطفال- ورؤيتهم معافين سعداء أجمل الأشياء».

كانت العجوز كالطفلة بفضل مَلَكتها في الانكماش إلى حجم ملعقة الشاي.

جالت كل هذه الأمور في ذهنها وهي تعد قهوتها، وصبتها في الفنجان فسمعت طرِق الباب.

«ادخل»، قالت، فدخلت بنت صغيرة كانت... أوه! شديدة النحول والشحوب.

«يا للطفلة المسكينة! أين تسكنين؟ لأني واثقة بأني لم أركِ من قبل»، قالت السيدة ملعقة.

«أنا هانا. وأعيش في الكوخ الصغير في طرف الغابة»، قالت الطفلة، «وها أنا أمر على كل البيوت لأسأل إن كان أحد عنده زينة عيد قديمة من بقايا السنة الماضية؛ زينة براقة أو سلاسل ورقية أو كرات زجاجية أو أي شيء، كما تعرفين. ألديك شيء لا تحتاجينه؟».

«أظن ذلك يا هانا»، أجابت السيدة ملعقة، وصعدت إلى العِلية لتجلب صندوقًا من الورق المقوَّى فيه كل الزينة، وأعطته للفتاة الصغيرة.

«يا للروعة! هل أستطيع أخذها كلها حقًّا؟».

«أجل»، قالت السيدة ملعقة، «وستحصلين على شيء آخر أيضًا. سأجلب لك غدًا دمية كبيرة».

«لا أصدق ذلك»، قالت هانا.

«ولم لا؟».

«ليس عندك دمية».

«هذا سهل. سأشتري واحدة»، قالت السيدة ملعقة. «سأحضرها بعد ظهر غدٍ، ولكني يجب أن أعود إلى البيت بحلول السادسة لأنها عشية العيد».

«إن استطعت القدوم بعد ظهر غدٍ فسيكون هذا رائعًا، لأني

سأكون وحدي. يذهب أمي وأبي إلى العمل، ولا يعودان حتى تقرع أجراس الكنيسة».

وعادت الفتاة الصغيرة إلى بيتها، ومضت السيدة ملعقة نحو متجر الألعاب واشترت دمية كبيرة. ولكنها حين استيقظت الصباح التالي وجدت نفسها، مرة أخرى، لا تزيد على حجم ملعقة الشاي.

«هذا مزعج!»، قالت لنفسها. «في هذا اليوم دون كل الأيام، حين يتعين عليَّ أخذ اللعبة إلى هانا. لا بأس! أحسبني سأتدبر أمري».

ولبست ثيابها وحاولت رفع الدمية، لكنها ثقيلة جدًّا عليها.

«سيكون عليَّ الذهاب من دونها»، قالت في نفسها، وفتحت الباب وانطلقت.

ولكن يا إلهي! لقد أثلجت بغزارة طوال الليل، وسرعان ما غاصت العجوز في ركام الثلوج. كانت القطة تجلس أمام البيت، ولمَّا رأت شيئًا يتحرك في الثلج ظنته فأرًا ووثبت عليه.

«توقفي يا هذه!»، صرخت السيدة ملعقة. «أبعدي مخالبك عني! ألا تريْن أنني انكمشت ثانية؟».

«أستميحك عذرًا»، قالت القطة، وأخذت تبتعد.

«انتظري لحظة»، قالت السيدة ملعقة، «لتكفِّري عن خطئك يمكنك إيصالي إلى الشارع الرئيس». لم تمانع القطة، بل انبطحت وسمحت للعجوز أن تصعد إلى ظهرها. توقفت القطة عند وصولهما الشارع الرئيس، فسألتها السيدة ملعقة «أتسمعين شيئًا؟».

«أجل، أظنه جاروف الثلج»، قالت القطة، «لذا علينا أن نبتعد عن طريقه، وإلا دُفِنّا تحت الثلج».

«لا أريد الابتعاد عن طريقه»، قالت السيدة ملعقة، وجلست وسط الطريق وانتظرت إلى أن أصبح جاروف الثلج أمامها تمامًا، فقفزت وحطَّت مباشرة على الحافة الأمامية للجاروف.

وجلست هناك، تتشبث حفاظًا على حياتها الغالية، وتستمتع بوقتها كثيرًا. «انظري إليَّ! المرأة العجوز الضئيلة تقود جاروف الثلج!»، وضحكت.

كاد جاروف الثلج يصل باب كوخ هانا الصغير، فصعدت السيدة ملعقة إلى طرفه القريب من جانب الطريق، وقبل أن يرتد إليك طرفك حطت سالمة على التلة الثلجية الكبيرة التي كوَّمها جاروف الثلج. ومن هناك مشت على سياج كوخ هانا ونزلت إلى الجانب الآخر. كانت تنفض عن ثيابها الثلج على عتبة الباب حين خرجت هانا ورفعتها.

«أأنتِ إحدى الدمى الآلية التي تدار بزنبرك؟»، سألت هانا.

«كلا»، قالت السيدة ملعقة، «بل أنا امرأة أحرك نفسي، شكرًا جزيلًا لكِ. ساعديني لأنفض الثلج عني ثم لندخل».

«أأنتِ العجوز التي تنكمش إلى حجم ملعقة الشاي؟».

«أنا هي قطعًا أيتها السخيفة».

«وأين الدمية التي كنت ستجلبينها لي؟»، سألت هانا عندما دخلتا.

«عندي في البيت. عليك العودة معي لأخذها، فهي ثقيلة جدًّا عليَّ».

«ألا تريدين أن تأكلي شيئًا، وقد أتيتِ لرؤيتي؟ أترغبين ببسكويتة؟»، ومدت الفتاة الصغيرة بسكويتة لها شكل الحلقة.

«شكرًا جزيلًا لك»، قالت السيدة ملعقة وأقحمت رأسها في حلقة البسكويت.

آه كم ضحكت الفتاة الصغيرة! «لقد نسيت تمامًا أنك صغيرة جدًّا»، قالت، «دعيني أكسرها لك كِسرًا صغيرة فتستطعين أكلها». ثم أخذت كشتبانًا وملأته بعصير الفاكهة. «اشربي»، قالت.

«شكرًا لكِ»، قالت السيدة ملعقة.

ولعبتا عددًا من الألعاب الحلوة، من مثل لعبة اركب حصانًا خشبيًّا[1] والسيدة ملعقة تجلس على ركبتي هانا، أو لعبة الغميضة. وصعب على الفتاة الصغيرة أن تعثر على السيدة ملعقة، إذِ اختبأت في أماكنَ بالغة الغرابة. ولما فرغتا من لعبهما لبست هانا معطفها ووضعت السيدة ملعقة في جيبها وانطلقت لتجلب الدمية الجميلة الكبيرة.

«أوه، شكرًا لك!»، قالت حين رأتها. «لكن أتعرفين؟»، أردفت، «أفضِّل أن ألعب معكِ طوال الوقت».

(١) أغنية من أغاني الأطفال تقول: اِركبْ حصانًا خشبيًّا إلى تقاطع بانبري/ لترى سيدة أنيقة على حصان أبيض/ في أصابعها خواتم وفي قدميها أجراس/ وسترافقها الموسيقى أينما ذهبتْ. تُغنى والطفل يجلس على ركبتي البالغ.

«بوسعك القدوم ورؤيتي ثانية إن شئتِ»، قالت السيدة ملعقة، «فأنا صغيرة بحجم ملعقة الشاي معظم وقتي، ثم إن الحصول على شيء من المساعدة في عمل البيت أمر جميل، وبوسعنا اللعب أيضًا».

وهكذا أصبحت الفتاة الصغيرة تقضي جُلَّ وقتها مع السيدة ملعقة. لقد بدت بحال أفضل، وكثيرًا ما تحدثتا عن اليوم الذي جاءت فيه السيدة ملعقة على جاروف الثلج، وعن الدمية التي أهدتها إلى هانا.

(٣)

السيد ملعقة يشتري المكرونة

مكتبة
t.me/soramnqraa

«مضى وقت طويل منذ تناولنا المكرونة على العشاء»، قال السيد ملعقة ذات يوم.

«ستأكلها اليوم إذن يا حبيبي»، قالت زوجته. «ولكن عليَّ الذهاب إلى البقال أولًا لأبتاع بعضًا منها. وقبل ذلك عليكَ أن تعثر عليَّ».

«أعثر عليكِ؟»، قال السيد ملعقة. «ما هذا الكلام الفارغ؟» لكنه حين بحث عنها حوله لم يستطع رؤيتها في أي مكان. «لا تكوني سخيفة يا زوجتي»، قال، «إن كنتِ تختبئين في الخزانة فاخرجي الآن. أنت كبيرة جدًّا لتلعبي الغميضة».

«أنا لست كبيرة جدًّا، بل إني في عمر مناسب تمامًا للعبة «ابحث عن ملعقة الشاي»»، ضحكت السيدة ملعقة، «جدني إن استطعتَ!».

«لن أدور في غرفة نومي بحثًا عن زوجتي»، قال حانقًا.

«حسن حسن! سأساعدك. سأخبرك متى اقتربت. أنت الآن بعيد جدًّا». فقد كان السيد ملعقة يطل برأسه من النافذة ظانًّا أنها قفزت خارجًا. كانت تصيح به وهو يبحث «قريب!»، «أبعد!»، «تقترب أكثر!»، حتى أصابه الإعياء.

فصاحت به في النهاية: «ستفقد رأسك الأصلع إن لم تنظر إلى الأعلى!» وكانت هناك جالسة على عمود السرير، تؤرجح ساقيها وتضحك عليه.

اكفهرَّ وجه زوجها جدًّا لدى رؤيتها. «هذا أمر سيئ؛ أمر سيئ جدًّا»، قال وهو يربت على وجنتها بإصبعه الصغيرة.

«لا أظنه أمرًا سيئًا»، قالت السيدة ملعقة.

«سأمر بوقت عصيب. سيسخر مني أهل البلدة إن رأوا زوجتي بحجم ملعقة الشاي».

«ومن يبالي؟»، ردَّت. «هذا ليس مهمًّا إطلاقًا. أنزلني على الأرض الآن فأستعد للذهاب إلى البقال لشراء المكرونة لك».

لكن زوجها لم يقبل بذهابها؛ بل سيذهب بنفسه.

«كم سيفيدنا هذا!»، قالت. «لدى عودتك ستقول: نسيتُ شراء المكرونة. أنا واثقة بهذا وإن كتبت لك «مكرونة» على جبينك فستعود جالبًا القرفة والرنجة المملحة بدلًا من المكرونة».

«وكيف ستمشين كل هذا الطريق بساقيك الصغيرتين؟».

«ضعني في جيب معطفك، ولن أحتاج إلى المشي».

لا مناص من ذلك، فوضعَ السيدُ ملعقة زوجتَه في جيبه وانطلق إلى المتجر.

فأخذت تتكلم: «يا إلهي، يا لكثرة الأشياء الغريبة التي تحملها في جيبك؛ براغي ومسامير، تبغ وأعواد ثقاب، بل فيه شِصٌّ أيضًا! عليك أن تخرج هذا الآن، فقد يمسك بتنورتي!».

«لا ترفعي صوتك»، قال زوجها وهو يُخرِج الشِّص. «سندخل المتجر الآن».

كان متجرًا في القرية عتيق الطراز، يباع فيه كل شيء من البرقوق إلى فناجين القهوة. كان البقال فخورًا جدًّا بفناجين القهوة ورفع واحدًا ليريه للسيد ملعقة. فأثار هذا فضول زوجته وأبرزت رأسها من جيبه.

«اِبقيْ حيث أنت!»، همس السيدُ ملعقة.

«أستميحك عذرًا، أقلتَ شيئًا؟»، سأل البقال.

«كلا، كلا، كنت أترنم بأغنية»، قال السيد ملعقة، «ترا لا لا!».

«ما لون الفناجين؟»، همست زوجته، فغنى زوجها:

«الفناجين زرقاء
حوافُّها ذهبية
لكنها باهظة الثمن

وهذا لا يناسبني!».

فهدأتِ السيدةُ ملعقة، لكن ليس لوقتٍ طويل. فقد سحب زوجها علبة التبغ ولم تستطع مقاومة التشبث بغطائها. لم يرها زوجها أو أي أحد في المتجر تتسلل إلى منضدة البائع وتختبئ خلف كيس الطحين. ومن مكانها أسرعتْ في صمت نحو الميزان وزحفت تحته، وتجاوزت سمكتيْ سلمون مُدخَّنتين ملفوفتين بورق الجرائد، ووجدت نفسها بجانب الفناجين.

«يا إلهي!» همست، وتراجعت خطوة لتراها جيدًا. أوبس! سقطت في جارور المكرونة المتروك مفتوحًا. فغطت نفسها بالمكرونة على عَجلٍ، لكن البقال سمع صوت الخمش فأغلق الجارور من فوره. تتسلل الفئران إلى الجوارير أحيانًا كما تعرفون، وليس هذا بالشيء الذي يود المرء أن يعرفه الآخرون، فتظاهر البقال بأن شيئًا لم يكن وواصل البيع.

أما السيدة ملعقة فكانت في ظلام دامس؛ وسمعت البقال يحادث زوجها. «هذا جيد»، قالت لنفسها. «حين يطلب المكرونة سأتحين فرصتي للتسلل إلى الكيس معها».

لكن حدث ما خَشيَتْه، فقد نسي زوجها ما جاء لشرائه. فصرخت السيدة ملعقة بأعلى صوتها «مكرونة!» ولكن إسماعه كان أمرًا مستحيلًا.

«ربع رطل من القهوة من فضلك»، قال زوجها.

«أتريد شيئًا آخر؟»، سأل البقال.

«مكرونة!»، صاحت السيدة ملعقة.

«رطلين من السكر»، قال زوجها.

«أتريد شيئًا بعد؟».

«مكرونة!» صرخت السيدة ملعقة.

في نهاية المطاف، تذكر زوجها المكرونة من تلقاء نفسه، فهرع البقال ليملأ كيسًا. وحسب أنه أحس بشيء يتحرك، لكنه لم يقل شيئًا.

«هذا كل شيء، شكرًا لك»، قال السيد ملعقة. ولمَّا خرج أراد التأكد أن زوجته لم تزل في جيبه حين مرت به شاحنة وعرضت إيصاله إلى المنزل. ولدى وصوله البيت أنزل حقيبته وما فيها من مشتريات ووضع يده في جيبه ليخرج زوجته.

كان الجيب فارغًا.

فذُعِر حقًّا. لكنه ظن بادئ الأمر أن زوجته تغايظه، فناداها ثلاثًا ولم تظهر، عندها اعتمر قبعته وأسرع إلى المتجر.

رآه البقال مقبلًا. «لا بد أنه قادم ليشتكي من الفأر في المكرونة»، قال في نفسه.

«أنسيتَ شيئًا يا سيد ملعقة؟»، سأل وابتسم بألطف ما استطاع.

كان السيد ملعقة ينظر حوله. «أجل»، قال.

«سأكون ممتنًا لك يا سيد ملعقة إن لم تخبر أحدًا بأمر الفأر في المكرونة. سأقدم إليك الفناجين الزرقاء إن لم تتحدث عن الأمر».

«فأر؟»، بدا السيد ملعقة حائرًا.

«ششششش!»، قال البقال وأسرع يلف الفناجين.

أدرك السيد ملعقة أن البقال ظن زوجته فأرًا. فأخذ الفناجين وهرع عائدًا إلى البيت بأسرع ما استطاع. وحين وصل كان يتصبب عرقًا خشية أن تكون زوجته قد اختنقت وماتت في كيس المكرونة.

«آه يا زوجتي العزيزة»، همهم لنفسه. «يا زوجتي الحبيبة المسكينة. لن أخجل يومًا من كونك بحجم ملعقة الشاي، إن كنتِ ما تزالين على قيد الحياة!».

ولمَّا فتح الباب، لن تصدقوا الأمر، كانت واقفة قرب الموقد، وكانت بحجمكم وحجمي.

(٤)
ملكة الغربان

أكنتم تعلمون أن المرأة التي يبلغ حجمها حجم ملعقة الشاي كانت ملكة للغربان كلها في الغابة؟

كلا، لم تعلموا بلا ريب، لأنه سِرٌّ بيننا أنا والسيدة ملعقة حتى الآن، لكني سأقص عليكم كيف حدث هذا.

كان خارج بيت العجوز سياج خشبي يجثم عليه عادة غراب كبير.

«لا أدري لماذا يجلس الغراب هناك محملقًا إلى نافذة المطبخ طوال الوقت»، قال السيد ملعقة.

«لا علم لي»، قالت السيدة ملعقة. «شو! اذهب من هنا!».

لكن الغراب لم يبتعد عن السياج.

انكمشت السيدة ملعقة ذات يوم (لا أذكر ما الذي كانت تنوي فعله يومها، لكنها كانت شديدة الانشغال)، وحالما بلغت عتبة الباب انقطعت أنفاسها.

«أوه يا إلهي، أن تكون صغيرًا جدًّا أمر صعب قطعًا»، قالت متأففة.

فسمعت صوت رفرفة أجنحة فجأة، وانقض الغراب على السيدة ملعقة وحملها من تنورتها وطار بها إلى أعالي شجر التنوب في الغابة.

«ماذا تظن نفسك فاعلًا إن سمحت لي بالسؤال؟ انتظر حتى أستعيد حجمي الطبيعي وسأضربك بعصا مقشتي وأتعقبك إلى الأبد!».

«كاو كاو! لكنكِ صغيرة جدًّا الآن على أية حال»، قالت أنثى الغراب، «لقد انتظرت هذا زمنًا طويلًا. فقد رأيتك تصغرين مرة من قبل، فحسبت الأمر سيحدث ثانية. وها قد حدث، لكننا وصلنا في الموعد المناسب. اليوم هو عيد الغربان وسأكون ملكة الغربان!».

«إن كنتِ ملكة الغربان، فلستِ بحاجة إلى أخذ عجوز مثلي معك!».

«أنت مخطئة تمامًا»، قالت أنثى الغراب، ورفرفت بجناحيها، فقد كانت العجوز أثقل مما ظنت. «انتظري حتى نصل عُشِّي، ثم تعرفين السبب».

«ليس عندي خيار آخر»، قالت السيدة ملعقة المسكينة وهي تتدلى من براثن أنثى الغراب.

«ها قد وصلنا البيت!»، قالت أنثى الغراب، وأنزلت السيدة ملعقة في العش. «إنه فارغ لحسن الحظ».

«إنه كذلك بلا ريب، لقد سقطت على غصن شائك وسحجت قصبة ساقي».

«يا للصغيرة المسكينة!»، قالت أنثى الغراب. «انظري لقد صنعتُ لك فراشًا جميلًا من الريش والوبر. ستجدين الوبر مريحًا دافئًا، أما الريش فهو الأنسب لدى هبوط الليل وهبوب الريح».

«وما حاجتي إلى الريش والوبر؟».

«أريد منكِ أن تستلقي وتخلدي إلى النوم»، قالت أنثى الغراب. «ولكن عليك أولًا أن تقرضيني ثيابك. فاخلعي غطاء رأسك الآن، وقميصك وتنورتك من فضلك.

أريد أن أربط الغطاء حول عنقي، وألبس التنورة في جناح، والقميص في الآخر. ثم سأطير إلى البراح في الغابة حيث تجتمع كل الغربان من أجل الاحتفال. ستُنصَّب صاحبة أجمل هيئة ملكة للغربان، وسأكون أنا! وحين أفوز سأتذكرك. كاو كاو!».

«حسن، إن كنتِ تظنين أنكِ ستبدين أجمل في ثيابي، فعلى الرحب والسعة»، قالت السيدة ملعقة وهي تهندم أنثى الغراب.

«أسرعي، أسرعي!»، قالت أنثى الغراب. «ثمة أنثى غراب أخرى تعيش هناك في شجرة التنوب على التلة. ستمر هنا في طريقها، وسنذهب إلى الاحتفال معًا. أما وقد تهندمتُ فأفضّل الذهاب وحدي. كاو كاو كاو!»، وطارت.

جلست السيدة ملعقة ترتجف بثيابها الداخلية، لكنها فكرت

بأن تندس تحت الريش والوبر كما أخبرتها أنثى الغراب، ووجدته دافئًا وثيرًا.

أخذ الغصن يرتجُّ فجأة، وعلى طرفه الآخر جثم غراب كبير.

«أأنت هنا يا ميري كرو؟»، نعقت أنثى الغراب، وهي تمشي وتدس منقارها الكبير في حافة العش.

«لقد ذهبت ميري كرو إلى الاحتفال»، قالت السيدة ملعقة.

«ومن أنتِ إذن، من تكونين؟»، سألت أنثى الغراب.

«لست إلا عجوزًا ترتعد بردًا، لأن ميري كرو استعارت ثيابي».

«كاو كاو! تبًّا! ستكون الأجمل في الاحتفال»، زعقت أنثى الغراب وطارت في الهواء. «لكني سأنزع الوشاح عنها!».

استلقت السيدة ملعقة ثانيةً لتنام، لكنها تدحرجت فجأة حتى وصلت نهاية العش، الذي اهتز بقوة.

«لا بد أنها أنثى غراب أخرى»، قالت في نفسها، وكانت مُحِقة، كانت أكبر أنثى غراب رأتها في حياتها تتمايل على طرف الغصن.

«ميري كرو يا ميرو كرو، أرأيتِ بتي كرو؟».

«رأيتُ الاثنتين، ميري كرو وبتي كرو»، قالت السيدة ملعقة.

«ومن أنتِ، ومن تكونين؟»، نعقت أنثى الغراب.

«لست إلا عجوزًا ترتعد بردًا لأن ميري كرو استعارت ثيابها».

«كاو كاو! اللعنة! ستكون ميري كرو الأجمل!».

«لست واثقة بذلك»، قالت العجوز، «لأن بتي كرو طارت خلف ميري كرو وستخلع عنها وشاحها».

«سأنزع التنورة، سأنزع التنورة!»، نعقت أنثى الغراب الكبرى، وطارت عن الغصن بقفزة اضطرت معها السيدة ملعقة إلى التمسك جيدًا كيلا تقع من العش.

في براح الغابة كان الكثير من إناث الغراب. جلسن في حلقة، وواحدة تلو الأخرى، وثبن إلى وسطها ليستعرضن مظاهرهن. تمكنت بعضهن من الوثب على ساق واحدة دون أن تمس أجنحتهن الأرض. وكان للأخريات مواهب أخرى، وتعين على الجالسات في الحلقة اختيار الأجمل لتكون الملكة.

لم يبقَ إلا ثلاث في نهاية المطاف، جلسن متباعدات، ينظفن ريشهن باديةً عليهن القوة. كانت إحداهن تضع وشاحًا والأخرى تنورة والثالثة قميصًا. فلا بد أنك عرفت من هن، ولا بد من اختيار إحداهن لتكون الملكة.

«الأجمل هي من تضع الوشاح حول عنقها»، قالت بعضهن، «إذ تبدو شبيهة بالبشر».

«كلا كلا، بل الأجمل هي صاحبة التنورة!».

«مطلقًا! الأكثر جلالًا هي صاحبة القميص، ولا بد للملكة أن تكون جليلة».

سقط شيء محدثًا خبطة على الأرض فجأة، فقد وصل العقعق في منتصف الاحتفال حاملًا في منقاره طيرًا غريب الشكل.

«كاو كاو! لا يسمح للعقعق أن يكون هنا!»، نعقت إناث الغراب كلها.

«لن أبقى دقيقة»، قال العقعق، «لقد جلبت ملكتكم!»، وحلَّق بعيدًا.

حملقت كلهن إلى الطير الغريب رث الثياب وسط الحلقة. ورأين أن ريش الغراب ووبره يغطيه، ولا يسمح للغربان رثة المظهر بدخول الاحتفال.

«هذا مخالف للقانون!»، قالت كبراهن.

«لننتف ريشه، لننتف ريشه!»، قالت ميري كرو.

«أجل، لنمزقه إربًا!»، قالت بتي كرو.

«أجل، أجل!»، نعقن جميعًا. «لا نسمح بطيور رثة المظهر هنا!».

«انتظِرن!»، قال الطير رث المظهر واعتلى جِذل شجرة. «سأغني أغنية»، وقبل أن يتمكنَّ من إيقافه بدأ غناءَ «من قتل الغراب روبن؟»(١) وكان يحفظ كل أبياتها. سُرَّت إناث الغراب وصفقن ورفرفن بأجنحتهن حتى فقد الطير رث المظهر كل ريشه.

---

(١) في الأصل من قتل الديك روبن، غيرتها السيدة ملعقة لتناسب المقام. وهي أغنية من أغاني الأطفال أو الأغاني الشعبيَّة الإنجليزيَّة، صارت تُعدُّ نموذجًا لجرائم القتل في عالم الثقافة. ويُقال إنها تشير إلى موت الشخصية الأسطورية روبن هود. من قتل

«أتعرفين غيرها؟ أتعرفين غيرها؟».

«أجيد رقص الپولكا»، قال الطير رث المظهر، ورقص في الحلقة حتى انقطعت أنفاسهن جميعًا.

«يجب أن تصبحي ملكتنا!»، هتفوا جميعًا. «سيحملكِ أربعة من غربان البلاط إلى حيث شئتِ».

«يا للروعة!»، ضحكت ملكة الغربان. «فليعيدوني إلى البيت هناك عند طرف الغابة».

«وماذا تريدين أن تلبسي يا صاحبة الجلالة؟».

«أود أن ألبس تنورة وقميصًا ووشاحًا»، قالت الملكة.

قُرع باب الكوخ في وقت متأخر من الليل، ففتح السيد ملعقة ووجد زوجته واقفة هناك.

«لقد تأخرتِ كثيرًا يا زوجتي»، قال، «أين كنتِ؟».

«ذهبتُ إلى الاحتفال»، أجابت.

«ولكن لماذا يغطيك الريش؟».

الديك روبن؟/ أنا، قال الدوري/ بقوسي وسهمي قتلت الديك روبن/ من رآه يموت؟ أنا، قالت الذبابة/ بعيني الصغيرة شهدته يموت/ من حمل دمه؟ أنا، قالت السمكة/ بطبقي الصغير حملت دمه/ من سيصنع الكفن؟ أنا، قالت الخنفساء/ بخيطي وإبرتي سأصنع الكفن/ من سيحفر قبره؟ أنا، قالت البومة/ بمنقاري ورفشي سأحفر قبره/ من سيكون الخوري؟ أنا، قال طائر الغُداف/ بكتابي الصغير سأكون أنا الخوري...

«اخلدْ إلى الفراش ولا تشغل بالك»، قالت السيدة ملعقة. وتقدمت وألصقت ريشة في زاوية النافذة.

«لِمَ تفعلين هذا؟»، سأل زوجها.

«بلا سبب».

لكنها فعلته لأنها اختيرت ملكة للغربان.

(٥)

السيدة ملعقة في السوق

كانت السيدة ملعقة وحدها في مطبخها ذات يوم، غير أنها لم تكن وحيدة تمامًا، لأن الفتاة الصغيرة هانا التي حصلت على الدمية في عيد الميلاد، كانت هناك أيضًا. وكانت شديدة الانشغال في كشط الإناء ولعق الملعقة، إذ كانت العجوز تعد بسكويت الزنجبيل.

قُرع الباب فقالت السيدة ملعقة: «ادخل»، ودخلت ثلاث سيدات أنيقات.

«طاب عصرك»، قالت السيدات الأنيقات. «إننا نجمع جوائز من أجل اليانصيب في سوق المدرسة هذا المساء. أتظنين أن عندك شيئًا يمكننا أخذه؟ سيكون ريع السوق لصالح فرقة الأولاد النحاسية؛ فهم بحاجة إلى الآلات».

«أوه، يسرني المساعدة في هذا!»، قالت السيدة ملعقة التي تحب فرق الآلات النحاسية كثيرًا. «أيفي طبق من بسكويت الزنجبيل بالغرض؟»».

«قطعًا»، قالت السيدات الأنيقات، لكنهن سخرن منها خفية. «بوسعنا أخذه معنا الآن إن كان جاهزًا»، قلن. لكن السيدة ملعقة أرادت الذهاب بنفسها إلى السوق، فقالت إنها ستجلب البسكويت.

خرجت السيدات الأنيقات الثلاث وشعرت السيدة ملعقة بزهوٍ وسرور شديدين لأنها ستذهب إلى السوق.

لم تزل هانا تكشط الإناء وتلعق المزيج الحلو من الملعقة.

«أتسمحين لي بالذهاب معك؟»، سألتها.

«بلا شك، إن سمح لك والداك».

«أثق بأنهما سيفعلان»، قالت الصغيرة، «فأبي عليه العمل في المصنع وأمي منشغلة بالخياطة طوال اليوم».

«تعالي الساعة السادسة إذن»، قالت السيدة ملعقة وشرعت تعد وجبة أخرى من بسكويت الزنجبيل.

حين عادت هانا السادسة مساء لم تكن العجوز موجودة، وكل الأبواب مفتوحة، فتنقلت من غرفة إلى أخرى وهي تناديها. ولمَّا عادت إلى المطبخ سمعت صوتًا غريبًا قادمًا من الطاولة. كان إناء المزج مقلوبًا، فرفعته بحذر، ووجدت تحته صديقتها جالسة وقد انكمشت مرة أخرى.

«أليس هذا جنونًا؟»، قالت السيدة ملعقة. «كنت أنظف الإناء بعد إدخال البسكويت إلى الفرن وأخذت أنكمش فجأة، فانقلب الإناء عليَّ. أسرعي! أخرجي البسكويت من الفرن قبل أن يحترق!».

فات الأوان؛ فقد احترق البسكويت وتفحَّم.

جلست السيدة ملعقة وبكت، فقد أصابها إحباط شديد. غير أنها كفَّت عن ذلك سريعًا وأخذت تفكر. ثم ضحكت عاليًا فجأة وقالت:

«هانا! خذيني إلى الصنبور واغسليني جيدًا. سنذهب إلى السوق، أنا وأنتِ!».

«لكنك لا تستطيعين الذهاب إلى السوق على هذه الشاكلة!»، قالت هانا.

«بلى أستطيع»، قالت السيدة ملعقة، «ما دمتِ ستفعلينَ ما أقول».

وعدتها هانا بذلك، لكن السيدة ملعقة أَمْلَت عليها أوامر غريبة. فقد تعيَّن عليها أولًا أن تحضر شريطًا حريريًّا وتربطه حول العجوز فيبدو كالتنورة. ثم عليها إحضار شذرة من زينة عيد الميلاد، ولا بد من لفِّها عليها لتبدو صدرية فضية. وأخيرًا عليها أن تصنع قبعة من رقاقة ذهبية.

«عليك أن تلفيني بورق السوليفان جيدًا وتضعيني في صندوق من الورق المقوَّى»، قالت السيدة ملعقة.

«لماذا؟»، سألت هانا.

«ما دمتُ وعدتُهم بجائزة من أجل السوق فلا بد أن أفي بوعدي»، قالت السيدة ملعقة. «لذا سأقدم إليهم نفسي. ضعيني

على إحدى الطاولات وقولي إنك أحضرت دمية آلية. وأخبريهم أن المفتاح في جيبك ثم تظاهري بأنك تلفين زنبركي حتى يرى الناس ذكائي».

فعلت هانا ما أُمِرت، وحين وصلت السوق ووضعت الدمية الرائعة على الطاولة، صفق كثير من الناس وتحلَّقوا حولها لرؤيتها.

«يا لها من دمية جميلة! ويا له من فستان رائع!»، قالوا.

«انظروا إلى قبعتها الذهبية!».

جلست السيدة ملعقة بلا حراك في صندوقها، وحين سمعت ثناء الناس عليها، غمزت لهانا بعين واحدة، فعرفت هانا ما تشير إليه. أخرجت السيدة ملعقة من الصندوق بحذر شديد وتظاهرت بأنها تلف زنبركها من الخلف.

كان الجميع يراقبونها، وعلت الأصوات حماسًا عندما أخذت السيدة ملعقة تمشي عبر الطاولة وتشق طريقها بين الجوائز.

«انظروا، الدمية تمشي!».

وبدأت السيدة ملعقة ترقص فصاحوا وهتفوا مسرورين «الدمية ترقص!».

جلست السيدات الثلاث الأنيقات اللاتي ذهبن لرؤية السيدة ملعقة في النهار في مقاعد خاصة وبدوْن في غاية الفخامة. قدمت إحداهن ستة من فناجين القهوة الباهظة الثمن، والأخرى مفرش طاولة أنيقًا والثالثة كيكة مزينة ذات طبقات.

عزمت السيدة ملعقة على الذهاب والتحدث إليهن، إذ خشيت أنهن عرفنها ووجدن عدم إحضارها بسكويت الزنجبيل أمرًا غريبًا.

فرحت السيدات الأنيقات الثلاث بقدوم الدمية إليهن.

«تعالي إليَّ!»، قالت السيدة التي جلبت فناجين القهوة، ومدت يدها نحو السيدة ملعقة، التي مشت إليها طائعة.

«دعيني أحملها قليلًا»، قالت السيدة صاحبة المفرش الأنيق، ومشت السيدة ملعقة نحو يدها.

«حان دوري الآن»، قالت السيدة صانعة الكيكة المزينة.

«أنا على يقين أنهن عرفنني»، قالت السيدة ملعقة، «وهذا ما يجعلهن ينظرن إليَّ ويحملنني في أيديهن».

لكن السيدة صانعة الكيكة قالت عندئذ: «حسن، لا بد لي من القول إن هذه الجائزة أفضل بكثير من بسكويت الزنجبيل الذي عرضته علينا اليوم تلك السيدة الغريبة».

ما كان لها أن تقول هذا، فقفزت السيدة ملعقة من يدها في الحال وهبطت پلوپ! وسط الكيكة المزينة ذات الطبقات. ثم نهضت وخاضت فيها، فصرخت السيدة صانعة الكيكة، غير أن الناس انفجروا ضاحكين.

«أبعدوا هذه الدمية!»، زعقت السيدة الثانية، ولكن سكوِش سكواش! مشت قدما السيدة ملعقة الدبقتان فوق مفرشها الجميل.

«أبعدوا هذه الدمية المريعة!» صاحت السيدة الثالثة. فات الأوان، فقد كانت السيدة ملعقة في صينية فناجين القهوة الباهظة الثمن، وشرعت ترقص رقصة الجِغ. فتطايرت الفناجين وصحونها وتكسرت كِسرًا صغيرة.

يا للفوضى! وبذل قائد الفرقة النحاسية جهدًا كبيرًا لتهدئة الجميع، وقال إن الوقت حان لإعلان الأرقام الفائزة في اليانصيب.

«ستكون الجائزة الأولى الدمية الآلية الرائعة»، قال.

ذعرت هانا لدى سماعها هذا، فما الذي سيحدث إن فاز أحدهم بالسيدة ملعقة، فلا تتمكن من العودة إلى زوجها؟ فجذبت تنورة السيدة ملعقة وهمست: «أأضعك في جيبي وأتسلل خارجًا؟».

«كلا»، قالت السيدة ملعقة.

«ولكن تذكري أن الأمر سيكون مريعًا إن فاز بكِ أحدهم وأخذك إلى البيت».

«لا بد مما ليس منه بد»، قالت السيدة ملعقة.

أعلن قائد الفرقة الرقم الفائز: «٣١١!»، فنظر الجميع إلى بطاقاتهم، لكن لم يحمل أحد هذا الرقم.

«هذا جيد!»، قالت هانا بارتياح. سيجري سحب آخر، لكنها تذكرت عندئذ أنها تحمل بطاقة، ورقمها: ٣١١!

«انتظر!»، نادت وأظهرت بطاقتها، فعاينها القائد ووجدها المطلوبة.

سمح لهانا أن تأخذ السيدة ملعقة إلى البيت.

في اليوم التالي عادت العجوز إلى حجمها المعتاد ولم تكن هانا إلا فتاة صغيرة، وقالت السيدة ملعقة: «إنك طفلتي الصغيرة، ألستِ كذلك؟».

«أجل»، قالت هانا، «وأنت السيدة ملعقة صديقتي، التي فزتُ بها في السوق البارحة».

وهذه نهاية مغامرات السيدة ملعقة لوقت طويل.

(٦)
السيدة ملعقة والتوت

لم تكن الأمور مريحة جدًّا في بيت السيدة ملعقة. فقد كان السيد ملعقة مغتمًّا -دام هذا أيامًا- ولم تعرف السيدة ملعقة ما تفعل لإبهاجه. فوضعت الزهور على الطاولة وأعدت له طبقه المفضل، اللحم المقدد المقلي مع المكرونة بالجبنة. غير أن هذا كله بلا جدوى؛ واستمر حزن السيد ملعقة.

«لست أدري ما أصابه»، قالت السيدة ملعقة متنهدة، «لعله يشتهي الفطائر المحلاة». وأعدت له كومة كبيرة منها.

لَمَّا جاء زوجها لتناول الغداء انفرجت أساريره قليلًا لدى رؤيته الفطائر، غير أنه ما إن جلس ورفع سكينه وشوكته ليبدأ الأكل، حتى اكفهر وجهه ثانية، وعاد إلى حزنه.

«آه حسن!»، قال محملقًا إلى السقف، «أحسب هذا كثيرًا توقعه».

«لقد طفح كيلي!»، قالت السيدة ملعقة. «أخبرني ما الخطب وإلا انكمشت، وهذا ما سأفعله!» (تذكروا أن عادة السيدة ملعقة

الانكماش إلى حجم ملعقة الشاي إن شاءت -غير أن هذا لا يحدث عادة كما أخشى- ولكنها تفعل في أشد اللحظات حرجًا). «يجول شيء في ذهنك، وهذا جلي تمامًا»، أردفت قائلة. «لكنك لا تفكر فيَّ، أليس كذلك؟ أن أرى وجهك يزداد اكفهرارًا يومًا تلو الآخر ليس هذا بالأمر السار إن أردت رأيي. لمْ تبهجك الفطائر المحلاة أيضًا».

«الفطائر المحلاة لذيذة»، أومأ السيد ملعقة، «غير أني أفتقد شيئًا آخر».

«وما هذا؟»، سألت زوجته.

«ألا يسعنا الحصول على شيء من مربى التوت مع الفطائر المحلاة، بدلًا من أكلها هكذا؟»، وزفر السيد ملعقة زفرة كبيرة.

فأدركتِ الأمر أخيرًا؛ إذ مر وقت طويل جدًّا منذ أن قدمت إليه مربى التوت، وهذا ما يشتاق إليه الرجل المسكين.

«حسن، إن كان هذا كل ما تريد، فسأذهب لقطف بعض التوت حالًا وعلى الفور»، قالت السيدة ملعقة وانتزعت دلوًا من خطاف على الحائط وهرعت خارجة.

سارت بشيء من السرعة لأنها حانقة على زوجها، وحدثت نفسها أثناء سيرها. «إن زوجي أسخف الأزواج على وجه البسيطة»، قالت متذمرة. «كنت حمقاء لأني تزوجته. بل ليس مَن أشد حمقًا مني إلا هو، آه يا لغبائه!».

ووصلت سريعًا إلى بقعة في الغابة ينمو فيها التوت. وضعت دلوها تحت الشجيرة وأخذت تملأ الكوب الذي حملته في جيب مئزرها. وكلما امتلأ الكوب أفرغته في الدلو، كوبًا بعد آخر حتى لم يعد في الدلو مكان إلا لكوب واحد فحسب. حينئذ، حالما قطفت آخر حبة توت في الكوب، يا للعجب! انكمشت إلى حجم ملعقة الشاي.

«ها قد وقعنا في مأزق، قطعًا، ولست أعني مربى التوت!» قالت العجوز الصغيرة التي غدا صوتها ناعمًا كصوت الفأر. «لكني ما زلت أظنني قادرة على دفع الكوب إلى الدلو إن سحبته ودفعته بكل قوة. ثم سأفكر في الأمر بعدئذ».

فأقحمت ذراعها في يد الكوب وسحبته. كان سحبه صعبًا في البدء، لكنها وصلت إلى درب للنمل صنع من إبر الصنوبر الزلقة، حينها غدا الأمر أسهل بكثير إذ انزلق الكوب على طول الدرب. وظلت النملات كبارهن وصغارهن يركضن جيئة وذهابًا قربها طوال الوقت، وحاولت محادثتهن.

«كيف حالكن يا نملات؟»، قالت، «أراكن تعملن بجد. أجل، فالعمل كثير دومًا وهذه حقيقة»، لكن النملات كن شديدات الانشغال فلم يجبنها.

«ألا يسعكن التوقف للحظة ومحادثتي؟»، سألت. لكنهن مضين مسرعات. «حسن، سأحادث نفسي، فلا أضايق أحدًا عندئذ»، وجلست تسند ظهرها إلى الكوب.

فأحست فجأة بشيء يتنفس عند رقبتها، واستدارت فرأت ثعلبًا يقف ويلوِّح بذيله تلويحة ودية.

«مرحبًا يا سيد ثعلوب. أَخَرَجت تتنزه؟»، قالت السيدة ملعقة. «لحسن الحظ أنك لا تعرف أن دجاجاتي... آه يا إلهي! لقد كدت أبوح بالأمر!».

«أين دجاجاتك يا سيدة ملعقة؟»، قال الثعلب بصوته الماكر.

«سيكون جوابي إخبارًا، أليس كذلك؟»، سألت السيدة ملعقة. «ولكني مشغولة جدًّا كما ترى، لا بد لي من سكب كوب التوت في الدلو، لذا ليس عندي وقت للحديث معك».

«سأحمل الكوب من أجلك»، قال الثعلب بأشد ما يكون التهذيب. «فحادثيني ونحن نمشي».

«شكرًا جزيلًا»، قالت السيدة ملعقة، «إن دجاجاتي، كما قلت، ... يا إلهي! لقد كدت أحكي مرة أخرى!».

ابتسم الثعلب مشجعًا: «واصلي كلامك، فلا يهمني ما تقولين».

«أنا لست ممن يثرثرون، لكن الحديث عن دجاجاتي سهل ... يا إلهي، لماذا لا أغلق فمي؟ ها قد وصلنا إلى الدلو على أية حال. إن تلطفت ووضعت الكوب بجانبه فسأخبرك بمكان دجاجاتي».

«هذا جميل، أخبريني. ستكون دجاجاتك بمأمن معي».

«قطعًا!»، ضحكت السيدة ملعقة. «لأنهن بعيدات! لقد ظهرت عليهن علامات الرقاد، فأعرتهن الجيرانَ ليرقدن على بيضهم».

فأدرك الثعلب أنه خُدِع، وكان خجله شديدًا فانسل مبتعدًا في الغابة واختبأ.

«ها ها ها! كانت هذه خدعة جيدة خَدعتِ بها الثعلب!»، قال صوت قريب من السيدة ملعقة. فرفعت رأسها ورأت ذئبًا يقف وينظر إليها.

«آه، هذا السيد ذؤيب!»، قالت السيدة ملعقة وهي تزدرد ريقها بصعوبة لتستجمع شجاعتها. «منَ... من أحتاجه حقًّا. بوسعك مساعِدتي على صب كوب التوت في الدلو».

«أوه، لن تنطلي عليَّ حيلتك كما انطلت على الثعلب»، قال الذئب.

«لست أحاول خداعك أبدًا»، قالت السيدة ملعقة، إذ خطرت لها فكرة جيدة ولم تعد خائفة. «يجدر بك أن تفعل ما أقول وإلا أرسلت في طلب ثردلِس (بلا خيط) ذي العين الواحدة!».

ضحك الذئب «سمعت الكثير من حكايات الزوجات العجائز، لكني لم أسمع بهذه من قبل!».

«إنها ليست حكاية زوجة عجوز»، قالت السيدة ملعقة بازدراء، «وأنا لست زوجة عجوزًا فحسب، بل أنا السيدة ملعقة التي تستطيع الانكماش والعودة إلى حجمها في غمضة عين. ثردلس ذو العين الواحدة هو خادمي».

«ها ها! أود رؤية هذا الخادم!»، ضحك الذئب.

«حسن، دس أنفك في جيب مئزري هنا وستراه»، قالت السيدة ملعقة. فوضع الذئب أنفه في جيب مئزرها فنخسته بشدة إبرة تحتفظ بها هناك.

«آو آو!»، صاح وأخذ يجري نحو الغابة. نادته السيدة ملعقة ليعود في الحال: «تعال! لم تفرغ من عملك بعد، أفرغ الكوب في الدلو، وإياك أن تضيع توتة واحدة، وإلا أرسلت في طلب ثردلس ذي العين الواحدة لينخسك ثانية!».

لم يجرؤ الذئب على عصيان أمرها، وحالما أفرغ الكوب في الدلو ولَّى هاربًا إلى الغابة ليختبئ كالثعلب. ضحكت السيدة ملعقة كثيرًا وهي تراه يولِّي الأدبار، لكنها سمعت شيئًا يخشخش قرب الدلو. وكان الدب البني الكبير بنفسه هذه المرة.

«يا إلهي! يا له من شرف عظيم!»، قالت السيدة ملعقة بصوت مرتجف، وانحنت انحناءة خفيضة كادت معها أن تختفي بين الشجيرات. «أأغرى الطقس الجميل جلالتك لتخرج في نزهة؟».

«أجل»، دمدم الدب البني الكبير ومضى يتشمم الدلو.

«يا لي من محظوظة! لقد قطفت، كما ترى يا صاحب الجلالة، دلوًا بأكلمه من التوت، لكن السير وحيدة في الغابة ليس بآمن لامرأة عجوز صغيرة مثلي. أيسعني أن أطلب منك أن تحمل الدلو إلى الدرب من أجلي يا صاحب الجلالة؟».

«لست أدري»، قال الدب. «فأنا أحب التوت».

«أجل، طبعًا، لكنك لست كمثل الآخرين، فلن تسلب امرأة عجوزًا صغيرة مسكينة مثلي يا صاحب الجلالة!».

«التوت؛ هذا ما أريد!»، قال الدب وأخفض رأسه متأهبًا للأكل.

في غمضة عين قفزت السيدة ملعقة إلى عنقه وأخذت تدغدغه خلف أذنيه.

«ماذا تفعلين؟»، سأل الدب.

«أدغدغ لك أذنيك»، ردت السيدة ملعقة، «ألا يعجبك هذا؟».

«يعجبني؟ يكاد يكون أفضل من التوت»، قال الدب.

«حسن، إن تلطفت وحملت لي الدلو يا صاحب الجلالة، فسأدغدغ أذنيك طوال الطريق يا صاحب السعادة»، قالت السيدة ملعقة الماكرة.

«أوه، حسن إذن»، دمدم الدب.

ولدى وصولهما إلى الدرب وضع الدب الدلو على حجر مسطح بحذر شديد.

«شكرًا جزيلًا لك يا صاحب الجلالة»، قالت السيدة ملعقة، وهي تنحني انحناءة خفيضة أخرى.

«الشكر لكِ»، قال الدب، وركض نحو الغابة.

عادت السيدة ملعقة إلى حجمها بعد ذهاب الدب، فرفعت الدلو وأسرعت به نحو البيت.

«عنايتك بنفسك ليس بالأمر الصعب وإن كنت في حجم ملعقة شاي»، قالت لنفسها، «ما دمت تجيد مواجهة من تلتقيهم. فلا بد من خداعِ الماكر، وإخافةِ الجبان، ودغدغةِ أذني الضخم القوي».

أما الأزواج الحزينون، فما من شيء تفعله لهم إلا أن تقدم إليهم مربى التوت مع الفطائر المحلاة.

(٧)

السيدة ملعقة ترعى الطفل

سأقص عليكم الآن ما حدث يومَ طُلب من السيدة ملعقة أن ترعى الطفل.

كان الوقت باكرًا في الصباح، وقد أرسلت السيدة ملعقة زوجها إلى العمل. وكما تفعل الزوجات عادة، أعدت القهوة والشطائر لغدائه ووقفت قرب النافذة ولوَّحت له حتى غاب عن ناظريها. ثم عادت، كما تفعل الزوجات الأخريات، إلى الفراش لتنال قليلًا من النوم بعدُ، تاركة كل الأعمال المنزلية لوقت لاحق.

كانت قد نامت بضع ساعات حين قُرع الباب، فنظرت إلى الساعة وقالت: «يا رب السماء! أنمتُ كل هذا الوقت؟» ولبست ثيابها على عجل وركضت لتفتح الباب.

في الرواق الخارجي وقفت سيدة تحمل بين ذراعيها طفلًا صغيرًا.

«أرجو المعذرة لأني قرعت الباب»، قالت السيدة.

«أهلًا بك»، قالت السيدة ملعقة.

«أقيم أنا وطفلي مع خالتي في الجوار، كما ترين، وعلينا الذهاب اليوم للتبضع في البلدة. ولا يمكنني أخذ روجر وليس في البيت أحد يعتني به».

«أوه، لا عليكِ!»، قالت السيدة ملعقة. «سأرعى ولدك الصغير». (وقالت في نفسها: «لست أدري كيف أتدبر أمري وعندي كل هذه الأعمال وقد تأخرت في النوم»). ثم قالت: «أتأتي إلى السيدة ملعقة يا روجر؟ هذا جيد!»، وتناولت الطفل من السيدة.

«ليس عليكِ أن تطعميه»، قالت السيدة، «فقد جلبتُ بعض التفاحات التي يمكنه أكلها إن بدأ يمصّ أصابعه».

«حسن جدًّا»، قالت السيدة ملعقة ووضعت التفاحات في طبق على طاولة جانبية.

ودعتها السيدة ووضعت السيدة ملعقة الطفل على بساط غرفة المعيشة، ثم ذهبت إلى المطبخ لتجلب مكنستها وتبدأ الكنس. غير أنها انكمشت في تلك اللحظة بعينها.

«يا إلهي! يا إلهي! ماذا سأفعل؟»، قالت باكية، إذ كانت أصغر حجمًا من الطفل. تخلت عن فكرة تنظيف البيت، وستقول لزوجها عند عودته إنها عانت صداعًا.

«لا بد لي أن أذهب وأرى ما الذي يفعله الصغير»، قالت لنفسها ثم صعدت العتبة ودلفت إلى غرفة المعيشة. لكنها وصلت متأخرة!

فقد حبا روجر على الأرض وكاد يجر مفرش الطاولة مسقطًا معه علبة المربى، ورغيفًا من الخبز وإبريقًا كبيرًا من القهوة!

لم تُضِع السيدة ملعقة الوقت، إذ أدركت أن الطاولة بعيدة عنها جدًّا، فدفعت كأسًا فضيًا كبيرًا موضوعًا على الأرض بانتظار تلميعه. فاز به زوجها في مسابقة للتزلج منذ سنوات عديدة في شبابه.

أحدث الكأس صوتًا مدويًا قويًّا لدى وقوعه، واستدار الطفل وأخذ يزحف نحوها.

«جيد»، قالت السيدة ملعقة، «العب بها؛ فلن تستطيع كسرها».

لكن روجر لم يكن يريد الكأس الفضي، إذ قال مغرغرًا: «ها دمية! ها دمية!»واتجه رأسًا نحو السيدة ملعقة، وجذبها من وسطها قبل أن تتمكن من الفرار! فهزها أعلى وأسفل، وكلما ركلت السيدة ملعقة وتلوَّت لتحرر نفسها ضحك وصاح: «دغدغ! دغدغ!»، لأنها دغدغت يديه بقدميها.

«أطلقني! أطلقني!»، صرخت السيدة ملعقة، لكن روجر اعتاد سماع أبيه يقول: «لننطلق!»، حين يرميه في الهواء ويمسكه. فصاح روجر «نطلق! نطلق!»، وألقى بالعجوز الصغيرة في الهواء بكل قوة ذراعيه القصيرتين. ارتفعت السيدة ملعقة وارتفعت، حتى كادت تبلغ السقف! ولكنها حطت على الأريكة، لحسن الحظ، وارتدَّت مرات عدة قبل أن تتوقف.

«يا لسهولة الطيران في الهواء!»، قالت لاهثة. «لو أن هذا حدث لي وأنا في حجمي العادي لكُسر كل عظم في جسمي. آه، حسن لا بد أن أعرف ما الذي ينويه صديقي الصغير الآن».

وعرفت سريعًا، فقد أمسك روجر بعلبة الثقاب وحاول إشعال عود منها. لكنه استخدم الجانب الخطأ من العلبة، وتعين على السيدة ملعقة أن تسرع في التفكير.

«يحب الصغار تقليدك في كل ما تفعل، لذا سآخذ هذه الجوزة وأرميه بها، ثم سيرميني بها كما أرجو».

وجدت الجوزة على الأريكة وتعجلت في رميها فلم تحسن التسديد. لكنها كانت رمية من غير رامٍ وأصابت روجر خلف أذنه فاستدار. «ماذا بوسعي أن أرمي أيضًا؟»، تساءلت السيدة ملعقة، ولم يكن لهذا من داعٍ فقد رآها الصغير وترك علبة الثقاب وأخذ يحبو نحو الأريكة.

«ها دمية! ها دمية!» غرغر مبتهجًا. ثم بدأا لعبة طريفة من الغميضة، كانت طريفة في نظر روجر على الأقل، ولم تكن مسلية جدًّا في نظر العجوز المسكينة السيدة ملعقة التي اضطرت إلى الاختباء بين المخدات لتبتعد عنه. وتمكنت أخيرًا من تسلق الطاولة الجانبية حيث تحتفظ بنبتة نفيسة من إبرة الراعي في أصيص.

«آها، لن تستطيع الإمساك بي الآن!»، قالت وهي تشعر بكثير من الأمان.

فعزم الطفل على العودة إلى علبة الثقاب. وصاحت به السيدة ملعقة: «كلا، كلا، كلا!»، غير أن روجر لم يكترث. وحين رأته يحاول إشعال عود آخر، أسندت ظهرها إلى الأصيص ودفعته فسقط على الأرض وانكسر.

ترك روجر علبة الثقاب في الحال من أجل هذه الفوضى الجديدة المثيرة من التراب وكِسر الأصيص. ودفن يديه فيه وأخذ يضعه في فمه مغرغرًا: «يم يم لذيذ!».

«كلا، كلا، كلا!»، صاحت به السيدة ملعقة ثانية. «أوه، ماذا أفعل؟»، ووقع نظرها على التفاحات اللاتي تركتهن والدة روجر، إذ كنَّ بجانبها في الطبق. ودحرجتهن الواحدة تلو الأخرى من حافة الطبق إلى الأرض. رآهن روجر يتدحرجن، واعتزم ملاحقتهن، ناسيًا أمر طعامه اللذيذ من الطين والأصيص المكسور. أصبحت التفاحات على الأرض وحبا الطفل متنقلًا بينها سعيدًا.

قُرع الباب.

«ادخل»، قالت السيدة ملعقة.

فتحت والدة روجر الباب ودخلت، وكانت السيدة ملعقة ماثلة هناك، تحمل مجرودًا مليئًا بالطين والكِسر في يد ومكنستها في الأخرى.

«أكان شقيًّا؟»، سألت السيدة.

«كان هادئًا كالملاك»، قالت السيدة ملعقة. «قضينا وقتًا ممتعًا، ألس كذلك يا روجر؟» وناولته أمَّه.

«سآخذك إلى البيت أيها الغالي»، قالت السيدة.

لكن الصغير شرع يبكي: «ها دمية! ها دمية!» قال ناشجًا.

«تريد دميتك؟» قالت أمه، «لكنك لم تجلب دمية، بل ليس عندك واحدة في البيت». التفتت نحو السيدة ملعقة: «لا أدري ما يعنيه».

«أوه، يقول الأطفال أشياء كثيرة لا يفهمها البالغون»، قالت السيدة ملعقة ولوَّحت مودعة روجر وأمه.

ثم شرعت تنظف بيتها.

(٨)

حارس پنس السيدة ملعقة

وقعت أمور غريبة في بيت السيدة ملعقة. حدث هذا حين وقفت بالباب فتاة صغيرة تبيع بطاقة يانصيب بپنس للفوز بمفرش طاولة. قلبت السيدة ملعقة البيت رأسًا على عقب حتى عثرت على پنس، كان لامعًا جميلًا لأن أحدًا ما لَمَّعه. وحينها أخذت تكتب اسمها على البطاقة، سقط الپنس على الأرض ووقع في شق الباب الخفي المؤدي إلى القبو.

«يا لحظي التعس»، قالت السيدة ملعقة وهي تراه يختفي. «لن أتمكن من شراء بطاقة اليانصيب. لكني لن أدعك تذهبين دون أن أعطيك شيئًا؛ ما رأيك ببسكويتة لذيذة من صنعي؟» ووقفت على مقعد لتتناول علبة البسكويت.

كانت العلبة فارغة، وقلبتها السيدة ملعقة لكنها لم ترَ أثرًا لأي بسكويتة.

«لا أفهم الأمر»، قالت. «لقد خبزت وجبتين كاملتين من

البسكويت يوم الجمعة. واليوم هو الاثنين، والعلبة فارغة. غريب جدًّا، لكن لديَّ شيء سيعجبك أكثر أيتها الصغيرة». وفتحت السيدة ملعقة الباب الخفي المؤدي إلى القبو ونزلت الدرجات لتجلب علبة كبيرة من هلام العليق الذي بقي من أيام الصيف.

ويا لغرابة ما رأته عيناها!

«يا رب السماوات الرحيم!»، قالت، إذ كانت علبة هلام العليق الكبيرة مكسورة تحت الرف والهلام يسيل على الأرض بهدوء. وعلى الخط الدبق الصغير آثار أقدام فأرة ركضت نحو المدفأة.

ما كان من الأمر مناص، لا بد أن تصعد السيدة ملعقة إلى الفتاة الصغيرة وتخبرها بأنها لن تحصل على هلام العليق. لكن البنت قالت: لا بأس، وانحنت بتهذيب قبل أن تذهب إلى البيت المجاور.

أخذت السيدة ملعقة مصيدة فئران ونزلت درجات القبو، ووضعت في المصيدة طُعمًا من الجبن وتركته على الأرض بحذر. واستدارت بعد انتهائها لتصعد، لكن حاشية تنورتها حفت المصيدة، وسناپ! انغلقت المصيدة على حاشية تنورتها. وكان هذا وحده سيئًا، والأمرُّ أنها انكمشت عندئذ!

«إني عالقة حقًّا!»، قالت في نفسها، وكانت كذلك ولم تستطع التحرك قيد أنملة. مضى على جلوسها برهة من الزمن فرأت فأرًا صغيرًا يسترِق النظر من حافة أصيص فارغ.

«اخرج واظهر، عليك الأمان»، قالت السيدة ملعقة، «فأنا مربوطة بإحكام ولا يسعني إيذاؤك هذه اللحظة».

لكن الفأر الصغير انطلق كالسهم إلى صندوق فارغ من الورق المقوّى وأنتأ فأران صغيران أنفيهما من زاويته.

«واحد وواحد يساويان اثنين»، قالت السيدة ملعقة. «تعلمت هذا في المدرسة، ولن يصيبني العجب إن جئت بواحد ثالث، فواحد واثنان يساويان ثلاثة!».

كانت محقة.

انطلق الفأران الصغيران معًا وظلا بعيدين لوقت طويل أثناء جلوسها وانتظارها. فسمعت فجأة صوتًا صغيرًا. پنغ! پنغ! وتقدم نحوها فأر كبير على ساقيه الخلفيتين وهو يدق صِنجًا لامعًا بدبوس صغير من الفولاذ. كان الصنج الصغير پنس السيدة ملعقة الضائع!

انحنى الفأر الكبير: «أحييك يا ملكة البيت!» وأطل الفأران الصغيران من خلفه.

«حمدًا للرب على هذا!»، قالت السيدة ملعقة، «ظننت لوهلة أنك قادم لالتهامي، فأنت أكبر مني بكثير!».

«ليس من شيمنا التهام الملكات»، قال الفأر الكبير. «أردت إخبارك أن في بيتك لصًّا».

نخرت السيدة ملعقة: «لص حقًّا! لديَّ قطعًا؛ أنت وكل فئرانك

اللصوص في بيتي؛ پنس مَن هذا الذي تستخدمه صنجًا إن جاز لي السؤال؟».

«أوه، أهذه حقيقته؟ پنس؟»، قال الفأر الكبير، «حسن، لقد تدحرج من شق في أرضيتك كما تعلمين، لذا ظننت أن بوسعي استخدامه لإخافة اللص ولأثبت لك أني الحارس في هذا البيت. إنك بحاجة إلى حارس حقًّا، يا ملكة البيت، ليحمي لك متاعك».

«يا له من كلام فارغ!»، قالت السيدة ملعقة. حاولت الوقوف لكن هذا صعب ما دام ثوبها عالقًا في المصيدة وهي صغيرة جدًّا.

«هوِّني عليك يا ملكة البيت»، قال الفأر الكبير، «دعي ابني يقص عليك ما رأى».

فاقترب واحد من الفئران الصغيرة وجلًا، وقال إنه صعد المدفأة يومًا واسترق النظر من ثقب في المطبخ. وهناك رأى وحشًا مريعًا يأكل البسكويت من العلبة.

ثم جاء الفأر الآخر مسقسقًا ليقول إنه كان يلعب الغميضة خلف علبة المربى على الرف حين مد الوحش يدًا ضخمة وأخذ المربى. لكنه ذعر لدى رؤية الفأر الصغير وأوقع علبة المربى على الأرض، فانسكب هلام العليق.

سمعوا خبطًا فجأة: ترامپ! ترامپ! ترامپ! في الأعلى؛ صوت وقع حذاء كبير يمشي.

«هذا هو الوحش!»، قال واحد من الفئران الصغيرة.

«أجل، هذا هو قطعًا!»، قال الآخر.

«إنه حقًّا!»، قالت السيدة ملعقة. «لو استطعتُ الخروج من هذه المصيدة، لوددت الذهاب والنظر إلى هذا الوحش».

«سنساعدك»، قالت الفئران كلها وشرعوا يعملون على إطلاق سراح السيدة ملعقة من المصيدة على نحوٍ لا تعرفه إلا الفئران؛ فقد قرضوا تنورتها مخلِّفين قطعة منها عالقة في المصيدة.

«عليكِ الإسراع بالذهاب إلى المطبخ لرؤية الوحش»، قالوا.

«ولكن أنَّى لي أن أصل إلى هناك؟»، سألت السيدة ملعقة.

«من الأعلى عبر المدخنة على حبلنا الخاص؛ سنجذبك».

وهذا ما فعلوه، إذ رفعوا السيدة ملعقة أعلى فأعلى داخل المدخنة حتى استطاعت أن ترى لمحة من الضوء.

«هذا ثقب يؤدي إلى المطبخ»، ناداها الفأر الكبير من تحتها.

فردت عليه: «شكرًا لك على المساعدة يا سيد حارس، وتيقظ جيدًا!».

وخرجت من الثقب. وحالما وضعت قدمها على الأرض عادت إلى حجمها المعتاد. ووقفت أمام الموقد ووضعت يديها على ردفيها وقالت: «هأنت ذا أنت إذن يا زوجي، مَن يأكل كل البسكويت ويسرق مربى التوت في القبو؟».

فبُهت السيد ملعقة: «كيف عرفت ذلك؟»، قال.

«لأن عندي حارسًا الآن، وقد دفعت إليه پنسًا»، قالت السيدة ملعقة.

(٩)

قصة الحظ التعس

إن سرتَ في الطريق وتجاوزتَ بيت السيدة ملعقة وانعطفتَ نحو اليمين ثم إلى اليسار وأكملتَ إلى الأمام، فستجد كوخًا.

في هذا الكوخ عاشت عجوز يسمونها «السيدة مصيبة»، لأنها تؤمن بالطالع وتتوقع حدوث الأسوأ. والأمر الغريب فيها أيضًا سرقتها الفسائل من أصص الزرع في بيوت الآخرين. ليس هذا بالأمر الجلل، غير أن الزهور تذبل أحيانًا بعد أن تقطع منها شتلة. وقد آمنت السيدة مصيبة أن النبتات المسروقة تُزهر أكثر من أي نبتة تُهدى إليكَ، غير أن هذه ليست إلا حكاية من حكايا الزوجات العجائز.

زارت ذات يوم العجوز الصغيرة السيدة ملعقة، وجلست على طرف الكرسي بتهذيب شديد وتحدثت في شتى الأمور، لكنها طوال الوقت تنظر حولها إلى النبتات على أسكفة نافذة السيدة ملعقة.

«لا بأس، أمعني النظر»، قالت السيدة ملعقة في نفسها. «أعلم

ما تعتزمينه، تودين أخذ شتلة من أجمل زهور إبرة الراعي عندي. لكننا سنهتم بهذا يا سيدتي العزيزة!».

قُرِع الباب في تلك اللحظة لسوء الحظ، وتوجَّب على السيدة ملعقة أن تترك زائرتها وحدها لتفتح.

وقف رجل بالباب. «أيسكن هنا أحد يدعى كَثبرستن؟»، سأل.

«كثبرستن؟ ما من أحد هنا بهذا الاسم، على حد علمي»، قالت السيدة ملعقة. «عليك أن تسأل مكتب البريد. اعذرني فأنا مشغولة الآن»، واستدارت لتغلق الباب.

فات الأوان! إذِ انكمشت السيدة ملعقة في تلك اللحظة!

ومطَّت عنقها بأقصى ما استطاعت لتنظر من عتبة الباب إلى غرفة المعيشة. حتمًا! كانت السيدة مصيبة تعاين أصص السيدة ملعقة.

«يخامرني شعور بأنك ستندمين على هذا يا سيدتي اللصة»، قالت السيدة ملعقة في نفسها وهي ترمي بنفسها من فوق العتبة إلى الفناء. وهنالك وجدت طائر ذُعرة ينقر الأرض بحثًا عن شيء يأكله.

«مرحبًا أيها الذعرة الصغير»، قالت. «إن ساعدتني ساعدتك. يمكنك الحصول على ما شئت من الفتات إن ذهبت إلى العتبة الأمامية ووقفت بهدوء قبالة الباب».

«هذا أمر هين»، قال الذعرة وقفز في الفناء.

لا شك أن السيدة مصيبة تتساءل عمَّا حدث لسيدة البيت.

فجاءت إلى الباب وأطلَّت منه، واضعة يدها بحرص على جيب مئزرها حيث خبأت شتلة إبرة الراعي.

ورأت الذعرة على العتبة. «آه يا لتعس الحظ!»، قالت شاكية، «لقد نظرت إلى وجه الذعرة، وسيكون حظي تعسًا لعام».

وأسرعت خارجة من البيت وهي تمسك بجيب مئزرها.

لكنها وجدت الذعرة يتبعها وهو يطير فوق رأسها حاملًا على ظهره السيدة ملعقة، التي قالت وهي تلف يديها حول عنق الذعرة: «أتعرف أين يمكننا العثور على قطة سوداء؟».

«قطة سوداء؟»، رد الذعرة، «أحسبني أعرف! كانت القطة المريعة مختبئة بانتظاري عند منعطف الدرب، ولعلها لم تزل هناك. فلا تطلبي مني أن أحط في مكان قريب منها».

«لا تقلق!»، قالت السيدة ملعقة، «أريد منك أن تنزلني على الجانب المقابل من الدرب؛ عندي خطة صغيرة».

ففعل الذعرة ما طلب منه وطار بعيدًا عن الخطر بأسرع ما استطاع.

أقعت السيدة ملعقة بين العشب الطويل، ورأت ذيل القطة يتمايل جيئة وذهابًا في الحفرة الكائنة في الجانب الآخر من الدرب. ثم سمعت: كلمپ كلمپ كلمپ، وقع حذاء السيدة مصيبة وهي تمشي على الدرب.

ومرت بمخبأ السيدة ملعقة، التي أصدرت صوتًا كصوت نداء

الذعرة. سمعت القطة السوداء ذلك، وقطعت الدرب بسرعة البرق ووقفت أمام السيدة مصيبة.

فوقفت بلا حراك في مكانها وصاحت: «قطة سوداء! هذا يعني ثلاث سنوات من الحظ التعس! أوه يا مصيبة، ماذا ستفعلين؟» كانت شديدة الخوف ولم تجرؤ على المضي قدمًا، بل أخذت الدرب عبر الغابة إلى بيتها.

سارت القطة في الاتجاه نفسه، إذ امتطتها السيدة ملعقة. «أرأيت عقعقًا في الجوار؟» سألت القطة.

«أحسبني رأيت!»، قالت القطة. «في شجرة البتولا تلك عقعقان؛ يغايظاني ويشدان ذيلي كلما سنحت لهما الفرصة. انظري! ها هما بانتظاري الآن!».

«بوسعك إنزالي هنا إذن»، قالت السيدة ملعقة. «تعالي لرؤيتي غدًا وسأقدم إليك وعاء من القشدة».

فعلت القطة ما قيل لها، وأخذت السيدة ملعقة تحادث العقعقين في شجرة البتولا.

«عصرية طيبة»، قالت. «أتراكما تجدان في عشكما شيئًا يشبه سلسلة المفاتيح؟».

«أوه كلا»، قال العقعقان، «ليس عندنا سلاسل مفاتيح. نحن لا نجمع إلا كِسر المرايا».

«الجود من الموجود»، أجابت السيدة ملعقة. «أود منكما أن

تضعا كِسرًا جميلة على عتبة السيدة مصيبة. إن فعلتما هذا من أجلي، فسأبقي لكما الذيل الملتف عندما نذبح الخنزير في عيد الميلاد».

ما كان لتكرار الطلب على العقعقين من داعٍ، فقد كوَّما كِسر المرايا على عتبة السيد مصيبة كلمح البصر.

وحين وصلت ورأت ما ينتظرها، جلست وبكت.

«أوه يا لتعسي! أوه يا لمصيبتي! المرآة المكسورة تعني سبع سنوات من الحظ التعس!».

غير أن السيدة ملعقة استعادت حجمها الطبيعي، وتقدمت بهدوء إلى الزاوية وتحدثت بصوت رحيم.

«هوِّني عليك يا سيدة مصيبة»، قالت، «لا يجدر بك الجلوس والبكاء».

«أوه، يا سيدة ملعقة! لا أبكي إلا على تعس حظي من البداية إلى النهاية»، نشقت، وقصَّت على السيدة ملعقة عن الذعرة الذي قابلته والقطة التي قفزت أمامها في الدرب والمرآة المكسورة الآن. ولمَّا انتهت نقبت في جيب مئزرها عن منديل.

فسقطت منه شتلة إبرة الراعي!

حملتها السيدة مصيبة وناولتها السيدة ملعقة. «هاك، خذيها! لقد سرقتها من بيتك، ولا بد أن تستعيديها، لأني لن أحتاج إبرة الراعي أو غيرها في هذا العالم كما أحسب!».

«لا تكوني سخيفة!»، قالت السيدة ملعقة. «ما رأيك لو نسينا كل هذا الكلام الفارغ؟ وسأهديك شتلة إبرة الراعي، فازرعيها وأنا موقنة أنها ستكبر لتكون أجمل زهرة زرعتها».

كانت مُحقة، فقد كبرت الشتلة الصغيرة لتصبح هائلة تحمل زهورًا حمراء قانية. ولم تكتفِ السيدة مصيبة بشكر السيدة ملعقة فحسب، بل صافحتها أيضًا، وهذا أسوأ أمر تفعله إن كنتَ ممن يؤمنون بالنذر.

لكنها غيرت أفكارها منذئذ، ولم يعد الناس يسمونها السيدة مصيبة، بل ينادونها السيدة براون فقط.

(١٠)

السيدة ملعقة والموظ

كان الفصل شتاء، وواجهت السيدة ملعقة مصاعب في الحصول على الماء. وغدا الصنبور في مطبخها أبطأ وأبطأ، حتى أخذ يقطر ذات يوم ثم توقف تمامًا، فقد كانت البئر فارغة.

«آه، حسن»، قالت السيدة ملعقة، «هذه ليست المرة الأولى التي أواجه فيها هذه المتاعب ولن تكون الأخيرة. ولكننا سنتمكن من حل هذا الأمر بذراعين قويتين ودلو متين مكين، ناهيك بالاحتمال الطيب في العثور على بئر أخرى قرب سور الغابة».

ولبست معطف زوجها الشتوي القديم وقفازين سميكين وأخذت معولًا من عرزال الحطب. ثم مشت متثاقلة في الثلج أسفل التلة، حيث كان قرب سور الغابة منحدر. أبعدت الثلج وأخذت تكسر الجليد بالمعول، وتطايرت رقائق الثلج هنا وهناك والسيدة ملعقة تعزق دون أن تنظر يمنة ولا يسرة. وأصدرت ضجيجًا عاليًا فلم تسمع صوت تكسر الأغصان، ولا النخير القادم من الجانب الآخر للسياج.

لكنه واقف هناك؛ موظ ضخم له قرون كبيرة هائلة، لا يتحرك بل يحدق غاضبًا إلى السيدة ملعقة. ثم نخر فجأة نخرة عالية جدًّا وقفز من فوق السياج، ناطحًا السيدة ملعقة من الخلف، فانقلبت رأسًا على عقب في كومة من الثلج!

«يا للهول!»، قالت السيدة ملعقة وهي تتخبط للوقوف على قدميها. غير أن الموظ عاد خلف السياج عندئذ. ولَمَّا رأتِ السيدة ملعقة ما دفعها، لم تُضِع وقتها في صعود التل والذهاب إلى بيتها، مغلقة الباب. ثم أطلت من نافذة المطبخ لترى إن كان الموظ لم يزل هناك، وكان.

«انتظر أيها البهيمة الضخم الكبير!»، قالت السيدة ملعقة، «سأخيفك خوفًا لن تنساه ما حييت!».

فلبست عباءة مطرية سوداء وقبعة بالية قديمة، وحملت في يدها عصًا كبيرة. ثم تسللت من الباب واختبأت عند زاوية البيت.

كان الموظ يقضم لحاء الشجر بهدوء كأنه لا يكترث لها.

ثم نزلت التلة مسرعة تصرخ: «وولا، وولا، وولا!» مثل هندي أحمر، والعباءة المطرية السوداء ترفرف على جانبيها والعصا تلوح في الهواء. كان يجب أن يخاف الموظ، غير أنه لم يرمِ إلا نظرة واحدة نحو الشيء المدوِّم القادم نحوه، وقفز من فوق السياج وتقدم لملاقاته.

يا للسيدة ملعقة المسكينة! كل ما فعلته أنها هرعت عائدة إلى الداخل بأسرع ما استطاعت.

«ماذا أفعل الآن؟»، تساءلت، «يجب أن أحصل على الماء لأسلق البطاطا وأغتسل، ثم إن فنجانًا من القهوة ليس سيئًا بعد كل هذه الإثارة. لعلي إن لبستُ سروال زوجي القديم وأخرجتُ سلاحه... بوسعي التظاهر بالتسديد إليه، لربما أخافه ذلك».

فلبستِ السروال وأخرجتِ السلاح، غير أن هذه أسخف فكرة خطرت لها؛ فقبل أن تبلغ منتصف الطريق نزولًا من التل، جاء الموظ واثبًا نحوها على قوائمه الكبيرة الطويلة. لم يتسنَ لها الوقت لتسديد السلاح، والأدهى أنها أوقعته وهي تجهد للإبقاء على السروال في مكانه وعادت جريًا إلى البيت في الوقت نفسه. رآها الموظ تختفي في الداخل، فاستدار ومشى نازلًا التل لكنه لم يقفز من فوق السياج هذه المرة، بل ظل قرب البئر كأنها يحرسها.

«آه، حسن»، قالت السيدة ملعقة. «عليَّ ملء الدلو بالثلج وتذويبه لأحصل على الماء الذي أريد. هذا الموظ لا يخاف شيئًا كما يتبين لي».

أخذت دلوها وخرجت، ولمَّا انحنت لتغرف الثلج انكمشت! لكن السحر كان أسرع من العادة، وتمكنت بطريقة ما من التدحرج داخل الدلو الملقى على جانبه. أخذ الدلو يتدحرج نازلًا التل، أسرع فأسرع ورأت السيدة ملعقة المسكينة النجوم في النهار وهي ترتج وترتج داخله.

فوق المنخفض القريب من البئر برزت كومة صغيرة فجأة، عندئذ قفز الدلو في الهواء. «هذه نهايتي!»، قالت السيدة ملعقة

في نفسها. وانتظرت الارتطام، لكنه لم يقع! بل بدا الدلو يطير في الهواء، فوق السياج وداخل الغابة. لو أتيح للسيدة ملعقة الوقت للتفكير، لأدركت أن الموظ أمسك بالدلو بواحد من قرونه، ولكن ليس سهلًا على المرء أن يفكر وهو يتأرجح بين السماء والأرض.

علق الدلو في نهاية المطاف على غصن وزمجر الموظ خلال الشجيرات التحتية. هدأت السيدة ملعقة هناك لاهثة، محاولة التقاط أنفاسها. لم تعرف مكانها، غير أنها سمعت: «تشك تشك! تشك تشك! تشك تشك!» صوت هذر سنجاب وهو ينزل جذع الشجرة فوق رأسها.

«يا للسماء!»، قال السنجاب، «أهذه السيدة ملعقة؟! أَخَرَجَت للتنزه أو شيء من هذا القبيل؟».

«ليست نزهة بالمعنى الحرفي»، قالت السيدة ملعقة، «لكني حصلت على توصيلة مجانية، رغم جهلي بمن أوصلني».

«هذا ملك الموظ»، قال السنجاب. «رأيته يعدو وفي عينيه نظرة ذعر. هذه أول مرة أراه خائفًا، أجزم بذلك. فهو شديد الغباء والعناد إلى حد لا يصدَّق، وكل ما يفكر فيه هو القتال؛ إذ يقدم على قتال كل شيء وكل أحد، وكلما كان أكبر كان أفضل. ولكنكِ أخفتِه خوفًا يكفيه».

«يسعدني أني استطعت ذلك في النهاية»، قالت السيدة ملعقة، «وسأكون أسعد إن عرفتُ كيف أعود إلى البيت».

ما كان عليها أن تقلق، إذِ استعادت حجمها المعتاد في تلك اللحظة بعينها، وعرفت بعدها أنها كسرت الغصن الذي جلست عليه وسقطت على الأرض. فنهضت وحملت دلوها وأخذت تسير نحو البيت. ولمَّا بلغت السياج استدارت نحو البئر لتملأ الدلو.

نظرت خلفها نحو الغابة، وهنالك وقف الموظ يطرف بعينيه نحوها. غير أن السيدة ملعقة لم تعد خائفة منه، فكل ما فعلته أن قعقعت بذلك الدلو قليلًا، فهز الحيوان الضخم رأسه واختفى بصمت في الغابة.

ومنذئذ لم تعانِ السيدة ملعقة متاعب في جلب الماء من البئر الواقعة قرب سياج الغابة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(١١)

السيدة ملعقة تعثر على كنز دفين

كان يومًا مشمسًا جميلًا من أيام يناير، والسيدة ملعقة تقشر البطاطا عند حوض المطبخ.

«مياو!»، قالت القطة؛ إذ كانت تستلقي أمام الموقد.

«مياو، أنتِ!»، أجابت السيدة ملعقة.

«مياو!»، قالت القطة ثانية.

فتذكرت السيدة ملعقة فجأة أنشودة باللغة القِدم تعلمتها في طفولتها، تقول ما يلي:

جلست القطة قرب النار،

كانت أوجاعها وآلامها مفرطة،

يا للنبض في رأسي،

قالت:

سأموت عمَّا قريب!

«يا للهرة المسكينة! أأوجاعك وآلامك شديدة؟ أينبض رأسك؟»، قالت وابتسمت للقطة.

لكن القطة اكتفت بالنظر إليها.

توقفت السيدة ملعقة عن تقشير البطاطا، ومسحت يديها وجثت قرب القطة. «لديك ما تخبريني به، أليس كذلك أيتها الهرة؟ يسوؤني أني لا أفهمك إلا حين أكون صغيرة، لكن هذا ليس ذنبي»، ومسدت شعر القطة، لكنها لم تخرخر بل واصلت النظر إليها.

«حسن، لا يمكنني قضاء اليوم بأكمله في التحسر عليكِ يا فتاتي، فعندي زوجٌ أطعمه»، قالت السيدة ملعقة وعادت إلى البطاطا في الحوض. ثم وضعتها في كِفْت من الماء البارد على الموقد، دون أن تنسى وضع قَدر جيد من الملح. وأعدت المائدة لأن زوجها يتناول غداءه في تمام الساعة الواحدة، وقد كانت الثانية عشرة والنصف.

كانت الهرة قرب الباب وقالت: «مياو!» وهي تخربشه.

«أتودين الخروج؟»، قالت السيدة ملعقة وفتحت الباب. تبعت القطة خارجًا لأنها رأت مكنستها واقعة في الثلج، وانغلق الباب خلفها.

فانكمشت في تلك اللحظة عينِها إلى حجم ملعقة الشاي!

«في الوقت المناسب أيضًا!»، قالت القطة. «فقد انتظرت حدوث هذا أيامًا. والآن دعينا لا نهدر مزيدًا من الوقت؛ اقفزي إلى ظهري! سننطلق في الحال».

لم تنتظر السيدة ملعقة لتسأل أين تذهبان، بل صعدت ظهر القطة التي قالت: «تمسكي جيدًا!»، وقفزت من فوق السور الصغير الواقع خلف البيت وتجاوزت قمامة السيدة ملعقة.

«سنصل إلى العائق الأول»، قالت الهرة، «فاثبتي في جلستك ولا تنطقي بحرف!» وكل ما أمكن السيدة ملعقة رؤيته شجرة بتولا وحيدة عليها عقعقان. صحيح أن حجم الطائرين بحجم الصقرين والشجرة مثل الجبل في نظرها، ولكن حين أخذ العقعقان ينعقان، أدركت السيدة ملعقة ما أرادته القطة بقولها.

«ها هي القطة! ها هي القطة!»، زعقا، «لنعض ذيلها! لنشد شاربها!» ونزلا يحوِّمان فوق رأس السيدة ملعقة وكادت أن تسقط عن ظهر القطة. غير أن القطة لم تأبه بهذا كله، وواصلت في دربها نزولًا من التل بهدوء، وسرعان ما سئم العقعقان من لعبتهما.

«انتهى الأمر!»، قالت القطة. «علينا أن نحذر ثانيًا من ضرب الأولاد لنا بكرات الثلج. يتعين علينا عبور ملعب الأولاد الآن، وإن سدد أحدهم نحوك، فاختبئي خلف أذنيَّ وتمسكي!».

نظرت السيدة ملعقة إلى الأولاد، فهي تعرفهم كلهم، وكثيرًا ما قدمت إليهم الحلويات والبسكويت، فقالت في نفسها: «لن ينالونا بأذى».

ثم سمعت واحدًا منهم يقول: «ها قد أتت القطة الغبية؛ لنرَ

من يمكنه إصابتها أولًا! هيا يا أولاد!» وأخذوا يرمون كرات الثلج بأشد ما استطاعوا.

تذكرت السيدة ملعقة حجمها الصغير فجأة، ففعلت ما أشارت به عليها القطة، وأقعت خلف أذني القطة حتى صارتا بعيدتين عن مرمى كرات الثلج.

واصلت القطة جريها حتى وصلتا إلى سياج مشبك فيه فتحة تكفي لتتسلل منها.

«كلما بعدنا كان أفضل»، قالت. «وها قد حان دور الجزء الأسوأ، لأن هذه أرض الكلب، ولا نود أن نقع في قبضته، فانتبهي جيدًا!».

كان السياج يفصل أرض السيدة ملعقة عن أرض جيرانها، لكنها تعرف كلب الجيران جيدًا؛ إذ أعطته الكثير من العظام وبواقي الطعام، وكان ودودًا دومًا. «سنكون بخير هنا»، قالت في نفسها.

لكنها كانت مخطئة. ودونما سابق إنذار، انقض الكلب فجأة عليهما بقفزات ووثبات كبيرة! فارتجفت السيدة ملعقة مثل الهلام حينما رأت فكه مفتوحًا أحمر، وأسنانه الحادة البيضاء تلمع لمعانًا مرعبًا. فاستلقت على ظهر القطة وتمسكت طلبًا للنجاة إذِ انطلقت القطة مثل قمر سبوتنك الصناعي عابرة الفناء نحو حظيرة الجيران.

«ووه!»، قالت القطة، «نجونا بأعجوبة! شكرًا لك لقدومك كل هذه المسافة معي؛ أخشى أنها لم تكن بالرحلة المريحة».

«لا بأس. لعلكِ تخبريني الآن ما سبب مجيئنا؟»، قالت السيدة ملعقة.

«إنها مفاجأة. ولكن لا تقلقي، ستنالين نصيبك. كل ما علينا فعله الآن هو العثور على الكنز الدفين، وهذا يعني الزحف في التبن، فتشبثي!».

وانطلقتا ببطء هذه المرة، إذ كان صعبًا أن يشقًّا طريقهما بين السيقان الشائكة التي بدت مثل سوق الفاصولياء في نظر السيدة ملعقة. كان الغبار مريعًا فتسلل إلى عينيها وفمها وشعرها وأسفل عنقها، وفي كل مكان.

«أتستطيعين رؤية أي شيء؟»، سألت القطة.

«ليس إلا السواد»، أجابت السيدة ملعقة، «ويبدو أنه يزداد سوادًا».

«هذا يعني غالبًا أننا على الطريق الصحيح»، قالت القطة وهي تزحف داخل التبن. «أترين شيئًا الآن؟».

«لا شيء أبدًا»، قالت السيدة ملعقة، إذ كان الغبار وعصافة التبن يملأان كلتا عينيها.

«جربي أن تفركي عينيك، لأن هذا هو مكان الكنز المخبوء»، قالت القطة.

فركت السيدة ملعقة عينيها، وطرفتهما وفركتهما ثانية حتى

تمكنت من فتحها. فدهشت لِمَا رأت، إذ تلألأت من حولها أروع الحلي! ماس وزفير وزمرد، تلمع بكل الألوان!

«إليكِ! ألم أخبرك أن عندي كنزًا دفينًا من أجلك؟»، قالت القطة لكنها لم تمنح السيدة ملعقة وقتًا لتنظر نظرة أقرب. «علينا الإسراع في العودة، فقد كاد زوجك يصل من أجل الغداء».

لذا زحفتا عائدتين خلال التبن، وحالما خرجتا إلى ضوء النهار عادت السيدة ملعقة إلى حجمها المعتاد. وحملت القطة بين ذراعيها وعبرت بها الفناء. كان الكلب هناك، ويا له من كلب مختلف! فقد مرَّغ أنفه بتنورة السيدة ملعقة وهز ذيله بأشد ما يكون الود.

وعبرتا البوابة ووصلتا إلى مكان لعب الأولاد، فأومأ كل واحد منهم إليها بتهذيب وقال: «صباح الخير». ثم ارتقتا التل ووجدتا العقعقين على شجرة البتولا، غير أنهما لم يصدرا صوتًا، بل كأنهما لم يرياهما تمشيان.

أنزلت السيدة ملعقة القطة بعدما وصلتا إلى البيت وأسرعت إلى الداخل. كانت الساعة تقارب الواحدة، فرفعت الكفت عن الموقد؛ وقد التصقت بقعره بضع حبات من البطاطا، فرمتها وأفرغت البقية في وعاء أزرق، وأخرجت الكفت من الباب الخلفي بعد ملئه بالماء البارد.

كان كل شيء جاهزًا لدى وصول السيد ملعقة، فتشمم متشككًا: «أشم رائحة بطاطا محروقة»، قال.

«كلام فارغ»، قالت السيدة ملعقة، «لقد ألقيت في الموقد قليلًا من قشور البطاطا فحسب. لكني هوَّيت الغرفة عندها، فاجلس وتناول غداءك».

«ألن تأكلي؟»، سأل زوجها.

«ليس الآن»، أجابت السيدة ملعقة، «عليَّ الذهاب لجلب شيء ما أولًا، ولن أتأخر». ونزلت السيدة ملعقة التل ثانية، وعبرت البوابة إلى فناء جيرانها، وإلى الحظيرة. لكنها هذه المرة تسلقت التبن ووجدت البقعة المخبَّأ فيها كنزها.

وماذا تظنونه كان؟

أربع هريرات سوداوات صغار لهن أعين براقة!

(١٢)

السيد ملعقة

ها قد عرفتم الكثير عن السيدة ملعقة، لكنكم لا تكادون تعرفون شيئًا عن السيد ملعقة.

إنه يدخل عادة في نهاية الحكايات، حين تكون السيدة ملعقة في حجمها المعتاد ومشغولة بإعداد الغداء. وإن لم يكن الطعام جاهزًا فإنه يقول دومًا: «ألا يسع الرجل أن يتناول غداءه في موعده في هذا البيت؟» أمَّا إن كان جاهزًا فإنه يكتفي بالجلوس والأكل دون قول شيء أبدًا. إن كان الطقس باردًا في الخارج قال: «بررررر!»، وإن كان حارًّا، قال: «أوووه!» وإن فعلت السيدة ملعقة أمرًا لا يعجبه قال: «همممممم!» بنبرة مستهجنة. وإن فكر في فعل شيء لا يريد للسيدة ملعقة أن تعرفه، جال البيت مصفِّرًا لنفسه مترنمًا بلحن خافت.

عندما عاد إلى البيت ذات مساء، صعد إلى العِلية. لقد خبأت السيدة ملعقة هناك أربع هريرات سود، لأن السيد ملعقة لا يحب الهريرات الصغيرات (بعض الناس لا يحبون الهريرات كما تعرفون).

وحين نزل السيد ملعقة من العِلية، وقف وسط الغرفة وقال: «هممم!» وبعد برهة قصيرة أخذ يصفِّر ويترنم بأغنيته.

لم تقل السيدة ملعقة شيئًا رغم معرفتها بمعنى ذلك. بل تناولت معطفه الشتوي من المشجب وأخذت ترفو ثقبًا فيه.

«لماذا تصلحين هذا المعطف؟»، قال السيد ملعقة.

«إن الطقس يزداد برودة، وستحتاجه»، قالت السيدة ملعقة.

«ومن قال إني خارج؟»، سأل السيد ملعقة.

«بوسعك فعل ما تشاء»، قالت زوجته، «سأبقى حيث أنا».

«حسن، ربما سأتنزه قليلًا في الخارج على أية حال»، قال السيد ملعقة.

«هذا ما ظننته»، قالت.

عاد السيد ملعقة إلى العِلية، ووجد جرابًا كبيرًا ودس داخله الهريرات الأربع. ولدى نزوله السلم، فكر في لبس المعطف الشتوي. فأنزل الجراب وذهب إلى المطبخ، فوجد المعطف معلقًا على كرسي.

«سأخرج الآن!»، قال ظانًّا زوجته في غرفة الجلوس. لم يسمع ردًّا، لكنه لم يبالِ بتكرار قوله، إذ خشي أن تخرج الهريرات من الجراب الذي لم يُحكِم ربطه، وألقاه بسرعة على كتفه وخرج.

كانت ليلة باردة؛ نفخت فيها الريح ندف الثلج في وجهه، وامتلأ الطريق بالبرك المتجمدة.

«أف!»، قال السيد ملعقة، «هذا الطقس مناسب للغرق!».

«أليس هذا هو ما تود فعله بهريراتنا المسكينات؟»، قال صوت صغير من مكان قريب.

بوغت السيد ملعقة: «أسألك من أنت؟»، قال. وأنزل الجراب لينظر داخله، وحالما فتحه قفزت واحدة من الهريرات وولَّت الأدبار في الظلام.

«أوه يا إلهي، ماذا أفعل؟»، قال رابطًا الجراب ثانية بأسرع ما أمكنه. «لا يمكنني ترك الهريرة تجري في الأنحاء في ليلة كهذه».

«لن ينالها البلل أكثر مما سينالنا بعد انتهائك من أمرنا»، قال الصوت الصغير ثانية.

حل السيد ملعقة الجراب مرة أخرى ليعرف المتكلم، فقفزت هريرة ثانية واختفت في المطر والثلج. قال لنفسه وهو يعقد الجراب لئلا تخرج الهريرتان:

«ماذا لو أن الثعلب هجم على هاتين الصغيرتين؟ سيكون هذا مروعًا!».

«ليس بأسوأ حالًا من أن نكون بين يديك»، قال الصوت الصغير.

حرص السيد ملعقة هذه المرة على أن يضع يديه على الفتحة وهو يحل الجراب، غير أن قدمه انزلقت على الجليد واهتز الجراب في يده، وخرجت هريرة أخرى.

«لقد هربت ثلاث هريرات! هذا سيئ!».

«ليس بأسوأ حالًا من حالي!»، قال الصوت من داخل الجراب.

«أعلم من المتكلم»، قال السيد ملعقة، «إنها زوجتي العجوز التي انكمشت ثانية. ألستِ في الجراب؟ لكني سأمسك بكِ! انتظري فحسب!»، وفتح الجراب ثانية.

فقفزت الهريرة الرابعة وهربت في لمح البصر!

«بوسعكِ الهرب فلستُ أبالي!»، قال الرجل المسن. «سأمسك بزوجتي؛ فهذا كله من صنعها!» وجثا على ركبتيه ونقَّب في كل زاوية من الجراب، غير أنه ما وجد شيئًا، بل كان فارغًا تمامًا.

أثار هذا قلقه، بل كان شديد القلق وأخذ ينشج ويبكي، ونادى أثناء ذلك قائلًا: «پس، پس!»، وبحث في أنحاء المكان كله.

جاءت بنت صغيرة وسألته: «ماذا أضعتَ؟».

«بعض الهريرات»، قال السيد ملعقة ناشقًا.

«سأساعدك في البحث عنها»، قالت البنت الصغيرة.

ثم انضم إليهما صبي صغير، يحمل مصباحًا يدويًّا فأصبح البحث أسهل. وجدت البنت الصغيرة هريرة خلف جذع شجرة، ثم وجد الصبي الصغير هريرتين عالقتين في ركام ثلجي، ووجد السيد ملعقة الهريرة الرابعة ووضعها كلها في الجراب، عاقدًا إياه بإحكام هذه المرة.

«شكرًا على مساعدتكما»، قال للطفلين، وطلب منهما أن يعيدا الهريرات إلى بيته ويضعاها في مطبخه.

وبعد ذهابهما شرع يبحث عن زوجته العجوز الصغيرة. بحث لساعة؛ لساعتين ونادى وتوسل ونشج، وكان شديد الاضطراب. غير أنه استسلم في نهاية المطاف وقال لنفسه: «سأعود إلى البيت، وأعاود البحث غدًا».

ولدى وصوله إلى البيت وجد السيدة ملعقة، في حجمها المعتاد، تعمل بجد في المطبخ، وتقلي كومة كبيرة من الفطائر المحلاة! وقرب موقد المطبخ سلة من الخوص فيها القطة الأم وأربع هريرات.

«متى عدتِ إلى البيت؟»، سأل السيد ملعقة المدهوش.

«متى عدت إلى البيت؟ عجبًا، لقد كنت هنا طوال الوقت طبعًا»، قالت.

«ولكن من الذي كلمني من الجراب إذن؟».

«لا أدري»، قالت السيدة ملعقة، «إلا إن كان ضميرك»، ودنت منه وعانقته بقوة وقبَّلته.

جلس السيد ملعقة ليأكل أكبر كومة من الفطائر المحلاة رآها في حياته، وكلها مدهونة بمربى التوت، ولما شبع أكلت الهريرات آخر أربع فطائر.

وعاش السيد والسيدة ملعقة بعد ذلك بسعادة، وتوقفت السيدة ملعقة عن الانكماش زمنًا طويلًا.

(١٣)

السيدة ملعقة تمد يد العون

كان ذاك اليوم الأخير في مدرسة القرية وبداية إجازة الصيف، ولتزيين المدرسة جلب الأطفال الزهور التي قطفوها من حدائقهم أو من حدائق أقاربهم، وحملوا طاقات كبيرة على طول الطريق، وهم يغنون ويصيحون لأنها نهاية الفصل الدراسي. لوح لهم أمهاتهم وآباؤهم من النوافذ وتمنوا لهم يومًا أخيرًا سعيدًا.

وخلف إحدى النوافذ وقفت امرأة عجوز قصيرة تراقب مرور الأطفال، كانت هذه السيدة ملعقة.

لم يكن عندها أحد تتمنى له يومًا أخيرًا سعيدًا، إذ كبر أبناؤها وغادروا منذ زمن بعيد، ولم يطلب منها أحد الصغار أزهارًا.

لكن هذا ليس بصحيح تمامًا؛ إذ أعرف فتاة صغيرة قطفت الزهور من حديقة السيدة ملعقة. لكن هذا حدث منذ زمن طويل، بعد أن أخذت العجوز الصغيرة في الانكماش إلى حجم ملعقة الشاي في أشد اللحظات حرجًا.

في ذلك الصيف كانت حديقة السيدة ملعقة تغص بالزهور؛ فكان فيها الليلك الأبيض بأغصان مثقلة تلامس الأرض، وشقائق النعمان باللونين الأزرق والأحمر على أفنان قوية مستقيمة، وزهور الخشخاش ذات الرؤوس الصفراء المائلة الأنيقة وغيرها الكثير من الزهور الجميلة. ولم يطلب أحد أيًا منها من السيدة ملعقة، فوقفت خلف نافذتها تراقب مرور الأطفال يغنون ويهتفون، في طريقهم إلى آخر أيام الدراسة.

كان آخر من عبر الفناء أمام بيتها فتاة صغيرة، تمشي ببطء شديد ولا تحمل في يديها شيئًا. كانت قطة السيدة ملعقة تضطجع على العتبة وحيَّتها بقولها: «مياو!» لكن الفتاة امتعضت وقالت: «حيوان غبي!»، وأخذ كلب السيدة ملعقة، المربوط إلى الجدار ينبح ويهز ذيله، فقرَّعته الفتاة قائلة: «احفظ عليك لسانك!».

فتحت السيدة ملعقة النافذة لترمي للكلب عظمًا فاستدارت الفتاة الصغيرة وقالت غاضبة: «لا ترمي ذلك العظم القذر على ثوبي!».

طفح الكيل. تخصرت السيدة ملعقة وقالت للفتاة الصغيرة إنه لا يحق لأي أحد أن يعبر فناء بيتها الأمامي ويرشقها بالإهانات هي وقطتها وكلبها، اللذين لم يؤذيا أحدًا.

أخذت الفتاة الصغيرة تبكي: «أريد العودة إلى البيت»، نشجت. «إن بطني يؤلمني جدًّا ولا أريد الذهاب إلى حفل اليوم الأخير! لماذا أذهب إن كنت أعاني ألمًا في بطني؟».

«أين أمك يا صغيرتي؟»، سألت السيدة ملعقة.

«ليس من شأنك!»، ردت الفتاة بحدَّة.

«أين أبوك إذن؟»، سألت السيدة ملعقة.

«ليس من شأنك!»، قالت الفتاة بوقاحة أكبر. «ولكن إن أردتِ أن تعرفي سبب عدم رغبتي في المدرسة اليوم، فذاك لأني لا أحمل زهورًا. ليس عندنا حديقة، على أية حال، لأننا سكنَّا هنا منذ عيد الميلاد فقط. لكن أبي سيبني لنا بيتًا وهو يعمل الآن على الأشغال المعدنية، ثم سيكون لنا حديقة. تصنع أمي زهورًا من ورق وتجعل الورق مدورًا، أترين؟ أتودين معرفة شيئًا آخر؟ أوه حسن، لعلي أذهب إلى المدرسة، ويمكن للمعلمة أن تقول ما تشاء فلست آبه! لو أنها تنقلت من مدرسة إلى أخرى لثلاث سنوات لَمَا عرفتْ الكثير أيضًا! فسحقًا لها ولزهورها!»، ونظرت الفتاة الصغيرة إلى السيدة ملعقة شزرًا.

بادلت السيدة ملعقة الفتاة النظر وقالت: «أحسنتِ صنعًا! أحسب أني قادرة على مساعدتك في أمر الزهور. اذهبي إلى الحديقة واقطفي بعض الليلك وشقائق النعمان والخشخاش وكل ما تحبين. سأذهب وآتي لك بورق تلفين به الزهور».

ولجت الفتاة الصغيرة إلى الحديقة وأخذت تقطف الزهور، أمَّا السيدة ملعقة فدخلت باحثة عن الورق، غير أنها انكمشت أثناء رجوعها إلى الباب!

هوب! وها قد ظهرت، ملفوفة بالورق مثل المربى في الپودنغ عند مجيء الفتاة الصغيرة راكضة تحمل الزهور بين ذراعيها.

«ها قد جئنا!»، صاحت الفتاة الصغيرة.

«ونحن جئنا!»، قالت السيدة ملعقة لمَّا فكت نفسها من الورق. «لا تخافي، هذا أمر يحدث لي بين الفينة والأخرى، ولا أعرف أبدًا متى سأنكمش. ولكن لديَّ فكرة، أريد منك أن تضعيني في حقيبتك وتأخذيني معك إلى المدرسة. سنلاعبهم جميعًا! ما اسمك بالمناسبة؟».

«اسمي ريتا»، قالت الفتاة الصغيرة التي تنظر إلى السيدة ملعقة فاغرة فاها.

«طيب يا ريتا، لا تقفي عندك. أسرعي ولفي الزهور بالورق، ليس عندنا وقت نضيعه!».

ولَمَّا وصلتا إلى المدرسة كان حفل اليوم الأخير قد بدأ، ولم يبدُ السرور على وجه المعلمة لَمَّا ناولتها ريتا طاقة الزهور الجميلة. بل هزت رأسها إيجابًا وقالت: «شكرًا».

«لا تبالي بذلك»، قالت السيدة ملعقة لريتا من الحقيبة.

«اجلسي في مكانك»، قالت المعلمة. جلست ريتا واضعة حقيبتها على ركبتها.

«سنبدأ بشيء من الحساب»، قالت المعلمة، «ما حاصل ضرب سبعة في سبعة؟».

«تسع وأربعون!»، همست السيدة ملعقة من الحقيبة.

«تسع وأربعون!»، قالت ريتا.

استدار الصف بأكمله للنظر إلى ريتا، لأنها ما كانت تستطيع العد إلا إلى الرقم ثلاثين! لكنها نظرت إليهم وابتسمت، ثم استرقت نظرة سريعة إلى حقيبتها.

«ماذا في حجرك؟»، سألت المعلمة. «لا يسمح لأحد باستخدام القصاصات الورقية. إليَّ بحقيبتك فورًا!».

فتعيَّن على ريتا أن تحملها إلى طاولة المعلمة وعلقتها على مشجب.

تابعت المعلمة وسألت السؤال التالي: «ما حاصل طرح خمسة عشر من ثمانية عشر؟».

بدأ التلاميذ يعدون على أصابعهم، لكن ريتا رأت السيدة ملعقة تخرج كلتا يديها وساقًا واحدة خارج الحقيبة.

«ثلاثة!»، قالت ريتا قبل أن يتسنى للآخرين وقت للإجابة.

لم يَرْتَب أحد هذه المرة في أن ريتا تغش، فابتسمت ابتسامة عريضة ولوَّحت لها السيدة ملعقة من صفحات دفترها.

«لا بد من القول إن هذا بالغ الغرابة»، قالت المعلمة، «سنأتي على شيء من التاريخ والجغرافيا الآن. في أي دولة يقع أطول سور يلتف حولها، وفيها أقدم حضارة في العالم؟».

كانت ريتا ترقب الحقيبة طوال الوقت، فرأت رأس السيدة ملعقة يبرز ثانية. لطخت العجوز الصغيرة وجهها بالطبشور الأصفر

ووضعت إصبعيها في زاويتي عينيها ومطتهما حتى صارتا شقين صغيرين.

«الصين!»، صاحت ريتا.

ذُهلت المعلمة لهذه الإجابة، لكنها اضطرت إلى القول إنها إجابة صحيحة من ريتا. ثم قالت معلنة: «لقد عزمت على مكافأة من أجاب أكثر الإجابات الصحيحة يا صغار. وقد أجابت ريتا عن كل الأسئلة إجابات صحيحة، لذا فهي الفائزة، وسيسمح لها بتقديم القهوة إلى المعلمين في غرفة المعلمين لاحقًا».

كانت ريتا مسرورة فخورة، وقد اعتادت إعداد الطعام أثناء بقائها وحيدة في البيت وكانت واثقة بأنها ستُبلي حسنًا في تقديم القهوة. عاد الأطفال الآخرون إلى البيت، فأخذت حقيبتها من طاولة المعلمة وذهبت إلى المطبخ. ولكن، أوه، يا إلهي، لم يكن مثل البيت قط! إذ كان إبريق القهوة أكبر بكثير والكيكة الكبيرة وطبقة الزينة عليها مختلفة عن طبق الخبز والدهن الذي تحضِّره لوالديها عادة. لحسن الحظ أن الفناجين وصحونها والأطباق والملاعق قد وضعت على الطاولة في متناول اليد. ورغم ذلك بدا هذا كثيرًا على ريتا، فجلست وبكت. ثم سمعت صوت خمش من داخل الحقيبة، فخرجت السيدة ملعقة.

«إن كنتِ الفتاة التي أظنها»، قالت للفتاة الصغيرة وقد تخصرت، «فلن تستلمي هكذا بعد أن وصلتِ إلى نصف الطريق! هيا، ارفعيني على الطاولة، وسننتهي من هذا العمل سريعًا! إنهم تسعة معلمون

زائرون كما رأيتُ من مخبئي، إضافة إلى معلمتك الآنسة المتعجرفة. وهذا يعني أن نضع كوبين من الماء وملعقتين متوسطتين من القهوة لكل شخص، ومجموعها عشرون كوبًا من الماء وعشرون ملعقة متوسطة من القهوة، صحيح؟».

«أظن ذلك. آه يا لروعتك!»، قالت ريتا وهي تجفف دمعها. «سأقيس الماء والقهوة في الحال، لكني لا أعرف كيف أقطع تلك الكيكة!».

«لا بأس. حسبما أرى فإن عرض الكيكة يبلغ مقدار تسعين خطوة من خطواتي. فإن قطعناها إلى عشر قطع فسيكون عرض القطعة تسع خطوات. لكنها ستكون شريحة كبيرة، لذا سنقسم تسعة على ثلاثة ونجعل كل قطعة بعرض ثلاث خطوات، صحيح؟»، قالت السيدة ملعقة.

«أحسب ذلك»، قالت ريتا التي أحست بشيء من الضياع.

«يجب أن نرسم دائرة وسط الكيكة أولًا»، أردفت السيدة ملعقة، «ارفعيني في يدك من فضلك».

رفعتها ريتا على يدها بحذر.

«أمسكي بساقيَّ واقلبيني رأسًا على عقب. ثم دوِّريني لأرسم دائرة بإصبع واحدة على الزينة. حسن؛ هيا بنا!».

فدوَّرت ريتا السيدة ملعقة رأسًا على عقب، وحصلت على دائرة صغيرة رائعة مرسومة وسط الكيكة.

«العوض ولا القطيعة!»، قالت السيدة ملعقة وهي تقف هناك تتمايل دائخة وتلعق إصبعها. «والآن سأدور حول الكيكة، وعند الخطوة الثالثة أريدك أن تصنعي بالسكين ثلمًا صغيرًا في الزينة. هيا بنا!».

«واحد اثنان ثلاثة، ثلم!

واحد اثنان ثلاثة، ثلم!

واحد اثنان ثلاثة، ثلم!».

وهكذا مشت السيدة ملعقة على الكيكة بأكملها، وصنعت ريتا ثلومًا فصار الحاصل ثلاثين شريحة بعد قطعها.

نادى أحد من غرفة المعلمين بعد أن فرغتا: «أين تلك الفتاة الذكية والقهوة؟ أسرعي وهاتيها يا عزيزتي، ثم يمكنك جلب الكيكة بعدئذ».

فحملت ريتا إبريق القهوة الكبير الذي كان يغلي، وأسرعت تحمله، ووقفت السيدة ملعقة تصغي إلى ثناء المعلمين على ريتا وهي تصب القهوة في الفناجين بيدٍ ثابتة.

ثم عادت لتأخذ الكيكة، وصفقت السيدة ملعقة قائلة: «أحسنتِ صنعًا يا ريتا! لا شيء يستدعي القلق الآن».

ولكن ما كان يجدر بها قول ذلك، إذ أثناء استماعها إلى ثناء المعلمين على ذكاء ريتا، سمعت الآنسة المتعجرفة ترفع صوتها قائلة:

«أخشى أنك نسيتِ شيئين يا عزيزتي».

«أوه يا إلهي!»، قالت السيدة ملعقة، «إبريق الكريمة والسكرية! عليَّ أن أتأكد أن كليهما ممتلئ».

كان إبريق الكريمة مملوءًا، وعندما أطلَّت السيدة ملعقة من حافة السكرية سقطت فيها! وعندئذ جاءت ريتا مسرعة ووضعت غطاء السكرية ووضعتها مع إبريق الكريمة في صينية، واستدارت وقفلت عائدة إلى غرفة المعلمين.

تساءلت السيدة ملعقة إن كان بوسعها إخبار ريتا بمكانها، لكنها خشيت أن الصغيرة ستوقع الصينية، فدفنت نفسها جيدًا في السكرية وتمنت أن يمر الأمر بسلام.

مرَّرت ريتا الصينية، لكن معلمتها لم تتركها بل قالت:

«أرجو أنك تذكرتِ ملقط السكر».

لم تعرف ريتا ما تقول، لكن السيدة ملعقة سمعت قول المعلمة، ولمَّا رفع كبير المعلمين الزائرين غطاء السكرية، برزت السيدة ملعقة مثل عفريت الصندوق حاملة قطعة سكر في يديها الممدودتين. نظرت أمامها ولم تطرف جفنيها قط، فلم يرَ كبير المعلمين أي شيء غريب. بل أخذ قطعة السكر وأبعد ريتا وصينيتها. لكن الجالس بجواره نظر بإمعان إلى السيدة ملعقة وقال: «يا له من ملقط غريب للسكر، أحسبه مصنوعًا من البلاستك. ما الذي سيخترعونه تاليًا؟»، ثم سأل ريتا إن كانت قد جلبته من البيت معها، وأجابت بنعم، وهذا صحيح كل الصحة.

ثم أراد الجميع إلقاء نظرة على ملقط السكر الغريب، حتى نادت ريتا معلمتُها.

«دعيني أنظر إلى الملقط»، قالت. فمدت يدها لتحمله، لكن هذا كان كثيرًا على السيدة ملعقة. وفي لحظة قلبت الصينية وسقط كل شيء على الأرض، فتحطم إبريق الكريمة وتدحرج ما في السكرية تحت الخزانة، وناسب هذا السيدة ملعقة!

لكن المعلمة ظنت أنها مَن أوقع الصينية، فحزنت فجأة لأنها قست كثيرًا على الفتاة الصغيرة. فطوقت ريتا بذراعيها وعانقتها. «هذه غلطتي، لقد كنتِ مضيفة صغيرة ماهرة».

لاحقًا، لدى ذهاب الضيوف وريتا تنظف الطاولة، أشارت المعلمة إلى الزاوية المظلمة قرب الخزانة وقالت: «من الواقف هناك؟».

وعندئذ خرجت السيدة ملعقة بحجمها المعتاد رابطة الجأش تمامًا. «أُرسلتُ للمساعدة في غسيل الصحون»، قالت. «ناوليني الصينية يا ريتا، سنذهب أنا وأنت إلى المطبخ».

قالت ريتا وهما عائدتان إلى البيت «لماذا ساعدتني طوال اليوم رغم أني كنت فظة معك هذا الصباح؟».

«حسن»، قالت السيدة ملعقة، «ربما لأنكِ كنت فظَّة جدًّا. ربما أساعد معلمتك الآنسة المتعجرفة المرة القادمة، فهي تبدو فظَّة جدًّا، ولعل خلف فظاظتها تكمن طيبة».

(١٤)
السيدة ملعقة تتأهب للقتال

هذا اليوم الذي تلا مساعدة السيدة ملعقة لريتا في حفل المدرسة، وكانت العجوز القصيرة تستشيط غضبًا. إن كان من شيء تكرهه السيدة ملعقة، فهي تكره الذين يسيؤون معاملة الأطفال. وقضت ليلتها كلها وهي تفكر في الأمر، وقد عقدت العزم على الذهاب وإخبار معلمة ريتا برأيها فيها. فاعتمرت أجمل قبعاتها ولبست أجمل فساتينها، وقوَّمت ظهرها وانطلقت نحو المدرسة.

«أرجو ألا أنكمش هذه المرة»، قالت في نفسها، «من غير الممكن أن يحدث الأمر يومين متتالين. لا بد لي من قول ما يعتمل في صدري وإلا انفجرت، وعليها أن تُظهِر أسفها وإلا فلن يكون اسمي ملعقة!».

وصلت إلى بوابة المدرسة وفتحتها، ثم مشت إلى الباب الأمامي للمعلمة وقرعت قرعًا أنيقًا مرتين، وانتظرت.

لم يقل أحد: «ادخل!».

فقرعت السيدة ملعقة مرة أخرى دون أن تلقى جوابًا. فعزمت على أن تجرب المزلاج، «سأدخل في الحال إن لم يكن الباب مقفلًا»، قالت لنفسها. ضغطت المزلاج وانفتح الباب، غير أنها انكمشت حالما وضعت قدمها على العتبة، وانقلبت رأسًا على عقب في دثار ملفوف على الأرض قرب الباب! وبجانبه وضعت حقيبة سفر وصندوق قبعة.

«أوه يا للمصيبة!»، صاحت السيدة ملعقة، «لنامل أنها ليست هنا!» لكن حظها تعس، إذ سمعت وقع أقدام في الممر وجاءت المعلمة نحو الباب الأمامي لابسة ثياب الخروج.

«يا لي من عجوز بلهاء!» قالت السيدة ملعقة في نفسها. «تصوروا أني نسيت أن إجازة الصيف بدأت اليوم ولا بد أنها ستسافر. أوه، حسن لكنها لم تذهب بعد. إن استطعت البقاء قريبة منها لوقت أطول فلعلي أحظى بفرصة لنصحها»، واختبأت في الدثار.

حملت المعلمة حقيبة السفر في يد، ثم ألقت بالدثار على كتفها باليد الأخرى وخرجت من البيت وأغلقت الباب خلفها. وماذا عن السيدة ملعقة؟ كانت تتشبث إبقاءً على حياتها الغالية بهدب الدثار ولم يزل غضبها عظيمًا.

«لا بد لي من القول إن هذا جميل جدًّا!»، قالت متذمرة. «الذهاب في إجازة هكذا دون التفكير في ريتا وكل الأذى الذي آذتها إياه. ولكن انتظري يا سيدتي الجميلة، سيحين دوري قريبًا لتلقينك درسًا أو اثنين!».

جدَّت المعلمة في سيرها، والسيدة ملعقة تتدلى خلفها، حتى وصلتا إلى المحطة. ثم مضت إلى كشك الفاكهة ووضعت الدثار على المنضدة، وتمكنت السيدة ملعقة من الانزلاق منه والاختباء خلف طاقة من الزهور.

طلبت المعلمة رطلين من التفاح.

«جميل!»، استشاطت السيدة ملعقة غضبًا لنفسها. «اشتري رطلين من التفاح تتخمين نفسك بهما في القطار!».

«وثماني حبات من البرتقال من فضلك»، أردفت المعلمة.

«أدهى وأمرُّ!»، غمغمت السيدة ملعقة.

«وثلاثة أرطال من الموز من فضلك»، قالت المعلمة.

لم تستطع السيدة ملعقة تمالك نفسها إلا بشق الأنفس، «لو كنتُ في حجمي المعتاد، لأعطيتُك تفاحًا وبرتقالًا وموزًا قطعًا!».

فقالت المعلمة للسيدة في كشك الفاكهة:

«أيمكنك أن تسديني معروفًا؟ أود أخذ هذه الفاكهة لأحد تلاميذي، لكن عليَّ اللحاق بالقطار، ولا وقت عندي لإيصالها بنفسي. أيمكنك توصيلها إلى ريتا جوهانسن في البيت الصغير القريب من الكنيسة وإخبارها أنها مني؟».

ارتخت أذنا السيدة ملعقة دهشةً لدى سماعها هذا، كأنما اختطف أحدهم السكاكر من فمها ولم يترك لها شيئًا تلعقه؛ ماذا ستقول الآن؟

«سأفعل ذلك من أجلك يا آنسة بكل سرور»، قالت بائعة الفاكهة، «ثمنها اثنا عشر شلنًا بالتمام والكمال».

«آه يا إلهي!»، قالت المعلمة وهي تبحث في حقيبتها، «أخشى أني لم يبقَ عندي ما يكفي من المال بعد شراء التذكرة. أتقبلين أن أكون مدينة لك بها حتى أعود من إجازتي؟».

«يا لها من فكرة! تطلبين مني توصيل ما لا تستطيعين دفع ثمنه! أعيدي الفاكهة لو سمحت»، قالت البائعة ومدت يدها.

اعتذرت المعلمة، ووضعت كيس الفاكهة على المنضدة وذهبت لركوب قطارها، لكن السيدة ملعقة انتهزت الفرصة وقفزت إلى الكيس.

تمنت في صمت إجازة سعيدة للمعلمة: «لستِ متعجرفة إذن، ولا داعي إلى قلقك؛ سأحرص على أن تحصل ريتا على كيس الفاكهة بصورة ما. لكني سأصب جام غضبي على أحدهم قبل انقضاء النهار!».

لم تسمع بائعة الفاكهة ما تقوله السيدة ملعقة مثلما لم تسمعه المعلمة. كانت مشغولة باستعدادها لإغلاق الدكان والعودة إلى البيت. لكنها حين اعتمرت قبعتها وفتحت الباب استدارت فجأة وحملت كيس الفاكهة عن المنضدة.

تساءلت السيدة ملعقة إن كانت ستظل حبيسة دكان الفاكهة طوال الليل، وها هي قد أخذت في رحلة جديدة!

«أظنكِ ستأكلين كل هذا وحدك، أيتها العجوز الأنانية!»، قالت السيدة ملعقة وحنقها يزداد ثانية. «ربما كانت المعلمة متعجرفة، غير أن لها قلبًا طيبًا. أما أنتِ فبخيلة تمامًا! انتظري حتى أعود إلى حجمي!».

مشتِ البائعة ومشت حتى سمعتها السيدة ملعقة تفتح بابًا وتدخل غرفة. وهنالك وضعت الكيس على طاولة بخبطة، وتمكنت السيدة ملعقة من تسلق برتقالة وأن تطل برأسها من الكيس.

رأت رجلًا يخبط على الطاولة، وكان حانقًا كالدب. «لماذا تأخرتِ في العودة إلى البيت؟»، قال مزمجرًا. «لقد انتظرت وانتظرت عشائي. أسرعي الآن! ماذا بداخل الكيس على أية حال؟».

«أوه، إنها بعض الفاكهة من أجل فتاة صغيرة»، قالت زوجته. «أرادت المعلمة أن ترسل الفاكهة إلى ريتا جوهانسن، لكنها وجدت أنها لا تحمل ما يكفي من المال، فاستَعَدْتُ الفاكهة. ثم بعد رحيلها شعرتُ بالحزن، وفكرتُ في إيصالها إلى الصغيرة بنفسي!».

ذهلت السيدة ملعقة هذه المرة، وقالت لاهثة: «عجبًا! هذه واحدة أخرى يتضح لطفها. لكني أكيدة أن زوجها لن يكون كذلك؛ كأنه لا يجيد شيئًا سوى التوبيخ!».

كان زوج البائعة شكسًا من غير ريب، إذ خبط بقبضته على الطاولة وصاح أن زوجته لن تهدر المال والوقت في إيصال طلبات معلمات وصغار سخيفين.

«أعطيني هذا الكيس!»، قال غاضبًا، «سأعيده إلى الدكان في هذه اللحظة!» واختطف الكيس من الطاولة. ارتجت السيدة ملعقة المسكينة ارتجاجًا مريعًا وهبطت وانحشرت بين موزتين.

سار الرجل بخطوات كبيرة.

«إلى اللقاء يا بائعة الفاكهة!»، همست السيدة ملعقة، «إن لكِ زوجًا كريهًا، لكني سأتدبر أمره عمّا قريب، فلا تقلقي!».

جلست العجوز الصغيرة في الكيس محشورة مضغوطة والرجل يمشي، غير أنه سار ببطء بعد برهة وتوقف أمام بيت وقرع الباب.

«هذه ليست المحطة قطعًا»، قالت السيدة ملعقة.

سمعت الباب يفتح والرجل بقول: «أأنت ريتا جوهانسن؟».

فسمعت صوت الفتاة الصغيرة: «أجل، أنا ريتا».

«أرسلت معلمتك هذا لك»، قال الرجل وناولها الكيس، «إنها فاكهة».

«أوه، شكرًا لك!»، قالت ريتا. «سأحضر وعاء وأضعها فيه»، ووضعت الكيس على كرسي.

«هذا جيد»، قال الرجل ودار على عقبيه ومضى في طريقه.

ظنت ريتا أنها سمعت صوت إغلاق الباب، لكنها لم تبالِ بدافع لهفتها لرؤية ما أرسلته المعلمة.

خرجت السيدة ملعقة وقد كانت في حجمها الطبيعي وأرادت

بعض الوقت لتفكر؛ إذ كان الأمر كله مفاجئًا لها وليس ما توقعته. أخذت تسرع في مشيها، إذ عرفت من يحتاج نصحها، ويحتاجه بشدة! أحد أجَّج غضبها أكثر من أي أحد آخر!

لدى وصولها إلى البيت تقدمت من فورها نحو المرآة، ونظرت، مخصرة يديها، إلى العجوز القصيرة التي رأتها هناك وقالت: «حسن! ومن تحسبين نفسك، تطوفين أنحاء الريف، وتقحمين أنفك حيث لا يحتاجك أحد؟ أكان من شأنك أن تعرفي لمن تشتري المعلمة الفاكهة إن سمحت لي بالسؤال؟ وماذا ترومين من اختبائك في دثار الآخرين والتلصص عليهم؟ عليكِ أن تخجلي من نفسكِ، عجوز مثلك وتتصرفين مثل طفل لا عقل له. أما بائعة الفاكهة، فلماذا لا تغضب؟ أنَّى لها أن تعرف أن بوسعها الثقة بالمعلمة؟ وزوجها؛ أظنه يستطيع خبط قبضته على طاولته إن شاء دونما ضرورة لحشريتك. أتصغين إليَّ؟ ألن تجنِّي غضبًا إن عدت إلى البيت ولم تكن الزوجة موجودة لإعداد طعامك؟ آه إنك تثيرين قرفي! لقد أسف الثلاثة على ما فعلوا وأصلحوا أخطاءهم، أمَّا أنتِ، فتقفين هنا تحملقين إليَّ كأن شيئًا لم يكن. ألا يجدر بكِ أن تأسفي؟».

أدارت السيدة ملعقة ظهرها للمرآة وأخذت نفسًا عميقًا وقالت: «هذا أفضل! لقد أزحتُ الغضب عن صدري أخيرًا. يمكنني أن أريح لساني وأشرع في أعمال المنزل».

لكنها ألقت نظرة أخرى على المرآة وابتسمت خجلة وانحنت انحناءة صغيرة.

«أنا آسفة!»، قالت.

وبادلتها العجوز القصيرة في المرآة الابتسامة وانحنت لها انحناءة صغيرة أيضًا.

(١٥)
درس الطبيعة

كلما جلست السيدة ملعقة صباحًا عند نافذتها حاملة فنجان قهوة ما بعد الإفطار، رأت صبيًّا يمر بفنائها في طريقه إلى المدرسة. كان اسم الصبي أولي، وهو والسيدة ملعقة صديقان حميمان، رغم أنها ليست مماثلة لصداقة الراشدين للصغار عادة. فمن عادة أولي أن يمر بنافذة السيدة ملعقة مسرعًا دون أن يلقي تحية الصباح، لأنه في عجلة من أمره. غير أن السيدة ملعقة لم تسأل قط عن اسمه أو عمره أو ما يتمناه في عيد الميلاد. بل اكتفت بمراقبته كل صباح قائلة لنفسها: «ها هو الصبي في طريقه إلى المدرسة». أما أولي فينظر إلى نافذتها ويقول في نفسه: «ها هي العجوز تشرب قهوتها».

لكن الأمر مختلف مع الحيوانات؛ فإن رأى أولي القطة جالسة على عتبة باب السيدة ملعقة، لم يقاوم الرغبة في ملاطفتها، بل يجلس على العتبة ويتحدث إليها.

«مرحبًا يا بسة»، يقول، «يا لكِ من بسة حلوة!»، ثم يمضي نحو الكلب خارج وجاره أيضًا لئلا تنهشه الغيرة.

«مرحبا يا فتى! كلب شاطر، كلب شاطر! لستَ تظنني نسيتُك، صحيح؟ أوه، ما كنتُ لأنساك. يا لكَ من كلبٍ شاطر!» ويتأخر عن مدرسته لأنه يلاعبها.

هذه مشكلة أولي، فهو محب للحيوانات، ويلعب الغميضة مع السنجاب الذي يراه في طريق المدرسة، أو ينافس الشحرور في التصفير. وفي الأيام الماطرة يقضي وقتًا طويلًا محاولًا ألا يطأ الديدان التي تتلوى قرب بِرَك الماء في الطريق ولذا يتأخر كثيرًا عن المدرسة.

وهذا لا يصح من غير ريب، ثم إنه كلما تأخر غضبت معلمته وقالت: «جميل أن تكون محبًّا للحيوانات، لا بأس بهذا أبدًا، ولكنه ليس عذرًا لتأخرك عن المدرسة».

ليس هذا ما أردتُ قوله لكم، بل أردت إخباركم كيف حصلت السيدة ملعقة على درسٍ في الطبيعة ذات يوم. ها نحن سنحكي!

كان يومًا ربيعيًّا جميلًا، وكانت السيدة ملعقة تجلس قرب النافذة كعادتها، تستمتع بفنجان قهوتها وتراقب أولي يعبر الفناء. كان هذه المرة يمشي بشيء من الجدِّ -يراقب طيرًا أو حيوانًا أخَّره عن المدرسة مرة أخرى- لذا كان عنده من الوقت ما يكفي ليقول: «مرحبًا يا بسة!» للقطة على العتبة، و«مرحبًا يا ولد!» للكلب الجالس قرب وجاره.

لكنه توقف فجأة واستدار على عقبيه وأخذ يجري عائدًا عبر الفناء. كانت السيدة ملعقة قد خرجت لتناوِل الكلب إفطاره ومرَّ بها أولي بأسرع ما استطاع.

نادته السيدة ملعقة: «ما خطبك أيها الصبي؟ أتلاحقك الشرطة؟».

«لقد نسيت كتاب الطبيعة!» أجاب أولي مديرًا رأسه لها واستأنف جريه.

«انتظر لحظة!»، نادته السيدة ملعقة، فتوقف أولي. «لن تستطيع العودة إلى البيت الآن، ستتأخر كثيرًا عن مدرستك. كلا، امضِ في طريقك وسأعود لأحضر كتابك إلى المدرسة».

جرجر أولي قدميه قليلًا بادٍ عليه الحزن؛ إذ لم يعجبه كثيرًا أن تأتي عجوز إليه في المدرسة حاملة كتاب الطبيعة له.

«لا تقف هناك مترددًا يا ولد!»، قالت السيدة ملعقة، «أين تركت كتابك؟».

«على أسكفة النافذة»، أجابها، «والنافذة مفتوحة».

«حسن، وأين تريدني أن أضع الكتاب حين أصل إلى المدرسة؟ هيا أسرع؛ ليس عندنا النهار بطوله!»، قالت السيدة ملعقة متظاهرة بالصرامة.

«في الجدار ثقب قرب شجرة البتولا الكبيرة، وفيه عش طائر قديم يمكنك وضع الكتاب فيه».

«في العش القديم في ثقب الجدار القريب من شجرة البتولا، حسن!»، قالت السيدة ملعقة. «اذهب الآن واحرص أن تصل في الوقت المناسب على غير عادتك! سأهتم بباقي الأمر».

«طيب!»، قال أولي وانطلق في لمح البصر.

خلعت السيدة ملعقة مئزرها، ورتبت شعرها وتقدمت نحو الفناء، وحينئذ طبعًا حدث لها ما يتعذر اجتنابه، لقد انكمشت!

«هذا سيئ!» خطر للسيدة ملعقة وهي تسترِق النظر إلى العشب الرطب قرب عتبة الباب، «لكني رأيت الأسوأ». دعت إليها القطة: «هيا يا بسة! ستكونين حصاني مرة أخرى وتساعديني في جلب كتاب أولي من بيته».

«مياو! حسن»، قالت القطة، وسمحت للسيدة ملعقة أن تمتطي ظهرها. «وما كتاب الطبيعة؟».

«كتاب يدرسه الأطفال في المدرسة ليتعلموا عن الحيوانات»، أجابتها السيدة ملعقة، «ويقول عن القطط إنها «لاحمة»».

«وما معنى هذا؟»، سألت القطة.

«يعني أنكِ تأكلين اللحم، ولكن لا تهتمي بهذا، كل ما عليك فعله هو أخذي إلى الطريق حتى نبلغ الجدول. ثم سنسلك طريقًا مختصرًا..».

وحالما وصلتا إلى الجدول قالت القطة: «ألا يقول الكتاب شيئًا عن كراهية القطط أن تبلل أقدامها؟» ثم توقفت على حين غرة فسقطت السيدة ملعقة المسكينة من فوق رأسها ووقعت في الماء محدثة ارتطامًا!

«من حسن حظي أني أجيد السباحة»، بقبقت السيدة ملعقة حين خرجت إلى سطح الماء، «لم يخلق البشر للعيش تحت الماء لأنهم

يتنفسون من الرئتين. أف! إنه عمل مجهد حقًّا؛ سأنال قسطًا من الراحة على هذا الحجر وأرى ما سيظهر».

جلست تلتقط أنفاسها فأنتأ حيوان صغير أنفه من الماء وأخذ يهمهم. عَرَفَتِ السيدة ملعقة ما كان، لكنكم لن تعرفوه، لأنه يعيش في الأماكن البعيدة فقط ويدعى اللاموس[1]. له فراء باللونين الأصحر والبني، لذا يبدو شبيهًا بالكابياء الخنزيرية[2] في الصيف، لكنه في الشتاء يتحول إلى اللون الأبيض كأنه مغطًّى بالثلج.

عرفت السيدة ملعقة كل شيء عن حيوانات اللاموس كما قلت، فدمدمت في وجه الحيوان الصغير، مطلقة أصواتًا رهيبة قدر استطاعتها. «لست بخائفة منك!»، قالت، «رغم أن الكتاب يقول إنك أكثر القوارض نزقًا ولا تخشى كلبًا قويًّا ولا إنسانًا راشدًا. ولكن عليك الآن أن تكف عن تباهيك وتساعدني في الخروج من الجدول مثل لاموس مطيع».

«حسن، لتحلَّ عليَّ اللعنة!»، قال اللاموس، «لم أرَ يومًا امرأة بحجمك لها هذا الصوت العالي. اركبي ظهري وسأعبر بك. وأين تذهبين إن أمكنني السؤال؟».

---

(١) حيوان من القوارض، يعيش بالقرب من المنطقة القطبية الشمالية وهو ملون الفراء بالبرتقالي والأسود، ويمتاز بسرعة التكاثر.

(٢) يُعرَف أيضًا باسم الخنزير الغيني، وهو نوع من القوارض أيضًا.

«لجلب كتاب الطبيعة من البيت الكائن هناك من أجل الولد في المدرسة»، قالت السيدة ملعقة، «وفي ذلك الكتاب كُتِبَ عنك الكثير».

«حقًا؟ وماذا يقول عني؟»، سأل اللاموس زاحفًا على العشب وهو يحمل السيدة ملعقة.

«يقول إن حيوانات اللاموس تهبط من الجبال مرة كل بضع سنوات في أعداد كبيرة وتأكل كل ما تعثر عليه من خضرة حتى تبلغ البحر»، ثم صمتت لأنها تذكرت أن حيوانات اللاموس تغرق لدى وصولها البحر بحثًا عن الطعام.

«إننا نجوع كثيرًا»، قال اللاموس، «والحق أني في طريقي لأنضم إلى رفاقي في بحثهم عن الطعام».

«ألا يمكنك أخذي إلى البيت؟»، توسلت السيدة ملعقة؛ إذ لم يعجبها احتمال غرقه في البحر. لكن بطن اللاموس الفارغ أمره بالذهاب، فقال للسيدة ملعقة إن عليها تدبر أمرها، وانطلق محدثًا نفسه عن أوراق الشجر الخضراء ذات العصارة.

قبل أن يتسنى الوقت للسيدة ملعقة لتتساءل عمّا سيحل به، برز رأس آخر فوق جدار صغير، وكان حيوان القاقم هذه المرة.

«مرحبًا بك يا سيد حشُّور. عمَّ تبحث؟»، قالت تحيِّيه.

«حسبتك فأرة، لكني أرى أنك امرأة صغيرة وأنا لا آكل النساء»، قال القاقم. «أيحدث أن عندك ملعقة فضية؟»، أردف قائلًا.

«لديَّ شيء تحبه أكثر من الملاعق الفضية»، أجابت السيدة ملعقة، «علبة كاملة من الدبابيس المغطاة بالقصدير، وستحصل عليها إن أخذتني إلى ذلك البيت الواقع هناك. عليَّ أخذ كتاب من أسكفة النافذة من أجل ولد في المدرسة».

«حسن»، قال القاقم، «اقفزي!».

فصعدت السيدة ملعقة إلى ظهره، لكنها كانت رحلة متعبة جدًّا، لأن القاقم -مثله مثل ابن عرس- يتحرك بتمويج جسمه الطويل، ويجري بسرعة كبيرة رغم أرجله القصيرة. وجدت السيدة ملعقة مشقة في البقاء ثابتة وفرحت لدى وصولهما إلى الجدار الواقع تحت النافذة.

تسلق القاقم إلى أسكفة النافذة، وعاد حاملًا الكتاب تحت ذقنه.

«لماذا تحمل الكتاب هكذا؟»، سألته السدة ملعقة.

«وكيف أحمله إذن؟»، أجاب القاقم، «إنني أحمل البيض تحت ذقني دائمًا».

«البيض؟»، تظاهرت السيدة ملعقة بالدهشة، «لم أعلم أن القاقم يبيض».

«ها ها ها، مضحك جدًّا»، قال القاقم، «أحسبك لا تأكلين البيض».

«بلى»، قالت السيدة ملعقة، «لكني لا أسرقه من أعشاش الطيور البرية».

«هذا شأني»، قال القاقم. «يجدر بكِ أن تفكري كيف توصلين الكتاب إلى المدرسة. لا أستطيع حملكما أنتِ والكتاب».

«هذا صحيح! عليَّ التفكير في شيء ما!»، قالت السيدة ملعقة.

لم يكن إلى هذا من داعٍ، إذ عادت السيدة ملعقة إلى حجمها المعتاد. وانحنت لتحمل الكتاب وهمست للقاقم الصغير: «ستكون الدبابيس في انتظارك بالعش الذي سرقته، الواقع في الجدار الحجري قرب المدرسة»، وظنت أنها سمعته يقهقه وهو يجري متموجًا في العشب.

كان جرس الفسحة يدق في المدرسة حين وصلت، وسنحت لها الفرصة لوضع الكتاب في العش قبل خروج أولي راكضًا مع الأطفال الآخرين. أومأت السيدة ملعقة أصغر إيماءاتها في اتجاه الجدار ثم جدَّت في مسيرها مبتعدة.

جلب أولي الصباح التالي أفضل العظام لكلبها وملأ صحن قطتها من زجاجة حليبه.

فتحت السيدة ملعقة النافذة وسألته: «أتسديني معروفًا هذا الصباح؟».

«أي شيء ما دام لن يؤخرني عن المدرسة»، رد أولي.

«جيد»، قالت السيدة ملعقة، ثم جلبت علبة دبابيس من سقيفة العُدَد وأعطتها لأولي. «هلا وضعتها في العش الفارغ في الجدار؟ إنها لصديقي».

(١٦)

السيدة ملعقة ساحرة

تعيش السيدة ملعقة في وادٍ في النرويج، وفي فصل الصيف في هذا الجزء من العالم لا تعتم الليالي غالبًا. بل إن الشمس عشية منتصف الصيف لا تغرب تمامًا، لذا يسهر الجميع صغارًا وكبارًا يرقصون ويغنون ويطلقون الألعاب النارية حول شعلة كبيرة. ولأن السحر موجود في كل مكان عشية منتصف الصيف فإنهم يرون أحيانًا ساحرات يركبن مكانسهن في السماء، أو هذا ما يظنونه.

في ذاك الوادي اثنان لم يذهبا قط إلى حفل النار وهما السيد والسيدة ملعقة. وليس هذا عائدًا إلى عدم رغبة السيدة ملعقة في الذهاب، لكن عشية منتصف الصيف تصادف يوم ميلاد السيد ملعقة أيضًا، وفي ذلك اليوم كان هو من يقرر ما يفعلان. لم يعجبه قط الاختلاط بالجموع بسبب عادة السيدة ملعقة في الانكماش؛ وساوره الخوف دومًا من تحولها فجأة إلى حجم ملعقة الشاي واختفائها، تاركة إياه واقفًا وحده مثل الأحمق.

لكن السيدة ملعقة ذهبت إلى الحفل هذا العام، وإليكم ما جرى.

بدأ ذلك في الليلة السابقة على عشية منتصف الصيف، إذ ذهبت السيدة ملعقة إلى المتجر وكانت تمشي الهوينى في طريق عودتها إلى البيت حاملة سلتها على ذراعها. كانت تتساءل كيف لها أن تقنع زوجها بالذهاب إلى حفل النار حينما خطرت بذهنها فكرة فجأة.

«سأسأله إن كان يتمنى شيئًا بعينه ليوم ميلاده، فأقول عندئذ إنني سأهديه إليه إن وعد أن يصطحبني إلى حفل النار».

وما إن دخلت من الباب حتى قفزت إلى حجر زوجها وقبَّلته قبلًا متمطقة على أرنبة أنفه.

«آه يا زوجي الحبيب الطيب»، قالت، «أعندك أمنية خاصة ليوم ميلادك غدًا؟».

دهش زوجها تمامًا: «أأصابتك ضربة شمس أو شيء ما؟ أنَّى لك شراء أي شيء؟ عجبًا، إن المال ينهمر تحت أصابعك كالماء».

«يحدث ذلك أحيانًا، ولا يحدث أحيانًا أخرى»، قالت السيدة ملعقة مبدية المكر، «لديَّ أشياء كالدجاجات، والدجاجات تبيض، والبيض يباع. لقد حصلت الآن على مبلغ معقول، فأخبرني بما تحب وستكون الهدية على الطاولة وإلا لن يكون اسمي السيدة ملعقة».

«حسن»، قال، «إن كنتِ ترين أن عندك ما يكفي من المال

لشراء ذلك الغليون الأنيق ذي الحلقة الفضية المعروض في واجهة المتجر، فسأعِد بتقديم شيء إليك مقابله».

«اتفقنا!»، قالت السيدة ملعقة من فورها، «وما أريده هو وعدك بأن تصحبني إلى حفل النار في جرف وندي ليلة غد!».

فتعيَّن على السيد ملعقة أن يوافق وفي اليوم التالي ملأت السيدة ملعقة جيوبها بقطع معدنية من أنصاف الشلن وأرباعه والپنسات التي جنتها من بيع البيض وانطلقت نحو المتجر.

«أود شراء الغليون ذي الحلقة الفضية»، قالت السيدة ملعقة لمَّا حان دورها.

لكن البقال هز رأسه وقال: «آسف يا سيدة ملعقة، أخشى أنني بعت الغليون للسيد پيتر پوسلن البارحة».

«آه يا إلهي»، قالت السيدة ملعقة، «سأذهب وأرى إن كان يبيعني إياه»، وأسرعت خارجة تاركة جرس الباب يصلصل عاليًا.

اتخذت أقصر السبل إلى بيت پيتر پوسلن، لكنها لم تجد إلا زوجته في البيت.

«أيبيعني زوجك ذلك الغليون الذي اشتراه من المتجر البارحة؟»، قالت السيدة ملعقة. «سأجزل له العطاء»، أردفت قائلة وهي تربِّت على جيبها المليء بالنقود.

«لم يعد الغليون في البيت»، قالت السيدة پوسلن وهي امرأة متجهمة. «لن أقبل بأن يمس ستائري دخان التبغ، كلا شكرًا! أعطيته

لأولاد يبيعون المتاع؛ قالوا إنهم يجمعون المال لشراء الألعاب النارية من أجل النار الليلة، أو شيء من هذا الكلام الفارغ».

ارتسمت الخيبة على وجه السيدة ملعقة؛ أتعلم السيدة پولسن أين يبيعون المتاع؟

«في جرف وندي قرب موقد النار مثلما قال الأولاد»، أجابت السيدة پولسن، ولم تُضِع السيدة ملعقة دقيقة بل يممت شطر جرف وندي.

لكن ارتقاء التل كان مجهدًا ووجدت السيدة ملعقة الأولاد باعوا كل شيء حين وصلت أعلى التل. كانوا مشغولين في جمع قصاصات الأوراق والخيوط وصناديق الورق المقوى وحملها إلى حيث المحرقة.

لهثت السيدة ملعقة لهاثًا شديدًا وتدلى لسانها خارج فمها، لكنها استطاعت القول: «مَن اشترى الغليون؟».

«أي غليون؟»، سأل أحدهم.

«الغليون ذو الحلقة الفضية الذي أعطته لكم السيدة پولسن».

«آه، ذاك»، قال الولد، «اشتراه أخي. حاول أن يدخنه لكنه أصابه بالغثيان، فاكتفى منه وربطه إلى عصا طويلة وأوكزها أعلى المحرقة. ها هو هناك، انظري!».

نظرت السيدة ملعقة فرأته تمامًا، مربوطًا إلى عصا أعلى المحرقة!

«ألا تستطيع إنزاله ثانية؟»، سألت الولد.

«أأنت مجنونة؟»، قال الولد. «تنتظرين منا أن نعبث بالمحرقة وقد كوَّمنا كل شيء أحسن كومة؟ كلا طبعًا! ثم إننا سنلهو بذلك الغليون فانتظري لتري! لا أستطيع الوقوف هكذا والكلام، عليَّ الذهاب لجلب صفيحة من الوقود لإشعال النار»، وانطلق مع الأولاد الآخرين.

«يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي!»، تفجعت السيدة ملعقة وحدها. «لا أرى ما يمكن فعله إلا صعود هذه الكومة وإنزال الغليون بنفسي». لكنها نظرت خائفة إلى جبل الفرش القديمة والكراسي المكسورة وأرجل الطاولات والعربات اليدوية والجوارير والثياب والقبعات القديمة وإطارات السيارات والصناديق الفارغة.

«عليَّ أولًا العثور على عصا لأنخس بها الغليون لدى صعودي»، قالت في نفسها.

في تلك اللحظة انكمشت، لكنها فرحت حقًّا بانكماشها هذه المرة. «مرحى!» صاحت بصوتها الصغير الحاد. «لن تستغرق امرأة صغيرة مثلي وقتًا طويلًا في إنزال ذلك الغليون، ولن أعبث بالكومة!».

انطلقت مسرعة كالفأر إلى الكومة الكبيرة وأخذت تتسلقها من الداخل. غير أن الأمر لم يكن بالسهل كما ظنت؛ إذ صعدت فراشًا وانحشر كعباها في نابض واحتاجت بعض الوقت لتتحرر منه. ثم وجدت مشقة في صعود رجل كرسي زلقة ظلت تسقط منها. لكنها

نجحت في النهاية لتجد أنها واقعة في شرك بطانة معطف، وتخبطت فيها قليلًا قبل أن تجد طريق الخروج عبر الكُم.

أخذ الناس يجتمعون حول المحرقة.

«حسن، لينظروا جيدًا»، خطر لها، «لحسن الحظ أنني صغيرة جدًّا ولن يروني في الأعلى. لن يوقفني شيء من بلوغ القمة الآن!».

لكنها فقدت ثباتها وسقطت في جارور عميق. ها هي هناك، تنفخ وتنفث حتى استطاعت التشبث بخيط قبعة معلقة على طرف الجارور.

«حمدًا للرب أنني لم أسقط بعيدًا!»، حدثت نفسها لكنها كادت تفقد وعيها بعد أن نظرت إلى الأسفل، فقد كانت شديدة البعد عن الأرض، وها قد احتشد الناس ينتظرون إشعال المحرقة.

«ليس عندي وقت أضيعه!» فكرت السيدة ملعقة، وتجاوزت العقبة الأخيرة. كان هذا سهلًا لأنها ليست إلا كونسرتينا[1] صغيرة، وتمكنت من ارتقائها كما ترتقي الدرج.

وصلت الآن أسفل العصا التي تحمل الغليون في أعلاها وقد ربط بإحكام!

«كيف لي أن أصعد إلى هناك؟»، تساءلت. وانتبهت عندئذ إلى حافة برميل فارغ للقطران بجانبها، فلطخت يديها بقليل من القطران لتحسن التشبث وأخذت تتسلق العصا. غير أن العصا

---

(١) آلة موسيقية مثل الأكورديون الصغير.

وكل الكومة أخذت تميل إلى أحد الجانبين، ولمَّا نظرت كادت أن تسقط من خوفها؛ لقد أشعل الأولاد النار في المحرقة!

بدأت النيران الصغيرة تعلو حول الفرش والأثاث القديم.

وأخذ الناس يهتفون والأطفال يغنون: «انتظروا حتى تصل الغليون في الأعلى! انتظروا حتى تصل الغليون في الأعلى!».

«راقبوني وأنا أنتظر!»، غمغمت السيدة ملعقة. «يجب أن أصل قبلها!»، فتسلقت حتى أمسكت يداها ساق الغليون، وبلغ مسمعيها هتاف الأطفال:

«انظروا إلى اللهب وهو يصل العصا! ثمة صاروخ مربوط بالغليون!».

«أوه يا رب السماء!»، صاحت السيدة ملعقة، وهي تتشبث لتنجو بحياتها. بانغ! عاليًا في سماء الليل الباردة طار الصاروخ والعصا والغليون والسيدة ملعقة!

كف المتحلقون حول المحرقة عن الهتاف فجأة، وهمست امرأة نحيلة تضع وشاحًا لجارتها:

«أظنني رأيت أحدًا يجلس على تلك العصا!».

همست جارتها التي كانت أنحل منها وتضع وشاحين: «قد تكون ساحرة!»، فارتعدت كلتاهما، ومن خلفهما قال رجل:

«آه، لا يعقل أن تكون هي، أيعقل؟» كان هذا السيد ملعقة

الذي ترك العمل وصعد الجبل على الدراجة ليشهد المحرقة. ثم أدار دراجته ثانية ومضى نحو البيت بأقصى سرعة، مغمغمًا طوال الطريق: «كوني في البيت؛ آه لتكوني في البيت رجاء!» وحين وصل البيت وفتح الباب كانت يده ترتعش.

هنالك وقفت السيدة ملعقة، في حجمها المعتاد دون أثر لعصا مكنسة. كانت تزين كيكة ميلاده، وعلى الطاولة موضوعًا بأناقة على قطعة صغيرة من القماش كان الغليون الثمين بحلقته الفضية.

«عمرًا مديدًا سعيدًا!»، قالت السيدة ملعقة. «تعال لتتناول طعامك، ثم تلبس قميصًا نظيفًا وتأخذ زوجتك لتراقصها طوال الليل في حفل النار!».

«كما تشائين!»، قال السيد ملعقة. فقد شعر بارتياح عظيم لأنها لم تنطلق مع ساحرات عشية منتصف الصيف.

(١٧)

يوم ميلاد السيدة ملعقة

مكتبة
t.me/soramnqraa

كان يوم ميلاد السيدة ملعقة، فدعت جاراتها إلى شرب القهوة الساعة الثالثة. قضت النهار بأكمله في الفرك والتلميع، وقد صارت الساعة الثالثة إلا عشر دقائق وبدأت تضع آخر اللمسات على طبقة الفراولة في الكيكة على طاولة المطبخ. وأثناء وقوفها لوضع آخر حبة فراولة بالملعقة شعرت أنها تنكمش، لم يكن ذلك ببطء كما يحدث لها أحيانًا، بل بسرعة شديدة لم يتسنَ لها الوقت معها أن تضع الفراولة في الصحن. فتدحرجت على الأرض وتبعتها السيدة ملعقة، لكنها تمالكت نفسها سريعًا وقفزت إلى سلة القطة. دهشت القطة پس قليلًا، لكنها سمحت لها بأن تندس إلى جانب الهريرات. وتمنت أن تراها الضيفات واحدة من أفراد عائلة القطة بفضل تنورتها المخططة باللونين الأبيض والأسود، إلى أن يزول السحر وتعود إلى حجمها المعتاد، فالسيدة ملعقة لا تحب أن يراها أحد صغيرة كما تذكرون.

قُرع الباب، ولمَّا لم يفتح أحد دخلت سارا من ساوث فارم [المزرعة الجنوبية] إلى البهو الأمامي حاملة طاقة هائلة من الليلك.

«عمرًا مديدًا سعيدًا!»، قالت سارا ولم تلقَ جوابًا، فاختلست نظرة إلى المطبخ ظنًّا منها أن السيدة ملعقة هناك، لكنها بطبيعة الحال لم تنظر إلى سلة القطة. لقد ضربت زَهريَّة الورد الموضوعة على طاولة البهو، وانسكب الماء على مفرش الطاولة وعلى الأرض.

«أوه يا إلهي، أوه يا إلهي!»، قالت سارا، «عليَّ مسح هذا قبل أن يلحظه أحد».

وفي تلك اللحظة قُرع الباب ثانية، فركضت سارا إلى المطبخ واختبأت في الخزانة. عندئذ دخلت نورا من نورث فارم [المزرعة الشمالية]، وكانت تحمل مفرش طاولة بالغ الجمال.

«عمرًا مديدًا سعيدًا!»، قالت لكنها لم تلقَ جوابًا، فبحثت عن السيدة ملعقة، غير أن صرتها قد سحبت الزهرية وأوقعتها على الأرض.

«هذا سيئ!»، قالت نورا، «عليَّ أن أعيدها قبل قدوم أحد».

وقبل أن تتمكن من فعل ذلك، قُرع الباب وأسرعت نورا إلى غرفة النوم واندست تحت السرير.

جاءت إيستر من إيست فارم [المزرعة الشرقية] تحمل وعاء زجاجيًّا أنيقًا للسيدة ملعقة. وعندما قالت: «عمرًا مديدًا سعيدًا!» ولم يجبها أحد، توجهت إلى غرفة المعيشة. كانت تحمل الوعاء الزجاجي أمام وجهها لذا لم ترَ الزَّهرية على الأرض فداستها، فسمعت صوت تحطم ورأتها وقد تحولت إلى قطع صغيرة.

«أيها الرب الرحيم، ماذا فعلت؟» قالت إيستر. «لعلي إن اختبأت خلف هذه الستارة لن يعرف أحد أنني الفاعلة!» فلفَّت نفسها سريعًا بإحدى الستائر.

عندئذ دقت الساعة الثالثة تمامًا، وبطل السحر وعادت السيدة ملعقة إلى حجمها المعتاد، ودخلت إلى المطبخ، ونادت: «هي يووو! بوسعكن جميعًا أن تخرجن!».

فخرجت سارا من الخزانة، وظهرت نورا من تحت السرير، وأبعدت إيستر الستارة عنها في غرفة المعيشة.

بدا عليهن شيء من الخوف في بادئ الأمر، ثم قلن: «عمرًا مديدًا سعيدًا!» مرة أخرى، وضحكن كثيرًا. أما السيدة ملعقة فكنست الزَّهرية المكسورة، وتخلصت من الزهور الميتة ووضعت المفرش المبلل في حوض الغسيل. ثم شكرتهن على هداياهن الجميلة؛ فقد فُرش مفرش نورا على الطاولة، ومُلئ وعاء إيستر الزجاجي بماء نقي، ووُضع فيه طاقة الليلك الضخمة التي أحضرتها سارا.

جلبت السيدة ملعقة القهوة والكيك وجلسن جميعًا لقضاء وقت ممتع، لكن حبة فراولة واحدة كانت ضائعة من طبقة الفراولة.

قالت السيدة ملعقة لمَّا سألنها عمَّا حدث: «كانت أولى زائراتي هذا العصر هي العجوز التي تنكمش، وكانت بالغة الصغر اليوم ولم تستطع أكل شيء إلا حبة فراولة واحدة، فأعطيتها كشتبانًا من الحليب لتزدردها».

«ألم تطلبي منها البقاء حتى نتمكن من لقائها؟»، سألت سارا إذ كان الفضول ينهشهن جميعًا لمعرفة العجوز التي تنكمش، ولم يرها أحد قط في الجوار.

«قالت إنها تعتذر لأنها في عجلة من أمرها، إذ عندها أمر تقضيه مع الفأر حارسها الليلي أو ما شابه. لكنها أخبرتني أن أبلغكن أنها استمتعت جدًّا بلعبة الغميضة!».

(١٨)
السيدة ملعقة تتحول إلى عرَّافة

عند ذهاب السيد ملعقة إلى العمل كل صباح، تقف السيدة ملعقة قرب النافذة تراقبه حتى يختفي عن ناظرها في المنعطف إلى الشارع الرئيس. ثم تجلس على الكرسي قرب طاولة المطبخ، ترفع فنجان قهوتها الفارغ وتبدأ قراءة طالعها.

لا أظنكم تعرفون أن السيدة ملعقة تجيد قراءة الطالع في الفنجان. حسن، إنها كذلك، ويمكنها أن تعرَف من رسوم ثفل القهوة الطريق الذي ستسلكه ذاك اليوم وإن كان ما ينتظرها فرح أو ترح قبل أن يرخي الليل سدوله. ترى أحيانًا شكل قلب في الفنجان وذلك يعني أنها ستعثر على حبيب جديد. لكن هذا يُضحك السيدة ملعقة، فهذا يعني في نظرها أنها ستحصل على حيوان أليف أو ستعتني بعصفور مسكين صغير مكسور الجناح أو هريرة ضالة على عتبة بابها، وهي تزداد ألفة كلما لعقت مزيدًا من الحليب الذي تقدمه إليها.

ولكن إن رسم ثفل القهوة خطين متقاطعين عرفت أنَّ عليها

الحذر، فهذا يعني أنها ستكسر شيئًا؛ قد يكون شيئًا تغسله أو أثناء فركها للأرضية. وإن رأت قطرة صافية من القهوة تنزلق أسفل الفنجان فهذا يعني أنها ستؤذي نفسها بصورة ما ولن تحتاج ضمادة فحسب، بل أن يراها طبيب أيضًا. وهكذا دواليك، إذ بوسعها قراءة علامات كثيرة، وهي تفعل هذا الأمر لنفسها فحسب، ولم تفعله يومًا للآخرين وإن طلبوا منها ذلك. إذ تقول إنها ليست إلا تسلية، وشيئًا تزجي به الوقت لدى قضائها النهار بطوله وحيدة في البيت.

حسن، هذا اليوم -كان يوم جمعة أيضًا- عزمت السيدة ملعقة على تنظيف البيت تنظيفًا جيدًا ثم خبز كيكة للسيد ملعقة. عدا ذلك كانت تنوي الاسترخاء من باب التغيير. لذا حين رأت زوجها ينعطف نحو الناصية حملت فنجانيهما راغبة في وضعهما في حوض المغسلة، لكنها توقفت.

«لحظة ما الذي أفعله؟ لقد كدت أنسى أن ألقي نظرة على طالعي اليوم!» فأخذت أحد الفنجانين إلى الطاولة وجلست وقالت وهي تقلب الفنجان بين يديها «لنرَ. آه يا إلهي، يا إلهي!» قالت، «ما الذي أراه؟ خطين متقاطعين كبيرين؟ عليَّ أن أحذر في عملي اليوم وألا أرتكب الأخطاء!».

وانكمشت في تلك اللحظة، وغدا حجمها بحجم الفنجان فسقطا معًا عن الكرسي إلى الأرض.

«كان هذا سقوطًا مروعًا!»، وتحسست ذراعيها وساقيها لتتأكد

أنها لم تكسر. ولمَّا تأكدت أنها سليمة هدأت لبرهة دون أن تجرؤ على النظر إلى الفنجان، إذ كان واحدًا من أفضل فناجينها، وكانت واثقة بأنه تكسَّر جراء الوقوع.

فقالت لنفسها في نهاية الأمر: «أحسب أن عليَّ النظر»، ودهشت لمَّا رأت فنجانها سليمًا دون ثلم أو شرخ.

لكن القلق ما زال يساورها: «إن لم يكن هذا هو الأمر فلا بد أن شيئًا من أشيائي سينكسر اليوم»، قالت بأسى وهي تقرفص لتنظر داخل الفنجان إذ كان على جنبه.

«آه يا أنا، آه يا لي!» قالت. «هذا يوم نحسي!»، رأت قطرة صافية كبيرة على جانب الفنجان، «هذا يعني الدموع، لكن ما الذي سيبكيني؟».

فجاة سمعت خبطة قوية، بانغ! داخل خزانة المطبخ، وكادت السيدة ملعقة تموت خوفًا.

«هيا! أليس هذا مثل وضع السيد م. مصيدة للفئران في الخزانة، رغم معرفته بألا حاجة إلى ذلك لأني جعلت الفأر حارسًا ليليًّا؟ يحدث بين الفينة والأخرى أن تتسلل فأرة صغيرة إلى الخزانة بطريق الخطأ؛ قبل أن تتعلم قوانين الفئران. وهي لا تتعمد الأذى لذا فإن الاكتراث بهذا أمر سخيف. أتراني أجرؤ على فتح الباب قليلًا لأرى ما الذي حدث؟ أظن أنه يجدر بي ذلك؛ فقد يكون ذيل الفأرة الصغيرة عالقًا في المصيدة وأستطيع تحريرها. غير أن الأمر

قد يكون أسوأ فالفنجان قال: دموع، ولا بد أن تنهمر الدموع قطعًا!».

فتقدمت السيدة ملعقة نحو الخزانة وفتحت الباب برفق، وأغمضت عينيها لتحبس دمعها المستعد للانهمار في أي لحظة. وفتحت الباب بما يكفي لترى، ففتحت عينًا ثم الأخرى وارتمت على الأرض صافقة يديها على ركبتيها، وانفجرت ضاحكة.

صحيح أن صوتًا صدر عن المصيدة، ولكن لم يقع فيها شيء، بل كان فأران صغيران يلعبان سعيدين قربها ببكرتي قطن فارغتين. وظنت السيدة ملعقة هذا أطرف مشهد رأته في حياتها.

«أهلًا يا سيدة ملعقة»، صاء أحد الفأرين، «أَنكمشتِ ثانية؟».

«تمنينا أن تنكمشي!»، قال الآخر، «لأننا أنا وأخي لم نرَكِ صغيرة من قبل، وقالت جدتي إن بوسعنا القدوم هنا واستراق النظر... إن انكمشتِ. لم نكن مشاغبين -بل نلعب لعبة السيارات- ثم اصطدمنا بهذا الشيء الكريه الذي فرقع هناك».

«أتلعبين معنا؟»، سأل الفأر الأول الصغير، «اجلسي في السيارة وسنجركِ».

ولمَّا نظرت السيدة ملعقة من كثب وجدت أن الفأر الصغير قد ثبَّت علبة ثقاب على بكرة خيوط القطن وكانت هذه البدعة تتحرك حقًّا.

«لننطلق!»، هتفت السيدة ملعقة وقفزت إلى علبة الثقاب.

فلعبوا لعبة السيارات وهم يتبادلون الأدوار في الجلوس في علبة الثقاب، وضحكت السيدة ملعقة وصاء الفأران سرورًا، حتى سمعوا صوت خمش فوقهم فجأة.

«هذا يكفي أيها الصغيران!»، نادتهما جدتهما التي ظهر رأسها من ثقبٍ في الجدار الخلفي. «القطة جالسة أعلى الخزانة والباب مفتوح!».

وفي لمح البصر اختفى الصغيران عبر الثقب يناديان: «شكرًا على اللعبة!»، وهما يختفيان.

«شكرًا لكما!»، قالت السيدة ملعقة وخرجت من الخزانة لترى ما الذي تنوي القطة فعله.

كانت هناك واقفة أعلى الخزانة تمايل ذيلها مترقبة عندما خرجت السيدة ملعقة، لكنها لا تطيق أية ترهات، فصاحت بالقطة: «ماذا تفعلين عندك في الأعلى؟ انزلي حالًا وإلا لقنتك درسًا حين أعود إلى حجمي! لعلك أنتِ من سيكسر شيئًا اليوم! أجل، أشعر بهذا في عظامي. أعرف أني لو نظرت ثانية إلى ذلك الفنجان لرأيت فيه مزيدًا من المصائب!».

كانت حينئذ متيقظة مثلما كانت قبل لعبتها القصيرة مع الفأرين، لكنها لم تقاوم الرغبة في النظر إلى الفنجان ثانية: «أيها الرب الرحيم!»، صاحت، «ذلك ما ظننته، طبيب وضمادات وإسعاف وكل شيء! كأني لم ألقَ من المتاعب ما يكفي اليوم! انزلي أيتها القطة وأسرعي!».

«حسن، لا تفقدي أعصابك»، قالت القطة، «كنت أؤدي واجبي وحسب إذ سمعت صوتًا مريبًا في الخزانة. سأنزل الآن».

«انتبهي أثناء نزولك! كوني حذرة! لا أريد أن يُكسر شيء. سأقف هنا في الأسفل وأرشدك»، قالت السيدة ملعقة.

«سيظن المرء أني لم أقف من فوق خزانة من قبل، كما أن ليس من عادتي أن أكسر شيئًا»، أجابت القطة، وهي تشق طريقها حذرة قرب إناء خزفي كبير. على طرف الخزانة مقص كبير، ولكن لم تره القطة ولا السيدة ملعقة.

انشغلت السيدة ملعقة بتحذيراتها: «انتبهي إلى ذلك الإناء!»، صاحت وهي تقف تحت المقص.

كانت القطة حذرة قدر استطاعتها، لكن ذيلها مرَّ على المقص وأطاره إلى الأرض، ونصلاه متجهان إلى الأسفل، ووقف هناك يختلج.

تمكنت السيدة ملعقة من القفز بعيدًا عنه، لكنها خافت أن تتحرك. «هذا هو الأمر إذن!»، قالت متلعثمة أخيرًا، وتحسست نفسها ثانية، وقد كانت متأكدة من أنها جرحت هذه المرة، غير أنها لم تجد ولو خدشًا!

ثم عادت إلى حجمها المعتاد، فرفعت المقص عن الأرض وأنزلت القطة بعيدًا عن الخطر. وشرعت تنظف البيت وتسنى لها الوقت لخبز الكيكة قبل أن تسمع زوجها عند الباب.

يا للحال المزرية التي كان بها! كانت الدموع تنهمر من عينيه بفعل الرياح القاسية في الخارج، وقد أصابه زكام شديد. كان يضع يدًا على ظهره؛ فقد وقع من دراجته وتحطم مصباح الدراجة وجرح الزجاج يده!

بحثت على عجل عن شيء تربطه حول يده، فخطر لها غرابة أن يكون الدمع في عيني السيد ملعقة، وأنه هو الذي كسر شيئًا وجرح نفسه وأنه هو من سيضع الضماد. غريب جدًّا!

ولكن إن كنت تظن أن هذا شفى السيدة ملعقة من عادة قراءة الطالع في فناجين القهوة فإنك مخطئ جدًّا. كل ما فعلته أنها غدت أكثر حذرًا في ألا تأخذ الفنجان الخطأ وتقرأ طالع زوجها بدلًا من طالعها.

(١٩)

مغامرة عشية رأس السنة

يحدث هذا عشية رأس السنة دومًا، إذ تقول السيدة ملعقة لنفسها: «سأشاهد الألعاب النارية هذا العام قطعًا وأستمع إلى رنين أجراس الكنيسة في العام الجديد».

ويقول السيد ملعقة الشيء نفسه، فيلبسان أحسن ثيابهما، ويتناولان عشاءً من اللحم المقدد المسلوق والزلابية، تعقبها كيكات السيدة ملعقة المميزة الصغيرة المغطاة بمربى الكلودبيري[١] والكريمة المخفوقة. ثم يجلس كل منهما على كرسيه المحبب ويقرأان المجلات التي ابتاعاها من أجل عيد الميلاد.

كان الصوت الوحيد هو صوت دقات الساعة: تِك تُك، تِك تُك...

وبعد برهة يراود النعاس جفني السيدة ملعقة فتنهض وتعد بعض القهوة، وأثناء شربهما القهوة يتقدم السيد ملعقة نحو النافذة

(١) ثمرة برتقالية اللون شبيهة بتوت العليق تكثر في المناطق الباردة.

ليرى أي صاروخ من الألعاب النارية. وهكذا ينقضي الوقت، وحين تدق الساعة الثانية عشرة أخيرًا وتنطلق الصواريخ في أقواس هائلة في السماء ويأخذ قارع الجرس يجر الحبل في برج الجرس، حسن... لقد خمنتم الأمر... يغط السيد والسيدة ملعقة في نوم عميق على كرسييهما ولا يسمعان شيئًا.

فعزما هذا العام على ألا يهتما بالسهر، بل أن يخلدا إلى الفراش في موعدهما. وتناولا عشاءهما وشربا قهوتهما وجلسا يقرأان مجلاتهما حتى داعب الكرى جفونهما، وأخذ السيد ملعقة يتمطط ويتثاءب.

«أحسب أنني سأخلد إلى الفراش»، قال هامسًا.

«لك ذلك»، قالت السيدة ملعقة التي ظلت تنظر إلى الصفحة ذاتها من مجلتها إلى ما يقارب العشرين دقيقة. «سأخرج القطة. تعالي يا بستي»، نادتها، «ستخرجين إلى الثلج».

وتبعت القطة إلى العتبة ونظرت إلى القمر لترى إن كان حوله حلقة.

فانكمشت في تلك اللحظة!

إن التقيتم السيدة ملعقة من قبل، فأنتم تعرفون عادتها التعسة في الانكماش - بحجم ملعقة الشاي - في أشد الأوقات حرجًا.

«أيها الرب الرحيم!»، قالت وقد تدحرجت إلى الثلج.

«يا له من حظ سعيد!»، قالت القطة، «بوسعك الآن القدوم معي لتري شيئًا ما رأته عين بشر. اقفزي إلى ظهري!».

هذا شيء آخر يحدث عندما تنكمش السيدة ملعقة، إذ تكون قادرة على فهم لغة الحيوانات وتكون الحيوانات قادرة على فهمها.

«حسن، إن كان شيئًا مميزًا جدًّا.»..، قالت السيدة ملعقة وهي تركب ظهر القطة، «ولكن عليَّ العودة عندما يقرعون جرس السنة الجديدة».

انطلقت القطة حاملة السيدة ملعقة على ظهرها. كان الليل شديد العتمة والريح تنفث الثلج في وجهها، لكنها عرفت أنهما صاعدتان إلى الجبل. سمعت خلال الأشجار صوت وقع أقدام ثقيلة وانسحاق أغصان تحتها، وحينما ظهر القمر من بين السحاب رأت حيوان موظ ضخمًا كبيرًا وأسرته خلفه، وفي أعالي الشجر سمعت السنجاب يهذر وفوق رأسها انبثق صوت طنين جناحي قبُّرة. سمعت بومة تنعب وثعلبًا ينبح، كما رأت ظلال الأرانب البرية المسرعة وهي تمشي في خطوط متعرجة على الثلج أو تجري في دائرة. غير أنهم جميعهم سلكوا الطريق نفسه ثم توقفوا في النهاية أمام صخرة هائلة.

«لماذا توقفوا كلهم؟»، همست السيدة ملعقة مقرِّبة فمها من أذن القطة.

«إنهم يصغون، ألا تسمعينه بأذنك؟»، أجابت القطة.

أنصتت السيدة ملعقة ثم سمعت حقًّا شيئًا ما؛ بدا مثل هدير خافت لدراجة نارية، بعيد جدًّا.

«هذا هو قطعًا، يشخر»، قالت القطة.

«هلَّا أوضحتِ؟»، قالت السيدة ملعقة وقد أخذت تضجر من كل هذا الغموض.

فقالت القطة «حسن، خلف هذه الصخرة يقع العرين الشتوي لملك الغابة، الدب البني الكبير. إنه ينام هناك منذ عدة أشهر، ولكن يتوجب عليه أن ينقلب على جنبه الآخر عشية رأس السنة».

«وماذا يحدث إن لم ينقلب؟»، سألت السيدة ملعقة.

«أوه، هذا مروع»، قال القطة، «إن نام على الجنب نفسه طوال الشتاء، فسيستيقظ في فصل الربيع في مزاج سيئ شكس ونزق. ويصب جام غضبه علينا نحن الحيوانات وسيحل البلاء على أي حيوان يعترض طريقه!».

«حسن»، قالت السيدة ملعقة، «وكيف تجعلونه ينقلب على جنبه الآخر؟».

«نصدر أعلى ما استطعنا من ضجيج، غير أن الأمر يزداد صعوبة في كل عام، إذ يتقدم الملك في العمر ويزداد صممًا كل عام. كان إيقاظه العام المنصرم عملًا شاقًّا علينا»، قالت القطة.

لم يقل أيٌّ من الحيوانات الأخرى شيئًا، إذ كانوا مشغولين في التقاط أنفاسهم. ثم تحدث أحد الأرانب البرية، الذي تلألأ بمعطفه الشتوي الأبيض فقال:

«نحتاج الآن صوتًا جديدًا، أحدَّ من ولولة الثعالب وصفير

البوم، سيكون قليل من المتفجرات رائعًا، مثلما يفعل البشر عندما يفجرون الصخور».

فرقعت السيدة ملعقة بأصابعها: «هذا يوحي إلي بفكرة! لديَّ ما نحتاجه في البيت، لكني سأحتاج بعض المساعدة»، كانت السيدة ملعقة تُقلِّب الأمر قبل أن تتحدث.

كان الموظ الضخم واقفًا قربها، وبدا لها كبيرًا بحجم البيت، لكنها جمعت يديها وصاحت به: «مرحبًا يا موظ! أتعيدني إلى البيت؟ أريد جلب صندوق الزينة».

جثا الموظ في الثلج من فوره لتتمكن السيدة ملعقة من امتطائه، فجلست بين قرونه.

«حسن، لننطلق!»، هتفت.

ركض الموظ نازلًا الجبل إلى الوادي ثم ارتقى التل إلى بيت السيدة ملعقة.

«عليك أن تلزم الهدوء الشديد»، قالت السيدة ملعقة حين جثا الموظ لتنزل من عنقه. «لا نود إثارة ذعر زوجي».

كان باب البيت مفتوحًا لحسن الحظ، ولم يكن من حوله كلب ولا قطة ولا دجاجة تثير ضجيجًا. ذهبت السيدة ملعقة إلى صندوق كبير من الورق المقوَّى مغطى بالورق وأحكمت ربطه بخيط.

«في هذا الصندوق متفجرات تكفي لإيقاظ حِمل عربة من الدببة»، قالت للموظ الواقف بهدوء عند الباب.

اشترت السيدة ملعقة على مرِّ السنوات ألعابًا نارية وصواريخ وشموعًا رومانية وغيرها لتطلقها عشية رأس السنة، فصار عندها مجموعة كبيرة لأنها لم تستخدمها قط.

واجهتها مشكلة ربط الصندوق بإحكام إلى الموظ، ليتمكن من جره إلى الجبل إلى حيث عرين الدب. طلبت منه السيدة ملعقة أن يجثو ثانية، وربطت حبلًا حول الصندوق أولًا ثم حول قرون الموظ. ثم قفزت عائدة إلى «سرجها» على جبينه المعجر، وانطلقا نازلين التل، والصندوق يتمايل مثل مزلقة مجنونة.

«أرجو ألا تنفجر الألعاب النارية في الطريق»، قالت السيدة ملعقة في نفسها، لكنها لم تقل شيئًا للموظ الذي تفادى الأشجار بحذر وهما يصعدان الجبل. كان الثلج سميكًا جدًّا وجعل الطريق سهلًا على الصندوق الذي لم يكن ثقيلًا جدًّا.

كانت الطيور والحيوانات بانتظارهما.

«هيا جميعًا!»، قالت السيدة ملعقة حين قفزت إلى الثلج، «ساعدوني لنقطع الخيط والورق».

نقرت البومة والقبُّرة الخيط، واستخدمت الثعالب مخالبها الحادة لتمزق الورق، وتمكنت السيدة ملعقة من فتح الصندوق.

«إليكم يا صغار»، قالت، «ألعاب نارية وصواريخ من شتى الصنوف. إن لم يستيقظ جلالة الملك الدب عند انفجار هذه، فأؤكد لكم أنه ميت!».

«كيف ستشعلينها؟»، سأل الأرنب البري ذو الفراء الأبيض صاحب اقتراح المتفجرات.

«سؤال جيد!»، قالت السيدة ملعقة، «غير أني كنت أحمل علبة ثقاب في جيب مئزري عندما انكمشت».

طلبت من الطيور والحيوانات أن تتنحى جانبًا، كلهم عدا السنجاب صديقها المخلص، الذي ساعدها كثيرًا من قبل. قالت له وهي تجلس على ظهره أن يصعد شجرة الصنوبر العالية المجاورة للصندوق. ومن هناك أشعلت أعواد الثقاب كلها ورمت بها إلى الصندوق.

«اركض إلى الأعلى بأقصى سرعة»، صاحت لدى انفجار الصاروخ الأول. ظل السنجاب على الجانب البعيد من جذع الشجرة، وحين بلغ أعلاها قفز قفزة عالية إلى الشجرة المجاورة، حيث هبطا بسلام بعيدًا عن متناول القذائف المتطايرة.

«أف! كان ذاك وشيكًا!»، قالت السيدة ملعقة لاهثة، وقد خافت من الألعاب البهلوانية للسنجاب أكثر من خوفها من الهسهسة والبقبقة في الأسفل.

كان مشهدًا رائعًا عند النظر إليه من الأعلى، فقد اشتعل صندوق الألعاب النارية بأكمله مطلِقًا صخبًا ولهبًا هائلين. وأضاء الثلج والأشجار والسماء وتفرقت الحيوانات والطيور في كل صوب.

انفجرت آخر الألعاب النارية وعادت السماء إلى سوادها،

وسمعت السيدة ملعقة صوتًا شديد الاختلاف، وسمعته كل الطيور والحيوانات؛ كان صوتًا شبيهًا بصرير باب ثقيل أعقبته «آواااااه!»، تثاؤبة عالية طويلة.

«مرحى!»، هتفت الحيوانات وزقزقت الطيور فرحة: «لقد انقلب الملك الدب! انقلب الملك الدب!».

نزل السنجاب بالسيدة ملعقة إلى الأرض ووجدت نفسها محاطة بالأقدام الخابطة والأجنحة المرفرفة؛ فقد أراد الجميع تقديم الشكر إليها.

«النجدة، النجدة! إنكم تخنقوني!»، قالت.

لكنها عادت إلى حجمها المعتاد، ووقفت في الثلج قرب التمثال الحجري.

فاختفى كل طير ودابة في الظلام عدا واحدًا. شعرت السيدة ملعقة بدفءٍ من تَمَسُّحِهِ بساقها.

«أهذه أنت يا بستي؟»، قالت وهي تحمل القطة المخرخرة، «حسن، لقد منحتني مغامرة رأس السنة هذا العام!».

تثاقلت عائدة إلى البيت عبر الثلج، فأخذت أجراس الكنيسة تقرع وأضاءت الألعاب النارية السماء فوق القرية.

(٢٠)

القَدَر والسيدة ملعقة

تهوى السيدة ملعقة قراءة الطالع، لكنها تقرؤه لنفسها لا للآخرين. كلما فرغت من شرب قهوتها راودتها رغبة في النظر إلى رسوم ثفل القهوة في قعر الفنجان لترى ما ينتظرها.

كان هذا ما فعلَتْه ذات صباح بارد من يناير. «يا ربي!»، قالت بحماس، «أرى رحلة طويلة في البحر! عرفت أن حظي سيتغير. عليَّ أن أحزم متاعي وأنتظر حدوثه». وكانت تنوي صعود العِلية لجلب حقيبة السفر القديمة، فتذكرت أنها غمست بسكويتتها في القهوة، وقد اختلط فتات البسكويت بثفل القهوة وهذا لا يحتسب.

«آه، حسن. أظنني لا أستطيع توقعها. ثم ماذا سيحدث للسيد ملعقة إن سافرت وحدي في إجازة وسط البحر؟».

وحملت المجلة الموضوعة على الطاولة، كانت مفتوحة على صفحة عنوانها: «أنت والنجوم». فنظرت إلى برج الثور لأنها مولودة في مايو. يقول: «استعد لرحلة بحرية».

هذا عجيب!

«لا بد أنه القدر!»، قالت السيدة ملعقة، «لا مجال لإنكاره هذه المرة. سأحزم متاعي في الحال».

ثم نظرت إلى تاريخ المجلة فرأت أنها من العام الماضي!

«كان عليَّ أن أعرف»، قالت باشمئزاز لَمَّا ألقت بالمجلة إلى الموقد. «من يود الذهاب للتسكع في جنوب فرنسا أو أينما كان؟ إنني بأحسن حال هنا، ألست كذلك؟ لديَّ زوجي وبيتي أعتني بهما وقطتي»... ثم نهضت وأخذت تجدُّ في العمل؛ فكنست الأرض ونظفت حوض المغسلة وقشرت البطاطا من أجل العشاء. شعرت أثناء وقوفها بخدر في باطن قدمها اليمنى، فانتظرت لحظة لكنه كان خدرًا حقًّا!

«هذا يحسم الأمر»، قالت بحزم لنفسها وهي تصعد إلى العِلية لتجلب حقيبة السفر.

إن الخدر في القدم اليمنى هو علامة أخرى على ذهابكم في رحلة، كما تعلمون، وكانت السيدة ملعقة واثقة هذه المرة بعدم وجود خطأ.

نزلت حاملة حقيبة قديمة بالية وقالت ناظرة إليها في أسى: «لقد مرَّ وقت طويل منذ نلت بعض الهواء. لا بأس. عليَّ الآن أن أغسل كل ثيابي استعدادًا للرحلة».

لكنها وجدت أن مسحوق الغسيل نفد، فاعتمرت قبعتها ولبست معطفها ولفاعها الدافئ ومضت نحو المتجر.

كان المتجر يغص بالزبائن، ووقفت سيدة عند الباب تحمل نشرات ملء يديها، تعلن عن مسحوق غسيل جديد.

«هذا المُنتَج ليس كأي منتج جربته من قبل»، قالت، «سيزيل عنك عبء يوم الغسيل».

«لا يمكنك خداعي بهذا الكلام الفارغ»، غمغمت السيدة ملعقة. لكن السيدة واصلت كلامها: «في كل علبة تشترونها اليوم ستجدون قسيمة مرقمة، وإحدى القسائم عليها رقم الحظ. ومن يجد رقم الحظ يفوز برحلة لشخصين لقضاء إجازة من سبعة أيام مشمسة في لاس پالمز الجميلة في جزر الكناري. لا تفوِّتوا الفرصة سيداتي سادتي، سيجري سحب رقم الحظ الليلة ويعرض في واجهة المتجر عند وقت الإغلاق».

لم تُنهِ كلامها حتى بدأ الجميع يجذبون علب مسحوق الغسيل، بل اشترى بعضهم ست علب!

«سيحتاجون سنة كاملة لاستهلاك كل هذا»، قالت السيدة ملعقة، وقد اشترت علبة واحدة فحسب.

«هذا كل ما أحتاجه لرقم حظي»، قالت وهي تتهادى عائدة إلى البيت عبر الثلج. كانت تتساءل عمَّن ستدعوه إلى إجازتها المشمسة، ربما السيدة نورث، أو لعلها السيدة وست، حين أوپس، انزلقت قدماها وانكمشت!

كانت تسير على الدرب الذي غطاه ثلج ناعم ليس زلقًا جدًّا،

لكنها سقطت هي وعلبة مسحوق الغسيل على سطح الطريق القاسي كالزجاج، الذي ينحدر بشدة نحو الجدول.

«أوه يا أنا، آه يا ليَ!»، تأوهت وقد أخذت تنزلق خلف العلبة، «هذه رحلة قطعًا، لكنها ليست ما أردته».

انزلقتا أسرع فأسرع حتى وام! اصطدمت العلبة بجذع شجرة عند حافة الجدول. فهبطت السيدة ملعقة على العلبة ودفعتهما قوتها إلى الماء المتجمد!

ثم خرجتا ثانية، تدوران وتبقبقان في الجدول سريع الجريان، والسيدة ملعقة تتشبث بأقصى قوتها.

«ربَّانة يختي في رحلة بحرية فاخرة!» قالت ضاحكة، لكنها لم تكن مبتهجة، «أخشى أنه ما من أملٍ للنجاة هنا».

«كو كو!»، نعق صوت من الأعلى، «لا تقولي هذا!».

وقبل أن يتسنى لها الوقت لرؤية المتحدث، حُملت بتنورتها وأنزلت ثانية على ضفة الجدول.

نظرت السيدة ملعقة إلى منقذها، كان غرابًا أسود كبيرًا.

«شكرًا يا صاح، كان ذلك وشيكًا! ولكن هلا أسرعت وأنقذت علبتي أيضًا؟».

«كو كو! كما تشائين!»، زعق الغراب مسرعًا في انقضاضه على العلبة الدائرة حتى أمسكها بمنقاره.

وساقها بقليل من المشقة إلى الضفة حيث تقف السيدة ملعقة مستعدة لتسحبها من الماء.

«أخشى أن مسحوق الغسيل سيكون رطبًا قليلًا»، قال الغراب حين أخرجاه إلى اليابسة بسلام.

«لا بأس»، قالت السيدة ملعقة، «ما زلت أؤمن بيوم سعدي والفضل يعود إليك».

«أفعل أي شيء للتعبير عن امتناني يا سيدة م. كم مرة أكلت عند بابك الخلفي قطعة لذيذة من قشرة اللحم المقدد. يسرني أني حظيت بفرصة لرد صنيعك».

انتهى الحوار عندئذ، لأن السيدة ملعقة عادت إلى حجمها المعتاد فطار الغراب. لكنها لوَّحت له وهي تسرع عائدة إلى البيت متأبطة العلبة الرطبة. أفرغت العلبة في وعاء، وأخرجت القسيمة بحذر ووضعتها لتجف على منشفة، ولاحظت أن الرقم: ٣٤٧.

«هذا جيد لأن فيه سبعة. سأكون الفائزة بلا شك»، قالت.

ثم بدأت غسيلها وعملت بجد ولم تنتبه للوقت حتى سمعت السيد ملعقة يفتح الباب الأمامي.

«مرحبًا يا حبي!»، هتف. «لا تتخيلين حظي!».

نظرت إليه السيدة ملعقة؛ كان يحمل في يدٍ علبةً من مسحوق الغسيل نفسه الذي اشترته، وقسيمة في اليد الأخرى.

«دعيني أخبرك!»، قال السيد ملعقة بحماس. «ذهبت إلى المتجر صباح اليوم في طريقي إلى العمل لأشتري بعض التبغ، وهنالك كانت سيدة..».

«أعرف»، قالت السيدة ملعقة، «رأيتها هناك أيضًا».

«حقًّا؟ حسن، اشتريت علبة من مسحوق الغسيل، إذ قلت إنه سيكون نافعًا، ولستِ تعرفين متى تكون الفرصة سانحة..».

لم تُطِق السيدة ملعقة مزيدًا من التشويق: «ادخل في الموضوع يا رجل!».

«حسن، حسن! عدت من فوري لأرى الرقم في الواجهة وقد كان رقمي! ٦٩٣».

أشاحت السيدة ملعقة بوجهها.

«تهانيَّ. أرجو أن تقضي رحلة سعيدة»، قالت.

«حسن. لا يبدو عليكِ الحماس. ألا تودين الذهاب في إجازة مشمسة في جزر الكناري؟»، قال زوجها.

«لكن... لكن..»، تلعثمت السيدة ملعقة. «وأنَّى لي أن أعرف أنك تنوي اصطحابي؟».

«أيتها العجوز السخيفة، ومن سواكِ؟»، ضحك السيد ملعقة وقبلها قبلة متمطقة.

(٢١)

السيدة ملعقة تساعد آرني

قضى السيد والسيدة ملعقة إجازة سعيدة في جزر الكناري ولم تنكمش السيدة ملعقة قط أثناء إقامتهما هناك. سبحا في البحر واسمرًّا من الاستلقاء تحت الشمس واستمعا إلى الموسيقى مساءً في المطعم وجرَّبا الطعام الغريب الذي قُدم إليهما.

وعند انتهاء الأيام السبعة فرِحا بالعودة إلى النرويج بكل جليدها وثلجها. فقد كان جميلًا العودة إلى منزلهما الكائن على التل، والجلوس لتناول عشائهما المفضَّل من سمك الرنجة المقلي والبطاطا المسلوقة، يُتبعانها بالفطائر المحلاة ومربى التوت.

«بوسعهم الاحتفاظ بطعامهم الأجنبي الفاخر»، قال السيد ملعقة، «فطبخ زوجتي يكفيني!».

«سأتذكر قولك هذا حين تتذمر المرة القادمة!»، قالت السيدة ملعقة.

وانقضت أيام الشتاء على هذا النحو وحان وقت إجازة منتصف

الفصل الدراسي. كان معظم التلاميذ متزلجين بارعين وهذا يعني أن بوسعهم التزلج كل يوم أسبوعًا بأكمله!

وتسمع السيدة ملعقة هتافهم وضحكهم وهم ينزلون المنحدرات قرب بيتها.

كانت تعد الخبز ذات يوم في المطبخ، وأطلت من النافذة فرأت صبيًّا صغيرًا يشق طريقه ببطء وحذر في الطريق في الأسفل، وبدا خائفًا في تزلجه.

فتحت السيدة ملعقة نافذتها ونادته: «مرحبًا! تعالَ إليَّ لحظة».

خلع الصبي زلاجتيه وصعد التل، وقابلته السيدة ملعقة عند الباب.

«أتود تناول خبز طازج مع الزبدة والعسل؟»، سألت.

«أوه، أجل من فضلك»، قال الصبي.

«حسن، ادخل واجلس. سأشرب فنجانًا من القهوة في الوقت نفسه».

سألته السيدة ملعقة عن اسمه وهو يمضغ الخبز والعسل.

«آرني»، قال.

«لماذا لم تصعد المنحدر للتزلج مع الآخرين يا آرني؟»، سألته.

«لأني لا أجيد التزلج حقًّا»، قال آرني ناظرًا إليها في أسى، «ويغايظني الآخرون وينعتوني بالجبان الرِّخو. يقولون إني أخاف من

الموظ في الأعلى بين أشجار الصنوبر، وغيره من الكلام الكثير. إنهم لا يحبوني!».

ومسح عينيه بيده ونشق نشقة صغيرة.

«لا تقلق يا آرني»، قالت السيدة ملعقة، «لن أنعتك بالجبان»، وطوَّقت كتفيه بذراعها.

«هذا أول شتاء مثلج لي، إذ عشت قبلًا في فرنسا مع أمي وأبي».

«لا عجب أنك لا تجيد التزلج إذن!»، قالت السيدة ملعقة، «أتعرف؟ في صبايَ كنت شديدة الخوف من نزول هذه المنحدرات الشاهقة، لكني وجدت وسيلة للتغلب على ذلك».

أخذ آرني ينظر إليها متحمسًا، «وماذا فعلت؟».

«ستضحك إن عرفت»، قالت السيدة ملعقة. «أخذت جابية العجين القديمة العائدة إلى أمي؛ هي الجابية ذاتها التي استخدمتها اليوم لصنع الخبز. انظر، إن لها جوانب جميلة عالية تقيك من السقوط خارجها، وأخذتها إلى أعلى المنحدر وركبتها. في الحقيقة كان الأمر مسليًا جدًّا ولا أمانع في تكراره».

«أَفَارَقَكِ الخوفُ بعدئذ؟».

«إلى الأبد»، قالت السيدة ملعقة، «بوسعنا أن نجرب معًا إن أحببت، إذ عندي جابية أخرى».

ساور الشك آرني.

«لا أدري، فقد يرانا الآخرون.»..

«إن نهضنا في الصباح الباكر وذهبنا إلى القمة قبل الجميع فلن يرانا أحد».

وافق آرني. وفي اليوم التالي لدى طلوع الشمس انطلق هو والسيدة ملعقة وكل منهما يتأبط جابية العجين. وارتقيا قمة أعلى المنحدرات، حيث يلقي صف من أشجار الصنوبر ظلاله على الثلج المتلألئ الصلب.

«آمل أنه لم يرنا أحد»، قال آرني الذي ظل ينظر إلى الوراء.

«قطعًا»، قال السيدة ملعقة، «كل الأولاد الكبار يشخرون من قمم رؤوسهم في هذا الوقت من النهار».

غير أن القلق لم يزل يساور آرني: «أرأيت موظًا يخرج من بين هذه الأشجار من قبل؟».

«بوركتَ، أجل رأيته، لكنه يعرفني وأعدك أنه لن يضايقنا»، قالت السيدة ملعقة.

«أظنني سأبدأ أولًا!»، قال آرني حين جلس في جابية العجين.

«انطلِق إذن!»، قالت السيدة ملعقة ودفعته دفعة قوية لتطلقه.

نزل آرني المنحدر، وتمايلت الجابية الخشبية على الثلج الذي تطاير في عينيه فاضطر إلى إغماضهما، ولم يرَ أين يتجه. لكن هذا لا يهم، إذ لم يعقه شيء أمامه وتشبث بجانبي الجابية جيدًا. بل إنه

كان مبتهجًا بالتزلج، حتى توقفت الجابية ففتح عينيه. هنالك، على جانبيه وقف جمع كامل من تلاميذ صفه.

«ها قد أتى بطل ركوب المزلجة!»، هتف أحدهم فانفجروا كلهم ضاحكين.

«هذا آخر طراز!»، سخر آخر.

«وماذا فعلت بالعجوز؟ أليست قادمة بجابيتها أيضًا؟ أو لعلها خائفة أكثر منك.»..

واستمروا في سخريتهم، وتمنى آرني المسكين أن يدفن نفسه في الثلج وألا تظهر السيدة ملعقة.

رأت السيدة ملعقة قدوم الأولاد من أعلى المنحدر. وكانت تتساءل عمَّا تفعل فانكمشت!

لم تأسف هذه المرة على حجمها الصغير، فلن يراها الأولاد. ستجلس في الجابية وتنتظر ذهابهم.

جاء الموظ الضخم عندئذ يتهادى خارجًا من بين أشجار الصنوبر. «مرحبًا يا موظ!»، صاحت السيدة ملعقة من الجابية.

فتقدم الحيوان الضخم ونفث هواء ساخنًا من منخريه الكبيرين على السيدة ملعقة: «ما الأمر هذه المرة يا سيدة ملعقة؟».

«حسن»، قالت، «عندي فكرة، وإن ساعدتني اليوم، رددت صنيعك في يوم آخر».

«هو هو»، قهقه، «وماذا بوسع سيدة صغيرة مثلك أن تفعل من أجلي؟».

«ستدهش»، أجابته، ثم أطلعته على فكرتها: كان عليه أن يجلس في الجابية الكبيرة وينزلق المنحدر حيث يقف جمع الأولاد. وهمست في أذنه بالجزء الأخير من الخطة، ودفعته دفعة قوية فانطلق.

حسن، واجه الموظ الضخم مشقة في الحفاظ على توازنه في الجابية الخشبية، لكنه تفادى السقوط حتى توقفت في مكان وقوف الأولاد -أو بالأحرى حيث كانوا يقفون- لأنهم رأوه قادمًا وتفرقوا في كل صوب بأسرع ما استطاعوا.

كلهم عدا المسكين آرني الذي وقف هناك في جابيته. اغرورقت عيناه بالدمع لذا لم يرَ شيئًا حتى جاء الموظ ليرتاح قربه.

ولمَّا نهض الحيوان الضخم، بلغ الخوف بآرني مبلغًا شلَّه عن الحركة. فتقدم الموظ نحوه وفعل شيئًا جعل كل الأولاد يحملقون: لقد لعق وجه آرني بلسانه الكبير السميك!

لم يعد آرني خائفًا؛ بل عرف أن الموظ ودود. ووضع يده على الرأس الكبير ومسَّد أذنيه، ثم تهادى الموظ بهدوء عائدًا إلى المنحدر واختفى خلف الأشجار.

وماذا عن السيدة ملعقة؟ حسن، ظهرت في المكان، بحجمها المعتاد، حين تقدم الأولاد وصافحوا آرني.

«إنه صبي شجاع، أليس كذلك؟»، قالت مطوِّقة كتف آرني

بذراعها، «من كان يظن أن صبيًّا صغيرًا كهذا سيروض ذلك الموظ الضخم العجوز؟».

(٢٢)

تنظيف الربيع

كان يومًا جميلًا في مارس، والشمس تبذل ما في وسعها لإذابة آخر بقايا ركام الثلج وإرسال وهجها إلى أشجار الصنوبر الشاهقة على الحافة الجبلية. بدا كل شيء فجأة أكثر حدَّة ووضوحًا في منظره، بل بدت الجدران الخشبية لبيت السيدة ملعقة لامعة مثل صفيح مصقول. لكنها لم تشكر الشمس بعدما نظرت إلى نوافذها؛ فقد أظهرت لها قذارة النوافذ.

«آه يا إلهي»، قالت لنفسها، «أرى أن الوقت حان لتنظيف الربيع. عليَّ البدء به في الحال كما أرى».

دخلت إلى المطبخ لتخرج دلوها، وفرشاة التنظيف وكثيرًا من الصابون ومسحوق التبييض. كانت السيدة ملعقة شديدة الدقة عندما تشرع في العمل، بل إنها تهوى تنظيف الربيع. كانت على وشك البدء بتنظيف نافذة حين سمعت صوت أزيز بطيء فوق الموقد، وخرجت ذبابة كبيرة سوداء من الزاوية حيث كانت تنام.

«أوهو!»، قالت، «لقد أيقظتكِ الشمس أيضًا أليس كذلك؟ حسن، لا تظني أني سأسمح لك بأن تبيضي في أنحاء بيتي، وتفرخي ملايين الذبابات لتجعلي نوافذي سوداء صيفًا. سأتولى أمركِ!»، وأسرعت خلف الذبابة بمضرب الذباب.

لكن الذبابة نجت بحياتها، إذ انكمشت السيدة ملعقة في تلك اللحظة!

«انتظري!»، قالت زاعقة بصوتها الصغير وهي تتدحرج على الأرض، «سأنال منك!».

«لا تقلقي»، جاءها صوت من الزاوية.

استدارت السيدة ملعقة، كانت عنكبوت كبيرة تتدلى بخيط من شبكة غزلها بين الساعة القديمة والجدار.

«لا تقلقي»، قالت العنكبوت، «سأتولى أمر تلك الحشرة».

«لقد أخفتِني حقًّا!»، قالت السيدة ملعقة، «لست أود أن أكون وقحة، لكني لم أركِ من كثب من قبل، ولم أعرف أنك مشعرة جدًّا وقبيحة..».

«بوسعي رد الإطراء»، قالت العنكبوت، «لكنك عمومًا تبدين أجمل بقليل وأنت صغيرة منك وأنت تخبطين في أنحاء المطبخ بحذائك الكبير. على أية حال، هل سمعت عرضي بالإمساك بتلك الذبابة البدينة من أجلك؟».

«أجل»، أجابت السيدة ملعقة، «لكني قطعًا لن أسمح لك أن

تلفي هذه المسكينة في شبكتك المخيفة لتأكليها على الإفطار. كلا حقًّا. ولو رأيت تحفتك قبل انكماشي لنقضتها بمكنستي!».

«دعي الأمر لي!»، قال صوت صغير آخر من خلفها، كان فأرًا هذه المرة.

«أهذا أنت؟ وماذا تظن أن قارضًا صغيرًا مثلك سيفعل؟»، سألت السيدة ملعقة بازدراء.

«ومن يتحدث؟»، صاء الفأر بصفاقة، «إنك لست في حجم كبير في هذه اللحظة. يمكنني على الأقل أن أجري صاعدًا الساعة؛ ديكوري ديكوري دوك[1]!»، قال ضاحكًا، «ثم إن بوسعي قرض تلك الشبكة بأسناني الحادة في طرفة عين».

«أعرف أنك تستطيع»، قالت السيدة ملعقة، «ولكن ألا ترى؟ إن الشبكة هي قوت العنكبوت. ودون هذه الخيوط لا يسعها الإمساك بطعامها وستموت».

«حسن، في هذه الحال»، قال الفأر، «أظنك تقدمين إليَّ قوتي عندما تبعدين الغطاء عن صحن الجبن في حجرة المؤن، هي هي!».

(١) إشارة إلى الأغنية الشهيرة Hickory dickory dock.

The mouse went up the clock

The clock struck one.

The mouse went down

Hickory dickory dock

«أيها اللص الصغير!»، صاحت السيدة ملعقة وهي تهز قبضتها الصغيرة في وجه الفأر. «ارفعه بنفسك، أنت وعائلتك اللعينة. لكني سأضع مصيدة لك هذا المساء!».

«كأني سمعت صوت فأر»، نادى صوت من عند الباب. كانت القطة: «أين هو؟ إنني مستعدة لتناول غدائي».

«كلا، كلا!»، زعقت السيدة ملعقة ملوِّحة بذراعيها للقطة والفأر يحاول الاختباء خلفها، «ووف ووف! من المتوحش هنا؟»، أطلَّ رأس كلب غريب من الباب. وحالما رأى القطة أسرع يركض خلفها، موقعًا السيدة ملعقة أرضًا وهو يجري حول الطاولة.

تمكنت القطة من الخروج من الغرفة والكلب خلفها عندما عادت السيدة ملعقة إلى حجمها المعتاد لحسن الحظ! ولم تضيع وقتًا بل رمت عصًا للكلب وقفزت القطة إلى سطح السقيفة. ظل الكلب ينبح حتى أعطته السيدة ملعقة عظمًا، ثم مضى نازلًا التل.

«يا إلهي، يا له من ضجيج!»، قالت السيدة ملعقة لنفسها، «لكن هذا يدفعك إلى التفكير في أن كل حيوان صغير يأكله حيوان أكبر وهذا يأكله حيوان أكبر منه. فأين ينتهي كل هذا؟».

«ها هنا!»، قال صوت أجش من خلفها.

فزعت السيدة ملعقة فزعًا شديدًا، لكنها استدارت ورأت زوجها واقفًا هناك.

«أوه»، قالت، «حسبتك غولًا جاء لالتهامي!».

«حسن»، قال السيد ملعقة، «أهذا الشكر الذي أناله لعودتي باكرًا لمساعدتك في تنظيف الربيع؟».

«آه يا زوجي العزيز!»، قالت السيدة ملعقة وقبَّلته قبلة كبيرة.

(٢٣)

فراخ عيد الفصح

في كل عام عند اقتراب عيد الفصح تمتلئ واجهات المتجر بفراخ الفصح المصنوعة من القطن المندوف الناعم، فترسل السيدة ملعقة رسالة إلى الأطفال من حولها قائلة إنها تود منهم أن يتبضعوا نيابة عنها. فيبتهج الأطفال كثيرًا لأن السيدة ملعقة تعطيهم السكاكر دومًا، وتعطيهم المال أحيانًا ليشتروا شيئًا لأنفسهم. لذا يصطف الأطفال في طابور أمام بابها، وحالما ينقضي عيد الفصح وتختفي هذه الفراخ الصفراء من واجهة المتجر، تتبضع السيدة ملعقة حاجياتها بنفسها.

ما سبب السلوك الغريب للعجوز القصيرة؟ سأخبركم.

في عيد فصح منذ سنوات، أرادت السيدة ملعقة تربية الدجاج. كان بوسعها شراء دجاجة عمرها يوم من المفرخة، لكن كلا:

«الدجاج يحتاج أمًّا!»، قالت.

لذا ذهبت إلى جارة لها واقترضت دجاجة حاضنة. لا تحب كل الدجاجات تربية الفراخ؛ إذ تقضي بعضهن الوقت في تزيين

ريشهن، والبحث عن الطعام وطرح البيض كلما كان الصندوق قريبًا. لكن الدجاجة الحاضنة تجمع بيضها في عش وتدفئه وتغضب إن حاول أحد أخذ البيض منها.

وضعت الجارة العش بأكمله وفيه عشر بيضات في صندوق وأعلاها وضعت الدجاجة الحاضنة، وحملته السيدة ملعقة إلى البيت بحذر شديد. كانت قد أعدت ركنًا في غرفة جلوسها تغطيه ستارة قصيرة لتجنبه تيار الهواء، واستقرت الدجاجة تمامًا.

لم يسعد السيد ملعقة: «إن المكان المناسب للدجاجة هو خارج البيت»، قال. وكلما اقترب من الدجاجة الحاضنة لإخراجها، نقرته وزعقت كثيرًا حتى استسلم في نهاية المطاف.

رفعت السيدة ملعقة الستارة كل يوم وأطلت برأسها لترى إن كانت الدجاجة على ما يرام. وقد جلبت لها بعض الماء والحبوب، لكن الدجاجة لم تشعر برغبة في الأكل أو الشرب، بل اكتفت بالجلوس وتدفئة البيض.

وحان موعد فقس البيض.

تجولت السيدة ملعقة في أنحاء البيت تغني، فقد كانت متحمسة جدًّا ولم تتمالك نفسها وبين الحين والآخر تذهب إلى الركن وتقرفص لتسمع.

«يجب أن تنقر الفراخ الصغيرة قشور البيض لتخرج في أي لحظة الآن»، قالت لنفسها.

ثم سمعت الصوت الواضح؟ «تشيپ، تشيپ!»، قال بصوت خافت.

أخذت الدجاجة الأم توقوق وتهذر، وازدادت أصوات تشيپ حتى تهادت الدجاجة الأم خارجة من خلف الستارة تتبعها تسع فراخ ذهبية صغيرة.

صفقت السيدة ملعقة فرحًا وهي ترى الفراخ تتبع أمها، ثم جثت لترى ما حدث للبيضة العاشرة.

ما زالت في العش سليمة وكاملة بين كل القشور المكسورة.

«آه أيها الصغير المسكين»، قالت السيدة ملعقة، «ربما تحتاج قليلًا من المساعدة لكسر هذه القشرة القاسية.»..، لكنها انكمشت حالما مدت يدها لتنقر القشرة!

لم تجد نفسها راقدة في العش إلى جوار البيضة فحسب، بل وجدت ظلًّا كبيرًا يغطيها، إنها الدجاجة الأم!

«لا تنقريني!»، صاحت لأن الدجاجة بدت غاضبة جدًّا، «كنت أحاول مساعدة فرخك الأخير ليخرج من البيضة».

فتحت الدجاجة منقارها وزعقت في وجهها، وبدا ما قالته شيئًا من قبيل «في في فينيكولا[1]!».

(١) «طف طف، طفلتي!».

«اسمعي!»، قالت السيدة ملعقة وهي تحاول التملص من أجنحة الدجاجة المرفرفة: «أنا السيدة ملعقة -كما تعرفين- العجوز التي تنكمش، وأفهم لغة الحيوان والطير، لكني لا أدري ما الذي تتحدثين عنه».

استمرت الدجاجة في الزعيق والبقبقة بهذرها الغريب: «في في فينيكولا، راتاغوزا باللا تللا[1]!».

«استمعي لحظة!»، كادت السيدة ملعقة تفقد صبرها، «لست أحاول إيذاء صغارك. خذيهم في نزهة جميلة في الغرفة واتركيني أجلس هنا حتى أعود إلى حجمي. اذهبي الآن!».

لم تكترث الدجاجة، بل اتجهت نحو السيدة ملعقة ولطمتها بجناحيها القويين وأخرجتها من العش إلى الحصيرة التي تركض عليها الفراخ وهي تزقزق بأعلى صوتها.

«يا له من صخب!»، قالت السيدة ملعقة متخبطة لتنهض ومحاولة الابتعاد عن طريق الفراخ.

حوَّلت الدجاجة الأم انتباهها لأسرتها، وبقبقت بنبرة آمرة وحثت فراخها على الاصطفاف ليتبعوها وهي تمشي ببطء في الغرفة.

وقفت السيدة ملعقة تراقب روعة طاعة الفراخ لها، حين استدارت الدجاجة الأم فجأة ورأتها.

---

(١) «طف طف طفلتي! اخرجي إلى الحصيرة!».

«سيغويرا لينيا مالاكيتا[1]»، بقبقت وأسرعت إلى السيدة ملعقة ونقرتها في شعرها.

«آي!»، صرخت السيدة ملعقة، «ماذا تظنين نفسك فاعلة؟ أنا لست أحد صغارك!».

لكنها لم تنل جوابًا إلا البربرة والنقرات الغاضبة. وقفت السيدة ملعقة في الصف، كي تتفادى أن تتمزق إربًا بمنقار الدجاجة، وتبعت الدجاجة الأم حتى وصلوا كلهم إلى المكان الذي نثرت فيه السيدة ملعقة بعضًا من الشوفان للفراخ لتأكله.

توقفت الدجاجة الأم وبقبقت آمرة الصغار ليجتمعوا، ثم أرتهم كيف ينقرون طعامهم، فأنزلوا رؤوسهم ومناقيرهم الصغيرة تبدو مثل طبول صغيرة على الأرض. ضحكت السيدة ملعقة وهي تراقبهم، لكنها لم تضحك طويلًا لأن الدجاجة الأم لاحقتها ثانية:

«مانغاميلو مانغاميلو[2]!» وأمطرت رأس العجوز الصغير بمزيد من النقرات.

«كفي كفي!»، صرخت، «لا أدري ماذا تقولين، لكني سآكل بعض الشوفان إن كان هذا ما تريدينه».

وحملت بعضًا في يدها وتظاهرت بوضعه في فمها.

---

(١) «اتبعي الخط الأخضر!».

(٢) «كلي، كلي!».

«أوتيشيللا ستوبيدا[1]»، وبَّختها الدجاجة صافقة إياها بجناحها.

«أوه حسن جدًّا أيتها الثرثارة العجوز!» قالت السيدة ملعقة، وجثت على أربع وتظاهرت بنقر الشوفان بأنفها.

اكتفى الفراخ من الحبوب وقادتهم الدجاجة الأم إلى قدر للماء وضعتها السيدة ملعقة من أجلهم. وأرتهم الدجاجة الأم كيف يشربون، يغمرون مناقيرهم ثم يرفعون رؤوسهم.

«أشرب مثل دجاجة؟ لن تجبريني على فعل هذا يا سيدتي!»، قالت السيدة ملعقة.

«بيري بيري[2]!»، زعقت الدجاجة وهي تضربها بقوة حتى سقطت في قدر الماء.

ثم عادت إلى حجمها المعتاد ووقفت هناك بثيابها المبتلة تقطر على أرضية غرفة جلوسها.

«إنكِ أسوأ من معلمتي في المدرسة!»، قالت السيدة ملعقة وهي تمسح على رأسها المتألم.

أخذت الدجاجة تتصرف تصرفات غريبة جدًّا، وهي ترفرف جيئة وذهابًا وتنادي قلقة.

«ما الأمر؟»، سألتها السيدة ملعقة، «أتبحثين عن فرخك

---

(١) «فرخة غبية!».

(٢) «اشربي اشربي!».

الضائع؟» وتقدمت نحو العش ورفعت البيضة العاشرة، وكسرت قشرتها لكنها كانت فارغة.

«أخشى أن عليكِ الاكتفاء بالتسعة»، قالت، «وهأنا ألاحق دجاجة لا تتحدث لغتي. من سمع بطير لا يفهم السيدة ملعقة التي تنكمش؟».

«مي سكوزي[1]!»، وقوقت الدجاجة.

ثم فهمت السيدة ملعقة ما حدث. كانت الدجاجة من نوع لغورن إيطالي وكانت تتحدث الإيطالية!

حُلَّ اللغز ولعلك تظن أن السيدة ملعقة مسرورة، لكنها لم تتخط صدمتها في أن تمثل دور الفرخ وتفعل ما تمليه عليها الدجاجة الأم.

ولهذا فإنها لا تنظر إلى فراخ عيد الفصح الناعمة الصفراء في واجهة المتجر.

---

(١) «اعذريني».

(٢٤)

الوقواق

في مايو، حين تتقنع شجرة البتولا بالخمار الأخضر من الأوراق وتبدأ طيور الذعرة بملاحقة المحراث، يحين أوان قدوم الوقواق.

أغلقت السيدة ملعقة بابها لتذهب إلى المتجر فسمعته:

«كوكو!».

«كوكو!»، أجابته السيدة ملعقة لكنها لم تقلها بصوت عالٍ جدًّا، خشية أن يستاء الوقواق. تخاف السيدة ملعقة من طائر الوقواق قليلًا، فهو قد يأتي بالسعد وقد يأتي بالنحس، ويتحدد هذا تبعًا للاتجاه الذي تسمع صوته منه.

نظرت السيدة ملعقة حولها ولم ترَ مجثم الطائر.

«كوكو!».

ها قد صاح ثانية، وفي هذه المرة كانت واثقة بأن الصوت أتاها من الغرب.

«وقوقة من الغرب تأتي بكل شيء طيب!»، ترنمت وواصلت طريقها نازلة التل مسرورة.

غير أنها سرعان ما توقفت، وارتسم الخوف على وجهها. ماذا لو سمع زوجها الطائر نفسه؟ سيكون قد أتاه صوته من الشمال، لأنه يعمل في الشارع أسفل الوادي.

«أوه يا إلهي!»، قالت، «وقوقة من الشمال تأتي بالحزن والوبال!».

وانكمشت في تلك اللحظة! ووجدت نفسها تجلس على الأرض تحت شجرة صنوبر عالية. في الأعلى سمعت الصوت الغاضب لصديقها السنجاب.

فنادته: «مرحبًا أيها السنجاب! هلّا نزلت إليَّ من فضلك؟».

«تشك تشك!»، قال موبخًا وهو ينزل جذع الشجرة مقدمًا رأسه. «ماذا حدث للسيدة ملعقة هذه المرة؟ كأنما خيم الحزن الشديد عليك».

«حسن، إنه زوجي كما تعلم»، قالت السيدة ملعقة. «أخشى أنه سمع صوت الوقواق من الشمال وهذا يعني نحسًا عليه».

«تشك! إنها الأمور التي تقلق عجوزًا مثلك! وماذا تريدين مني أن أفعل حيال ذلك؟».

«خطر لي أن تأخذني أعلى الشجرة لأتحدث إلى طائر الوقواق، وربما جعلته ينادي من الشرق. «وقوقة من الشرق بشارة فرح» كما تعلم».

«هراء!»، قال السنجاب. «أسرعي الآن، عندي أمور أفعلها أفضل من حمل متطيِّرة عجوز!».

«وهذا ما رأيته!»، قالت السيدة ملعقة. «فحَوْلَ أنفك صفار بيض».

تمايل ذيل السنجاب بغضب: «ليس من شأنك ما آكله على الإفطار! أأنت جاهزة؟» وركض إلى أعلى شجرة الصنوبر الشاهقة حاملًا السيدة ملعقة.

تشبثت السيدة ملعقة بفرع صغير لدى وصولهما فالنظر إلى الأسفل يصيبها بالدوار.

«إلى اللقاء!»، قال السنجاب، «أرجو ألا يطيل الوقواق انتظارك!».

«لن تتركني وحدي هنا، أليس كذلك؟»، قالت السيدة ملعقة المسكينة.

«يا لكِ من امرأة سخيفة! لن يقترب منكِ طائر الوقواق إن كنتُ قريبًا. سأحملك لاحقًا»، وذهب.

تخشبت ذراعا السيدة ملعقة من الإمساك بالغصن قبل أن يحط الوقواق على الشجرة، وفوجئ قليلًا برؤيتها هناك.

«أسقطتِ من طائرة؟»، سألها.

«كلا يا سيد وقواق»، قالت السيدة ملعقة بتهذيب، «صعدت إلى هنا لأتحدث إليك..».

«إني مشغول قليلًا الآن...»، قال الوقواق فاتحًا منقاره لينادي ثانية.

«توقف من فضلك!»، قالت السيدة ملعقة.

أغلق الوقواق منقاره ونظر إليها في عجب.

«هلَّا أسديتِ إليَّ صنعًا يا سيد وقواق؟»، قالت متوسلة. «هلا طرت إلى شرق الوادي وناديت من هناك؟».

«ولماذا أفعل ذلك؟»، قال الوقواق، «إني أنادي زوجتي وهي في هذا الجانب من الوادي».

«سيأتي هذا بالسعد لزوجي. إنه يعمل في الشارع أسفل الوادي».

ابتهج الوقواق للإطراء: «أوه حسن، إن كان الأمر هكذا، فسأفعل قطعًا»، وطار من فوره.

سمعته السيدة ملعقة بعد برهة:

«كوكو!»، نادى وبدا صوته نغمة سعيدة، وأيقنت أنها ستسعد زوجها.

ثم تذكرت أنها لم تفرغ من التبضع بعد، وسينتظر السيد ملعقة وليمة لدى عودته إلى البيت.

«آه يا إلهي! ماذا أفعل الآن؟»، قالت بأسى.

عاد السنجاب عندئذ.

«أتبكين مرة أخرى؟»، قال، «سأجعل ذلك الوقواق يغني

لك من الجنوب، «فالوقوقة من الجنوب ستُبقي فمك مسدودًا!»» وقهقه.

«لقد اكتفيت من وقاحتك!»، قالت السيدة ملعقة، «تفضل بإنزالي على الأرض في الحال!».

وحالما وطئت قدماها الأرض عادت إلى حجمها المعتاد، وودعت السنجاب وحملت سلتها وأسرعت إلى المتجر.

اشترت السجق المفضل لدى زوجها ورطلين من المكرونة، أما للتحلية فقد شرعت تعد الفطائر المحلاة بمربى التوت. ثم أعدت المائدة بصحون الخزف الجميلة وأشعلت شمعة في الوسط.

«أهلًا أهلًا!»، قال السيد ملعقة حين عاد، «يوم ميلاد من؟».

«ألم تسمع نداء الوقواق؟»، سألته قلقة.

«أي وقواق؟»، وارتسمت الحيرة على وجه السيد ملعقة.

«أتعني أنكَ لم تسمعه لا من الشمال ولا من الشرق؟».

«يا ربي، كلا»، قال السيد ملعقة. «كنت مشغولًا جدًّا بآلة الحفر، إنها تفجر طبلة الأذن، حقًّا طوال اليوم!».

ثم سمع كلاهما نداء الوقواق وكان عندئذ على السطح فوق رؤوسهما.

«هذا أسعد حظ!»، قالت السيدة ملعقة وقبلت زوجها قبلة كبيرة، «بوسعنا الآن أن نستمتع بوليمتنا!».

(٢٥)
حب منتصف الصيف

إن الشمس لا تكاد تغيب في النرويج في منتصف الصيف، وتكون السماء في الليل مشرقة كالنهار، فكيف ينام الناس إذن؟ إن كانوا شبانًا مرحين فإنهم لا يبالون بذلك، بل يسهرون راقصين حول النار عشية منتصف الصيف أو يخرجون في نزهات رومانسية طويلة في الغابات إلى أن يدغدغ جفونهم النعاس، نهارًا كان ذلك أم ليلًا.

لكن أيام رقص السيدة ملعقة قد ولَّت، وقررت عشية منتصف الصيف هذه أن تتنزه في الغابة لزيارة الآنسة فلورا بَندي، عانس تعيش وحيدة في كوخ صغير. كانت الآنسة فلورا خجولة جبانة وليس لها أصدقاء يزورونها، فرأت السيدة ملعقة أن تسعدها بقليل من الكيك الذي تعده وزجاجة من النبيذ المصنوع منزليًّا.

«كأني ذات الرداء الأحمر»، قالت لنفسها وهي تسير عبر الغابة الظليلة حاملة سلتها على ذراعها. «أرجو ألا ألتقي الذئب العجوز في طريقي».

غير أنها وصلت الكوخ بسلام وقرعت الباب، ولم تلقَ جوابًا. فقرعت ثلاث مرات ثم جرَّبت أن تفتح الباب ووجدته غير مقفل فدخلت.

«أأنتِ في البيت يا آنسة فلورا؟»، نادت.

صمت. فأنزلت سلتها في البهو وسارت من غرفة المعيشة الصغيرة إلى غرفة النوم.

«ليس في الفراش ذئب!»، قالت وهي تنظر إلى السرير، ولكن ما هذا؟ على الوسادة صف مرتب من الزهور البرية، كل واحدة من نوع. فانهمرت الدموع من عيني السيدة ملعقة:

«من يصدق هذا؟»، قالت. «تجمع الآنسة فلورا الزهور البرية لتضعها تحت وسادتها عشية منتصف الصيف فتحلم بالرجل الذي ستتزوجه. يا للرومانسية!».

ثم نظرت ثانية ووجدتها ثماني زهور. لا بد أن تكون الأزهار البرية تسعًا حتى يتحقق الحلم.

«طبعًا!»، قالت، «لقد خرجت لتبحث عن التاسعة».

وكان ذاك صحيحًا، إذ نظرت من النافذة ورأت الآنسة فلورا تمشي الدرب ببطء شديد ونظرها مثبت على الأرض.

كانت السيدة ملعقة تتساءل كيف ستشرح سبب وجودها في غرفة نوم الآنسة فلورا عندما انكمشت!

وبسرعة البرق أمسكت بطرف الشرشف وتسلقت، يدًا فوق الأخرى حتى وصلت إلى الوسادة. ثم تسللت تحتها وهدأت كالفأر.

دخلت الآنسة فلورا وجلست على الكرسي المجاور للنافذة، وحادثت نفسها بصوت عالٍ كما يفعل الوحيدة عادة:

«يبدو أنني لن أجد الزهرة التاسعة هذا العام. آه حسن، ربما كان خيرًا! سيكون الأمر مريعًا إن حلمت بأي أحد غير ساعي البريد الحبيب!».

«ساعي البريد ها؟»، غمغمت السيدة ملعقة تحت الوسادة، «إنه اكثر خجلًا من الآنسة فلورا!».

«سأعد الزهور مرة أخرى»، قالت الآنسة فلورا حينما لبست ثياب النوم واستعدت لتخلد إلى الفراش.

بدأت تعد ببطء: «واحد قنطريون عنبري، اثنان حوذان، ثلاثة آذريون الماء، أربعة جريس، خمسة هندباء، ستة نسرين الكلاب، سبعة سلطان الجبل، ثمانية الخشخاش، تسعة قنطريون عنبري».

ألاحظتم؟ عدَّت الآنسة فلورا القنطريون العنبري مرتين، لكنها لم تنتبه أن السيدة ملعقة قد أخرجت يدها الصغيرة من تحت الوسادة وأخذت القنطريون من بداية الصف إلى طرفه الآخر!

صفقت الآنسة فلورا ورفعت الزهور: «هذه تسعة. مرحى! سأنام الآن وأحلم بالرجل الذي أحبه»، ودست الطاقة الصغيرة تحت الوسادة، بجوار السيدة ملعقة!

بعدما غطَّت الآنسة فلورا في النوم خرجت السيدة ملعقة من تحت الوسادة وانزلقت برفق من جانب السرير إلى طاولة الكتابة قرب النافذة.

لم يكن الليل معتمًا تمامًا، كما أخبرتكم من قبل، فعثرت سريعًا على ورقة وقلم، ولأنها صغيرة الحجم فقد لاقت صعوبة في حمل القلم وكتابة الكلمات بحجم كبير. لكنها نجحت في نهاية الأمر، ووجدت مغلَّفًا زهريًّا ووضعت الرسالة داخله، وكتبت مزيدًا من الكلمات على طرفه الأمامي. ووقفت عند النافذة المفتوحة وصفرت تصفيرًا صغيرًا.

سمعت الصوت سنونوة في عشها تحت الإفريز.

«أعرف من»، قالت السنونوة مرفرفة وهي تنزل إلى أسكفة النافذة. «في خدمتك يا سيدة ملعقة!».

«شكرًا لك يا سنونوة»، قالت العجوز الصغيرة وهي تمد المغلف. «هلَّا أخذتِ هذا إلى بيت ساعي البريد من فضلك؟ واحرصي على أن يراه، حتى لو دعت الحاجة إلى أن توقظيه بنقرك على أنفه!».

«سيكون ذلك في الحال»، قالت السنونوة وطارت.

جلست السيدة ملعقة على أسكفة النافذة، تؤرجح ساقيها الصغيرتين وتستمتع بهواء الليل الدافئ، وسرعان ما عاد السنونوة.

«أأوصلتِ الرسالة؟»، سألتها السيدة ملعقة.

«أجل»، ضحكت السنونوة، «ليتكِ رأيتِ ساعي البريد يقفز من سريره حين نقرت أنفه، لا بد أنه ظن دبورًا لسع أنفه!».

«هل قرأ المكتوب على المغلف؟».مكتبة .. سُر مَن قرأ

«قرأه، وتركته يجذب بنطاله واندفع خارجًا ليجلب دراجته. لا بد أنه في طريقه».

«جيد، جيد. لقد نجحت خطتي نجاحًا عظيمًا!»، قالت السيدة ملعقة وشكرت السنونوة على مساعدتها.

ثم جلست ثانية لتراقب ما سيحدث.

استغرق ساعي البريد على دراجته وقتًا أطول مما احتاجه جناحا السنونوة ليصل من القرية إلى الكوخ في الغابة، وكاد صبر السيدة ملعقة ينفد حين وصل وهو ينفخ لقيادته الدراجة مسرعًا. كان رجلًا طويلًا نحيلًا يرتسم الحزن على وجهه دومًا، وذلك لأنه وحيد وليس عنده من يعتني به في البيت.

وقف أمام الكوخ الصغير ورأته السيدة ملعقة يبتسم.

«أخيرًا!»، قال، «انتظرت أعوامًا قبل أن تسنح الفرصة لزيارة الآنسة فلورا العزيزة، ولعلي أحمل لها أخبارًا حلوة صباح منتصف الصيف هذا».

أيعني هذا أن الآنسة فلورا لم تصلها رسالة من قبل؟ قالت السيدة ملعقة: «يا للسيدة المسكينة! ألن تُدهش؟».

تقدم ساعي البريد من الباب وقرع قرعة خافتة وأتبعها بقرعة أعلى. كاد يقرع مرة ثالثة عندما انفتح الباب ووقفت الآنسة فلورا هناك في مبذل مزهر جميل.

«أوه»، قالت لاهثة، «أهذا أنت حقًّا يا ساعي البريد؟».

«جلبت لك هذه الرسالة»، قال مادًّا المغلف الزهري.

«لي؟»، فوجئت الآنسة فلورا، «ومن يكتب لي؟» وفتحت الرسالة في تلك اللحظة.

انتظر ساعي البريد حتى فرغت من قراءتها، «أرجو أن فيها أخبارًا سارة».

«غريب!»، قالت. «سطر واحد فقط: «أطيب التهاني والأمنيات من ملكة الزهور»».

استرقت السيدة ملعقة النظر من خلف أصيص ورد على أسكفة النافذة، ورأت ساعي البريد يجثو على ركبة واحدة في العشب النديِّ وسمعته يقول:

«الآنسة فلورا الغالية، إنك ملكة الزهور في عيني!».

وماذا فعلت الآنسة فلورا؟ قبَّلت حبيبها ساعي البريد ودخلا يدًا بيد.

عندئذ سقطت السيدة ملعقة من أسكفة النافذة وقد عادت إلى حجمها المعتاد.

«حسن»، قالت لنفسها وهي تعود إلى البيت. «كان هذا عمل جيد في ليلة منتصف الصيف. أرجو أن يجدا الكيك والنبيذ ليحتفلا».

(٢٦)

السيدة ملعقة والبائع الجوّال

امتلأت حديقة السيدة ملعقة في أغسطس بزهور الداليا والآذريون والنجمية. وأبهجتها الزهور كثيرًا، فعزمت على لبس تنورتها الجديدة المخططة باللونين الأصفر والأزرق وقميص أبيض نظيف، عليه مشبك أحمر عند العنق.

ومن الفرن فاحت رائحة شهية من كعك الزنجبيل الذي تخبزه، وأوشكت على وضع إبريق القهوة على النار حين مر ظل بنافذتها.

عرفت السيدة ملعقة مَن القادم قبل أن يقرع الباب، وأسرعت إلى الخزانة وتناولت وشاحًا أسود وضعته على كتفيها، وقد غطى التنورة المخططة جيدًا وعبثت بشعرها وبدت بائسة حقًّا ثم فتحت الباب.

«ادخل»، قالت بصوت الجدة الهرمة، ودخل شخص لم ترغب في رؤيته ذلك اليوم وكان السيد محتال. يزعم أنه تاجر، لكنه بائع جوال من طراز قديم يحمل في حقيبته صنوفًا مختلفة. كما أنه يتمتع

بموهبة القدوم كلما ادخرت السيدة ملعقة قليلًا من المال (تحتفظ به في فنجان أزرق مشروخ)، وحين يغادر تكون قد أنفقت كل قرش مما ادخرته.

«مرحبًا مرحبًا مرحبًا!»، حياها بصوت عالٍ، «أسنبيع بعض الأشياء اليوم؟».

«وأنَّى لامرأة فقيرة عجوز مثلي أن تشتري؟»، سألت بصوتها المرتعش، «من أين آتي بالمال؟».

«أحسب أنك أودعته بأمان في المصرف»، ضحك السيد محتال. «على عكسي، فلستُ أجني ما يكفي لأودعه في المصرف، وكل ما أناله من الناس قبلات ووعود».

تعيَّن على السيدة ملعقة أن تضحك على دعابته، ثم سرعان ما أخذت تنقب في حقيبته المفتوحة وتنتقي أشياء عديمة الفائدة كشريط قطني ومصفاة قهوة، رغم أنها تملك اثنتين. وواصل السيد محتال كلامه عن المصارف:

«كلا، إنني لا أثق بهم، وأفخر أني لم أفتح حسابًا مصرفيًّا قط».

«أما أنا فأفخر أني لم أحرق كيكة قط»، قالت السيدة ملعقة، «لذا يجدر بي الذهاب لأرى إن نضجت».

«اسمحي لي يا سيدة ملعقة»، قال السيد محتال، «إن لي خبرة في الخبز. سأتفقد كيكتك ريثما ترين بضاعتي»، قال وخرج إلى المطبخ.

واصلت السيدة ملعقة تنقيبها ووجدت في ظهر الحقيبة جيبًا سريًّا، ووجدت فيه دفترًا فأخرجته ورأت أنه دفتر حساب مصرفي مكتوب داخله اسم السيد محتال!

«ليس عندك حساب مصرفي إذن! سألقنك درسًا أيها السيد الحاذق المتذاكي المخادع».. وأخفت الدفتر خلف الستارة، لكنها انكمشت لدى عودتها إلى الحقيبة وسقطت بين المناديل والجوارب وغيرها من السلع الأنيقة.

عاد السيد محتال وتعجب حين لم يرها وناداها عددًا من المرات. لكنه أغلق حقيبته وبدا يتعجل المغادرة. ربط أحزمة الحقيبة في دراجته وحظيت السيدة ملعقة برحلة متعرجة في الشارع الرئيس نحو البلدة المجاورة. هنالك أخذ السيد محتال حقيبته معه إلى أكبر المصارف وفتحها على المنضدة.

كان يخاطب أمين الصندوق عندما تسللت السيدة ملعقة خارجة من الحقيبة واختبأت خلف بعض النماذج على المنضدة. أخذ يبحث عن دفتر الحساب وأخرج كل شيء من الحقيبة في بحث محموم.

«ماذا فعلت به؟»، قال باكيًا، «أود أن أودع بعضًا من المال، وأنا متأكد أني وضعت دفتر الحساب في حقيبتي حين خرجت من البيت».

أخبره أمين الصندوق أنه يستطيع التوقيع على قصاصة ورق تثبت مقدار ما أودع، وأخرج السيد محتال من جيبه الداخلي الكثير

الكثير من الأوراق النقدية، ثم بعض القطع المعدنية الصغيرة وهو المبلغ الذي ادخرته السيدة ملعقة في الفنجان المشروخ في البيت.

«يا سلام!»، قالت السيدة ملعقة لنفسها، «أنت لم تكذب فحسب، بل سرقت مدخرات امرأة مسكينة! لو كنت في حجمي المعتاد لدعوت الشرطة!».

لكنها كانت صغيرة، فمن يفعل ذلك؟ تفكرت للحظة ثم خطرت لها فكرة. إذ أخذت أحد النماذج من الحامل وغمست إصبعها الصغيرة في المحبرة وكتبت بأكبر ما استطاعت:

«عُثر على دفترك المصرفي في بيت السيدة ملعقة. اذهب وأحضره في الحال من فضلك».

دفعت القصاصة على المنضدة ليراها السيد محتال فتوقف عن الحديث مع أمين الصندوق.

«يا له من أمر خارق!»، قال السيد محتال بعدما قرأها، «لا بد أن أحدًا اتصل هاتفيًّا».

كان السيد محتال وأمين الصندوق يفكران في هذا حينما تسللت السيدة ملعقة عائدة إلى الحقيبة، وتنفست الصعداء حين حُملت وربطت أحزمتها على الدراجة ثانية. وانطلقا على الطريق المتعرج عائدينِ إلى بيت السيدة ملعقة.

أسرع السيد محتال إلى الباب لدى وصولهما، وقرعه فسمع صوتًا مدويًا عاليًا! فاستدار ووجد السيدة ملعقة تقف هناك بحجمها

المعتاد، قرب دراجته ومحتويات حقيبته متناثرة في كل اتجاه على التل!

«أتحتفظ بالقنابل داخل حقيبتك؟»، سألته ببراءة وهي تتقدم نحو الباب.

«كلا قطعًا!»، قال السيد محتال الذي ارتسم القلق على وجهه، «وصلتني رسالة عن دفتر تركته.»..

«دفتر حساب مصرفي يا سيد محتال»، قالت السيدة ملعقة، «واسمك مكتوب داخله بوضوح».

«حسن، نعم.»..، أجاب، «كان قولي إني لا أملك حسابًا مصرفيًّا دعابة صغيرة.»..

«وأحسبها دعابة منك أن تأخذ مدخرات امرأة عجوز مسكينة من فنجان القهوة المشروخ؟»، ومضت وقلبت الكوب رأسًا على عقب، لقد كان فارغًا.

«سأشرح لكِ، سأشرح صدقًا!»، أخذ السيد محتال يتحدث بسرعة، «أخرجت الكيكة من الفرن ووضعتها على الطاولة. ثم رأيت النقود وكنت سأحضره لك لتدفعي لي مقابل ما اشتريت من سلع، لكنك اختفيت!».

«قصة معقولة! عليَّ أن أستدعي الشرطة وأخبرهم بخداعك لامرأة عجوز مسكينة مثلي. أعطني نقودي وارحل قبل أن أغير رأيي».

عدَّ السيد محتال، بيد مرتعشة، النقود التي سرقها وأوشك على الفرار حينما دعته السيدة ملعقة ثانية.

«لقد نسيت شيئًا»، قالت وقد ناولته دفتر حسابه البنكي.

(٢٧)

صيد الموظ

مكتبة
t.me/soramnqraa

في العام أسبوع واحد تكرهه السيدة ملعقة؛ وهو الأسبوع الأول من شهر أكتوبر عندما يُسمح لمالكي البنادق بإطلاق النار على حيوان الموظ. أما باقي العام فتتجول فيه الحيوانات الكبيرة في الغابة كما تشاء ولا ينالها أذى من أحد.

كانت السيدة ملعقة صديقة الموظ الضخم الكبير، وطوال الصيف كانت تذهب إلى الجدول عند طرف الغابة حاملة أوراق الملفوف والخس له، أما في الشتاء أثناء هطول الثلج فتضع له حفنات كبيرة من التبن، ولهذا لا يهرب الموظ الضخم الكبير ولا أصدقاؤه لدى رؤيتها.

وكلما اقترب وقت الصيد، ازدادت السيدة ملعقة غيظًا. كيف لها أن تحذر الموظ كيلا يأتي إلى البراح، بل أن يبقى مختبئًا في أعماق الغابة؟

قبل بدء موسم الصيد بعدة أيام كفَّت عن أخذ الخضار إلى المكان

الذي تطعمه فيه عادة، وعوضًا عن ذلك فقد أخذت سلة مهملات لها غطاء ومغرفة خشبية ووقفت تقرعها وتصرخ بأعلى صوتها لتخيف الحيوانات فتولي الأدبار. ثم جاءت عشية موسم الصيد والسيدة ملعقة تذرع غرفة الجلوس جيئة وذهابًا وهي تعصر يديها.

لم يبالِ السيد ملعقة، إذ كان مزهوًّا بالدعوة التي تلقاها للمشاركة في الصيد مع اثنين من أعيان البلدة، السيد غني مالك الأراضي، والسيد عِلبي صاحب سلسلة متاجر البقالة. سيأتيان لاصطحابه في الصباح الباكر، وكان السيد ملعقة منهمكًا في تجهيز قبعته المصنوعة من اللباد ومعطفه الأخضرين.

«كيف تكون قاسيًا بلا قلب؟»، سألته السيدة ملعقة دامعة.

«كلام فارغ يا زوجتي»، أجابها. «يستمر الصيد عشرة أيام ولا تصاد إلا حيوانات قليلة من الموظ. كما أننا لا نستطيع ترك هذه الفيلة الضخمة تخرب أشجارنا الصغيرة، أليس كذلك؟ ثم إنها رياضة جيدة»، وأنزل بندقيته لينظفها جيدًا.

«إنها ليست فيلة، وهي رشيقة جدًّا»، قالت السيدة ملعقة، «ولا أريد أن تقتلها».

«حسن، لا يمكنك منعي»، قال زوجها حازمًا.

«سنرى ذلك!»، فغمغمت وخرجت في الليل.

نزلت التل بسرعة، وتجاوزت الجدول وخرجت من البوابة فانكمشت!

«لست آسفة على أني صغيرة هذه المرة!»، قالت وهي تنهض وتنظر حولها. «تستطيع الحيوانات فهم ما أقوله الآن؛ إن وجدت أي حيوان».

ثم أخذت تنادي: «أفي الجوار موظ؟ يا موووووظ! أتسمعني؟».

لكن الظلمة شديدة وصوتها صغير رفيع فلم يرها موظ ولا سمعها.

لكن حيوانًا سمعها ورآها؛ ذاك صديقها المخلص السنجاب. كان يجلس في الشجرة فوقها.

«لماذا تصرخين؟»، سألها ونزل الشجرة مسرعًا.

«آه أيها السنجاب، شكرًا للرب أنك قدمت»، قالت السيدة ملعقة. «عليك أن تساعدني لنحذر الموظ. يجب ألا يأتي أحد منهم إلى البراح لأن الرجال سيكونون هناك غدًا ومعهم بنادقهم وسيطلقون النار».

«تمام»، قال السنجاب، «سأشغِّل نظام البرق في الأشجار حالًا وأرسل ما استطعت من رسائل».

«شكرًا لك!»، قالت السيدة ملعقة، «عرفت أنك ستمد يد العون. ولكن علينا فعل المزيد. عندي خطة لخداع هؤلاء الصيادين الأشرار، فانحنِ لأُسرَّ لك بها».

تهامس الاثنان وقتًا طويلًا قبل أن تعود السيدة ملعقة إلى حجمها ويجري السنجاب لتنفيذ الخطة.

عادت السيدة ملعقة إلى البيت، ولها أن تنام الآن هانئة البال. ظن زوجها صباحًا أنها عادت إلى صوابها، إذ وقفت معه عند العتبة، مستعدة لتحية الصيادين ومعهم سلال النزهات والبنادق الغالية والكلاب.

دهشت السيدة ملعقة لرؤية السيدة غنية معهم، وقد لبست بنطالًا ذا مربعات وفي قبعتها ريشة كبيرة. لكنها ابتسمت لها أيضًا وتمنت للجميع نهارًا سعيدًا في الصيد حين ذهبوا.

خرجت السيدة ملعقة لتتبضع، والتقت في طريقها نورا نورث التي قالت:

«غريب خروجك اليوم، ظننتك ستجلسين في البيت باكية حتى تجف دموعك على حيوانات الموظ المسكينة».

فتجلل وجه السيدة ملعقة بالوقار وأجابت:

«أجل، إنه ليوم حزين عندي وعند كل محبي الحيوانات. ولكن لا يمكنني تغيير القانون، فما جدوى الحزن؟».

في المتجر ذهبت السيدة ملعقة إلى المنضدة التي تعرض أدوات الزينة والإسعافات الأولية، واشترت ضمادة طويلة، وبعض الجبائر والكثير من المراهم الملطِّفة وبندق الساحرة، فسألتها البائعة إن كانت قد تعرضت لحادث.

«أوه، كلا»، قالت السيدة ملعقة، «لكن الحذر واجب»، وعادت إلى البيت وانتظرت.

بانغ! رن صوت طلقة بعيدة.

«آه يا ربي»، قالت السيدة ملعقة وهي تسد أذنيها بيديها، «أرجو أنها طلقة ضائعة لم تصب شيئًا».

فخرجت ونظرت قلقة ناحية الغابة، أليس هذا أحدهم قادمًا عبر البوابة؟ صحيح، يتبعه كلب حزين المنظر.

انتظرت السيدة ملعقة حتى صعد الشخص التل ببطء، ولمَّا اقترب رأت أنه السيد عِلبي لكنه يعرج ويسند نفسه بعصا!

«ياه، ما الذي حدث لك يا سيد علبي؟»، قالت.

«أوه، إنه أمر رهيب!»، توجَّع السيد علبي. «شمَّ كلبي شيئًا فجهزت بندقيتي حالما رأيت موظًا، حينها خرج سرب القبرات يطن من الشجيرات وطار إليَ! وأطاح بقبعتي ونظارتي وركضتُ إلى شجرة ساقطة فتعثرتُ عثرة مريعة. أنا واثق بأن ساقي كُسِرت!».

«مسكين يا سيد علبي!»، قالت السيدة ملعقة وهي تدخله إلى البيت. «لنلقِ نظرة على ساقك».

اتضح أنها لم تُكسَر، لكن السيدة ملعقة وضعت الجبائر على أية حال وأحكمت ضمادها، ولم يستطع المسكين أن يتحرك إلا بصعوبة.

وصل السيد غني تاليًا. لم ترَ عينك شيئًا كهذا! لم تكن قبعته خضراء فحسب، بل كان الغضار المعشب يغطيه من رأسه إلى أخمص قدميه.

شمَّ كلبه رائحة قادته إلى حافة سبخة في فرجة الغابة، وفجأة قفز سنجاب من أعلى شجرة على رأس السيد غني، فأفقده توازنه وسقط في السبخة.

«كدت أغرق!»، قال متألمًا وهو يتخبط في سيره نحو المطبخ. هنالك، ويا للغرابة، أعدَّت السيدة ملعقة حوضًا كبيرًا من الماء الساخن بانتظاره، إلى جانب منشفة ولباس داخلي جاف لمثل هذه الحالات الطارئة. لكن السيد غني كان شديد البلل والبؤس ليطرح أي سؤال.

«أرجو أن زوجي والسيدة غنية لم يصابا بأذى»، قالت السيدة ملعقة وقد ارتسم القلق على وجهها. ولم يطل انتظارهم إذ جاء الاثنان صاعدين التل متماسكي الأيدي ويتحسسان طريقهما كأنهما أعميان. وهذا ما كان، تقريبًا. لأنهما مرَّا بخلية نحل وكان وجهاهما متورمين من اللسع.

«آه أيها المسكينان، أيها المسكينان!»، قالت السيدة ملعقة، «عندي بندق الساحرة لحسن الحظ!»، وشرعت تمسح على وجهيهما وتعد فناجين القهوة الساخنة للجميع.

«لتحل عليَّ اللعنة إن سمعت قدوم النحل!»، تذمر السيد ملعقة بعد عودة الآخرين إلى بيوتهم.

«مخلوقات الرب لها طرق غامضة»، ابتسمت السيدة ملعقة، «ولست أقصد البشر فقط!».

(٢٨)

السيد ملعقة والطقس

لا تستمع السيدة ملعقة إلى نشرات الطقس أبدًا.

«إن أشرقت الشمس فأنا سعيدة، وإن أمطرت السماء أبقى داخل بيتي»، تقول.

لكن السيد ملعقة يستمع إلى كل نشرة للطقس في المذياع والتلفاز. ويهز رأسه بحكمة لدى حديثهم عن منخفض فوق دوجر بانك[1] أو حين يدفع المذيعُ الأسهمَ ليوضح اتجاه حركة حوض الضغط الجوي العالي.

«كما ظننت»، قال السيد ملعقة.

ليس هذا فحسب، بل تذكر كل الأقوال القديمة في البلاد حول الطقس، وكل الإشارات ونذر الشؤم التقليدية. لم تلقِ السيدة ملعقة بالًا لهذا لولا بحثه الدائم عن علامات للطقس السيئ. فإن رأى

---

(١) هي منطقة رملية ضحلة في بحر الشمال تبلغ مساحتها حوالي ١٠٠ كيلومتر قبالة الساحل الشرقي لإنجلترا.

السيد ملعقة شجرة بهشية مثقلة بالتوت الأحمر، أيقن أن برد الشتاء سيكون قارسًا، وإن سمع الرعد في سبتمبر فهذا يعني عاصفة بحرية.

«لقد سمعت الجرذان في العِلية على الأغلب!»، غمغمت السيدة ملعقة.

أو ربما قال إن الطقس ضبابي، والخريف الضبابي يجلب الصقيع في عيد الميلاد.

«نظف نظارتك!»، قالت السيدة ملعقة، «لعلك ترى رؤية أوضح».

لقد أخذت تسأم من هذا التذمر حول الطقس، وعزمت على منح السيد ملعقة بشارة على سبيل التغيير. سمعته يقول إن الشتاء سيكون معتدلًا إن أثمرت أشجار الفاكهة في أكتوبر.

كان في حديقة السيدة ملعقة شجرة تفاح عجوز قرب نافذة غرفة الجلوس.

«ليس للمتسول أن يختار»، قالت وجلست لتصنع زهور تفاح من ورق كريب زهري وأبيض. واستغرقت في هذا نهارًا بأكمله، وفي النهاية صار عندها ملء سلة من الزهور الجميلة البيضاء والزهرية خبأتها في السقيفة الخارجية.

جاء المساء وجاء معه السيد ملعقة، وقدمت إليه عشاءه ومضت لتعلق الزهور على الأغصان العالية ما استطاعت، ثم تسلقت الشجرة.

ولكن، حدث ما يتعذر اجتنابه من غير ريب، لقد انكمشت!

لحسن حظها أنها وقعت في السلة بعدما تأرجحت على الغصن، لكنها لم تكسره.

«أف!»، قالت السيدة ملعقة، «سيكون هذا عملًا شاقًّا. لو انكمشت نهارًا لطلبت من السنجاب أو الغراب مساعدتي، ولكن عليَّ تدبر أمري وحدي».

داخل البيت، جلس السيد ملعقة على كرسيه ذي المسندين لمشاهدة التلفاز، وأدار المذياع في الآن نفسه، كيلا تفوته أية نشرة لأحوال الطقس. عرض التلفاز فيلمًا يُظهر فتياتٍ بثياب السباحة ويسبحن في البحار الجنوبية تحت شمس ساطعة، بينما قال المذياع للسيد ملعقة إن عاصفة ثلجية في طريقها إلى منطقته.

كان هذا كله محيرًا، وأطل السيد ملعقة من نافذته ليرى حال الطقس حقًّا.

وما رآه جعله يطرف بعينيه؛ ولم يصدق عينيه! في الحديقة هناك كانت شجرة التفاح العجوز مثقلة بأزهار بيضاء وزهرية. وليس هذا فحسب، بل استمرت الأزهار في الظهور وبدت كأنها تتحرك وتزحف على الأغصان!

ثم ظلت زهرة واحدة تتحرك وتتسلق جذع الشجرة إلى أعلى أغصانها، الذي انحنى نحو الزهرة، ثم ارتد وقد علقت به الزهرة مثل علم صغير لعوب في الأعلى.

دهش السيد ملعقة، تلك معجزة! ولكنه استدار لينادي السيدة ملعقة لترى، فسمع صوت تكسر أغصان وفروع انتهى بخبطة ثقيلة، مثل كيس من الطحين يرتطم بالأرض.

دخلت السيدة ملعقة تضع يدها على وركها وتعرج قليلًا.

«أين كنتِ؟»، سألها السيد ملعقة.

«في الخارج»، قالت السيدة ملعقة.

«ماذا كنتِ تفعلين؟»، سألها.

«أدخل»، أجابته.

«أعرفتِ ما حدث؟»، قال السيد ملعقة، «لقد أزهرت شجرة التفاح العجوز، تعالي وانظري!».

وأطل كلاهما، لكنها مظلمة، ولم يكن للزهور البيضاء والزهرية أي أثر! لقد تساقطت كلها عندما وقعت السيدة ملعقة من الشجرة.

«لا بد أنكَ رأيتها في الحلم!»، قالت السيدة ملعقة.

«لكني رأيتها بأم عيني كما أراكِ الآن!»، قال. «وسررت بها كثيرًا لأني ظننت أن شتاءنا سيكون معتدلًا».

«أدِم ظنك يا عزيزي»، قالت السيدة ملعقة، «والزمِ البشائر ودع عنك الباقي».

وخرجت إلى الحديقة وجمعت الزهور الورقية في مئزرها.

(٢٩)
السيدة ملعقة في المستشفى

كانت السيدة ملعقة في المستشفى.

لماذا؟ حسن، أتذكرون أنها وقعت من شجرة التفاح العجوز وهي تحاول تعليق الزهور الورقية عليها؟ استمر ألم وركها وقتًا، وذهبت إلى الطبيب وقال إن عليها الذهاب إلى المستشفى من أجل أشعة سينية، ولتبيت ليلة.

وها هي، في سرير المستشفى النظيف، ترقد جوار فتاة صغيرة تدعى وردة ستُستأصل لوزتاها.

كانت وردة حزينة جدًّا، وهي في السابعة من عمرها لذا لن تبكي، لكنها دست الشرشف في فمها واهتزت كتفاها الصغيرتان وهي ترقد مديرة ظهرها للسيدة ملعقة.

«أأساعدك في شيء يا صغيرتي؟»، سألتها.

«أجل، من فضلك»، قالت الفتاة الصغيرة كاتمة بكاءها. «هلَّا غطيتِني بالبطانية؟».

فتقدمت السيدة ملعقة نحو سرير وردة لتغطيها، فانكمشت!

دهشت وردة لأنها ظنت أن العجوز القصيرة قد اختفت، لكن السيدة ملعقة نادتها من الأرض.

«أنا في الأسفل هنا»، صاحت بصوتها الصغير.

«يا إلهي!»، قالت وردة وهي تنظر من طرف السرير. «لا بد أنك السيدة ملعقة!».

«هذا صحيح!»، قالت السيدة ملعقة. «حان دورك لمساعدتي».

«ماذا تريدين مني أن أفعل؟»، سألت وردة مرحة وقد نسيت أمر البكاء.

«ارفعيني في يدك وضعيني على وسادتك»، قالت السيدة ملعقة.

ففعلت وردة.

«ما أجمل أن نكون كلانا في المستشفى نفسه»، قالت.

«وفي السرير نفسه»، قالت السيدة ملعقة محاولة الجلوس براحة لكنها ظلت تنزلق عن الوسادة.

«أعندك علبة أستطيع النوم فيها؟»، سألت.

أخرجت وردة علبة شوكولاته فارغة من خزانتها ووضعت فيها منديلًا ليكون الشرشف، ومنشفة وجهها لتكون الغطاء.

«بوسعنا التظاهر بأنك دميتي الصغيرة»، قالت. «هذا سبب حزني، لم أجلب معي دمية. لكن هذا ليس مهمًا ما دمت سألعب معك».

لعبتا الغميضة أولًا، فتغمض وردة والسيدة ملعقة تجد أذكى الأماكن على السرير لتختبئ فيها. ثم لعبتا أنا أرى، حتى تعبت وردة وأرادت أن تخلد إلى النوم.

فبدا الحزن على وجهها مرة أخرى، وسألتها السيدة ملعقة عن خطبها فقالت:

«تغني لي ماما دومًا قبل النوم».

«أوه»، قالت السيدة ملعقة. «هذا هين! انتظري لتسمعي أغنيتي».

وهذا ما غنته:

الوردة بيضاء، الوردة حمراء
الوردة الآن ناعسة
وقريبًا ستتعافى إلى أحسن حال
وتلعب «تفتحي يا وردة» معي ثانية

ولم تتذكر المزيد، فحاولت أن تفكر في أغنية أخرى فيها ورد:

«روت وردة الورد حتى تورد خداها، وصار الورد بلون خدود وردة..»، بدأت تغني لكنها توقفت حينما رأت عيني وردة تغمضان.

لم تكن الفتاة نائمة حقًا، بل أشاحت بوجهها قليلًا وهمست:

«ليت بستي هنا لتلعق لي أذني، فهي تفعل هذا قبل النوم دومًا..».

أجالت السيدة ملعقة نظرها لكن عثورها على هريرة في جناح

المستشفى مستبعد، فخطرت لها فكرة أخرى. خلعت عنها قبعتها الليلية المصنوعة من الصوف وغطستها في كأس الماء الموضوعة على الطاولة، وبرفق مسحت بها أذن وردة حتى غطت في النوم.

فتح الباب، وكان القادم ممرضة الليل.

تقدمت نحو سرير وردة، لكن السيدة ملعقة اختبأت في علبة الشوكولاته وغطت نفسها بالمنشفة واستلقت بهدوء كالدمية.

«هذه طفلة لا تبكي شوقًا لأمها»، قالت ممرضة الليل مبتسمة لوردة. «إنها تنام كالملاك وكذلك دميتها».

واستدارت فرأت سرير السيدة ملعقة فارغًا، وخرجت من الجناح تصيح داعية الطبيب. ثم عادت سريعًا يتبعها طبيبان وممرضتان وكلهم يبحثون عن السيدة ملعقة، التي عادت إلى حجمها المعتاد وكانت ترقد في فراشها دون بأس.

«مرحبًا»، قال كبير الأطباء، «أظهرت الأشعة السينية أن وركك على ما يرام، ويسعك العودة إلى البيت غدًا».

«شكرًا لك أيها الطبيب»، قالت السيدة ملعقة، «وماذا عن وردة الصغيرة؟».

«أوه»، قال الطبيب، «ستكون بأحسن حال!»، وخرج يتبعه بقية الطاقم.

«وتلعب معي تفتحي يا وردة»، قالت السيدة ملعقة مبتسمة لوردة النائمة.

(٣٠)
السيدة ملعقة والعيد

استيقظت السيدة ملعقة ذات صباح ووجدت أنها انكمشت. فتسلقت أعلى عمود السرير وأرجحت رجليها كأنها تتساءل عمَّا ستفعله.

«هذا هراء!»، قالت. «وأنا التي أردت الذهاب مع السيد ملعقة إلى سوق العيد!».

أرادت أن تشتري حزمة ذرة لتقدمها غداء للعصافير في العيد، وأرادت أن تشتري لها [للعصافير] بيتًا صغيرًا حيث يسعها إطعامها كل يوم. وأرادت أن تشتري إكليلًا من الهدال تعلقه على الباب، فتتمنى للسيد ملعقة «عيدًا سعيدًا» وتقبِّله. لكن السيد ملعقة رآها فكرة سخيفة.

«لا حاجة له قطعًا!»، قال.

لكن السيدة ملعقة كانت ذكية في الحصول على مبتغاها، وإن لم يكن حجمها الآن أكبر من الفأر، وقد أعدَّت خطة. سمعت

زوجها يضع جرابه على أرض المطبخ فانزلقت من عمود السرير، وأسرعت إلى العتبة وتسللت إلى أحد جيوب الجراب.

وضع السيد ملعقة الجراب على ظهره ومضى في الثلج على زلاجته العالية، وأطلت السيدة ملعقة برأسها من أحد الجيوب.

«يا لجمال هذه الأكواخ!»، قالت لنفسها.

«أجزم أن كل واحد فيه حزمة ذرة وبيت صغير للعصافير. كما أنهم سيضعون أكاليل الهدال على الأبواب من غير ريب. فلينتظروا عودتي إلى البيت وسأريهم!».

كان في السوق جموع من الناس، كبارًا وصغارًا، كلهم يتسوقون، وكانت الأكشاك كثيرة يصعب الاختيار بينها! عند كشكٍ وقف مزارع يبيع حزمًا من الذرة الذهبية الجميلة. ولَمَّا مر السيد ملعقة بهذا الكشك، خرجت السيدة ملعقة من أحد جيوب الجراب واختبأت في أكبر الحزم.

«أهلًا يا سيد ملعقة!»، قال المزارع، «ما رأيك بشراء بعض الذرة من أجل العصافير هذا العيد؟».

«غالية جدًّا!»، قال السيد ملعقة بامتعاض.

«أوه كلا، ليست كذلك!»، زعق الصوت الصغير للسيدة ملعقة.

«إن لم تشترِ حزمة الذرة أخبرتُ الجميع أنك زوج المرأة التي تنكمش!».

أشد ما يكره السيد ملعقة أن يعرف الناس بأمر انكماش زوجته، لذا حين رآها تلوِّح له من أكبر حزمة قال للمزارع: «غيَّرت رأيي؛ سآخذ هذه من فضلك!».

فطلب منه المزارع أن يقف في الصف.

لكن فتاة صغيرة رأت السيدة ملعقة تتسلل من الذرة وتسرع إلى بيت العصافير في كشك السيد أندرسن. كان نجارًا صنع بيوتًا للعصافير شديدة الشبه بالبيوت الحقيقية الصغيرة لها أبواب ونوافذ لتطير منها العصافير دخولًا وخروجًا. اختارت السيدة ملعقة أجمل البيوت طبعًا؛ فيه ستائر على النوافذ ومن خلفها رأت زوجها يأخذ أفضل حزمة من الذرة ويدسها في جرابه. ظن أن زوجته بمأمن داخل الجراب وأوشك على صعود مزلجته لييمم شطر البيت عندما سمع صوتها الصغير ينادي من الكشك المجاور.

«مرحبًا يا زوجي!»، زعقت السيدة ملعقة، «ألم تنسَ شيئًا؟ كنت ستشتري لي بيتًا للعصافير!».

أسرع السيد ملعقة إلى الكشك، وأشار إلى البيت ذي الستائر وقال: «أود شراء هذا من فضلك!».

كان السيد أندرسن مشغولًا مع زبونه فقال: «عليك أن تنتظر دورك».

وتعيَّن على السيد ملعقة المسكين أن يقف في الصف صابرًا مرة أخرى، وأمل ألا يشتري أحد البيت وزوجته داخله.

لكنها لم تكن هناك، بل خرجت من الباب الخلفي وكانت في طريقها إلى الكشك المجاور. هنالك وقفت شابة جميلة تبيع البهشية والهدال. تسلقت السيدة ملعقة العمود لتصل إلى أجمل الأكاليل، واختبأت داخله.

وجاء السيد ملعقة يحمل الذرة وبيت العصافير. ابتسمت له الشابة ابتسامة رائعة وقالت: «أوه يا سيد ملعقة، ألا تود شراء إكليل من الهدال لزوجتك؟».

«كلا، شكرًا لك»، قال السيد ملعقة، «أنا في عجلة من أمري».

«عجِّل تعالَ! عجل تعالَ! أنا في إكليل الهدال!»، غنت السيدة ملعقة من مجثمها العالي.

لمَّا رآها السيد ملعقة فغر فاه وقال متأوهًا: «آه يا ربي! هذا سيئ جدًّا!».

ودفع إلى الشابة ثمن الإكليل بيد راجفة، وأنزله بنفسه حريصًا على ألا تنزلق السيدة ملعقة من بين أصابعه. لن تهرب منه هذه المرة وسيأخذها إلى البيت في الحال سواء أأعجبها هذا أم لا. لكن الشابة قالت حين همَّ بالرحيل: «سيدي، إنك زبوننا المئة، لذا ستحصل على بالون مجانًا!»، وناولته بالونًا أحمر اللون.

وفي لمح البصر أمسكت السيدة ملعقة بالخيط، وأثناء انهماك السيد ملعقة بالإمساك بمحفظته وقفازيه وحزمه، حلَّقت زوجته في السماء، وطارت فوق السوق، وسرعان ما أخذت تعلو فوق

أشجار الغابة، يتبعها جمع من الغربان والعقاعق والطيور الصغيرة من كل صنف.

«ها قد جئتُ!»، صاحت السيدة ملعقة بلغة الطيور، إذ يمكنها التحدث بلغة الطيور والحيوانات عند انكماشها.

نعق غراب كبير: «أستصعدين إلى القمر ببالونك؟».

«ليس حقًّا، كما آمل!»، قالت السيدة ملعقة وأخبرت الطيور بالحكاية كلها. زقزقت الطيور سعيدة بعد سماعها بأمر الذرة والبيت اللذين اشترتهما لها.

«عليكم مساعدتي أولًا»، قالت السيدة ملعقة، «أريد منكم جميعًا أن تمسكوا بهذا الخيط وتعيدوني لأهبط على عتبة بابي».

فأمسكت الطيور بالخيط بمناقيرها ومخالبها، وطرن لإعادة السيدة ملعقة إلى بيتها، فبدا البالون شبيهًا بطائرة ورقية لها ربطة أنيقة في ذيلها.

عادت السيدة ملعقة إلى حجمها حالما وطئت قدمها الأرض.

فلوحت تلويحة الوداع للطيور ودخلت تنتظر السيد ملعقة.

تأخر الوقت مساءً حينما عاد السيد ملعقة، متعبًا وبائسًا بعدما بحث في كل مكان عن زوجته الضائعة. أنزل جرابه في البهو وحمل الذرة وبيت العصافير إلى الخارج، ولمَّا عاد وجد أن إكليل الهدال قد اختفى.

«أوه، يا سلام»، قال حزينًا، «ومن يبالي بأمره وقد اختفت السيدة ملعقة؟».

فتح باب المطبخ، ورأى إكليل الهدال معلقًا فوق الباب، وتحته وقفت السيدة ملعقة بشحمها ولحمها!

«زوجي العزيز!»، قالت وطوقت عنقه بذراعيها وقبَّلته قبلة كبيرة متمطقة:

«عيدًا سعيدًا!».

(٣١)

السيدة ملعقة في الغابة السحرية

لعلكم تذكرون أن السيدة ملعقة تعيش على تلة في النرويج، وخلف بيتها سياج قديم له بوابة. تقول السيدة ملعقة من يعبر البوابة يدخل الغابة السحرية.

إنها ليست إلا أيكة صغيرة من شجر الأَرْز والصنوبر والبتولا، لكن الأرض في الربيع تكتسي بزهور الثلج؛ فتغدو كأشد السجادات بياضًا، وحول صخرة كبيرة تغطيها الطحالب رقعة من زهور البنفسج تشكل لطخة من لون زاهٍ. تبدو أشجار البتولا بلون فضي أكثر هنا والأغصان الخضراء الفاتحة لأشجار الأرز أكثر إيراقًا وهي تتمايل فوق الجدول الذي ينساب على التلة. وداخل العشب الطويل وخارجه صنع ابن عرس أشكالًا من الدروب المتعرجة. إن هذا شديد الجمال.

لكن السيدة ملعقة تحب الشتاء أكثر، حين يكسو الغابة السحرية بساط سميك من الثلج وتلمع الدلى من الأغصان. ويخيم الصمت

على كل شيء إلا صوت الخشخشة الصادر عن حذاء السيدة ملعقة وهي تمشي على الثلج.

كان هذا اليوم هو السابق للعيد، وقد طلبت السيدة ملعقة من زوجها أن يقطع لها شجرة صغيرة من الغابة السحرية. لكنه مشغول بعمله فلم يسنح له الوقت لقطعها، وعزمت السيدة ملعقة على أن تقطعها بنفسها. كان الثلج زلقًا جدًّا، فأخذت عصًا، ووصلت إلى شجرة التنوب، ثم رسمت دائرة حولها بعصاها ورفعت فأسها لتبدأ القطع. ووقع الأمر الكريه! الأمر الذي واصل حدوثه للسيدة ملعقة في أشد الأوقات حرجًا كما تعرفون؛ لقد انكمشت إلى حجم ملعقة شاي.

«عليَّ العثور على عصًا صغيرة»، قالت، «ستساعدني في حفر دربي في الثلج. آه، أمكن أن يقع الأسوأ كما أظن، ولا بد أني اعتدت الأمر».

«مرحبًا!»، نادى صوت صغير قريب من فوقها.

«ما ذاك؟»، قالت السيدة ملعقة التي طار صوابها، وفوجئت.

«هذا أنا!»، قال الصوت الصغير. ورأت السيدة ملعقة أنه ولد صغير لا يفوقها طولًا يقف قربها.

«حسن، هيا بنا؛ لا تقفي هكذا! إنهم جالسون في الداخل ويبكون بحرقة لأنهم حسبوا الغول أكلك. عليكِ أن تسرعي في العودة وتفاجئيهم».

ودون أن ينتظر ردًّا انحنى الصغير على حفرة في الثلج وأخذ يزحف داخلها.

«حسن»، قالت السيدة ملعقة، «ربما عليَّ الذهاب أيضًا لأستطلع الأمر؛ يبدو أنه يعرفني وإن كنت لا أعرفه».

تركت الفأس وتأبطت العصا التي وجدتها وزحفت بشجاعة إلى الحفرة خلف الصبي. كان نفقًا طويلًا أفضى إلى باب صغير. قرع الصبي الباب، وقد تناهى إليهما من خلفه صوت عويل وبكاء فلم يفتح لهما أحد أول مرة. لكنه قرع ثانية فانزلق المزلاج وفتحت الباب فتاة صغيرة تحمل في يدها مغرفة. كانت الغرفة ساطعة الإنارة من نار عُلقت فوقها قدر يتصاعد منها البخار. رأت السيدة ملعقة التي اختبأت خلف الصبي في العتمة أن في الداخل ثلاثة ويبدو عليهم كلهم الحزن وقد واصلوا بكاءهم.

خبط الصبي الصغير بقدمه «كُفُّوا عن هذا الضجيج!»، صاح. «ألا ترون أنني أعدت بنصرًا؟» وأمسك بذراع السيدة ملعقة وجرها إلى وسط الغرفة.

حملق الكل إلى السيدة ملعقة ثم استأنفوا بكاءهم من جديد!

«ماذا فعلت أيها الصغير خنصر؟ هذه ليست بنصرًا!»، قالت الفتاة التي تحمل المغرفة.

استدار الصغير خنصر ونظر جيدًا إلى السيدة ملعقة، ثم هزَّ قبضتيه في وجهها وألقى بنفسه على الأرض فيما يمكن وصفه بنوبة غضب.

غير أن السيدة ملعقة نفد صبرها من هذا الهراء: «إن فرغتم كلكم من هذا النواح»، قالت، «فلعل أحدكم يتفضل بإخباري من أنتم ومن يفترض بي أن أكون. ثم ربما أخبركم بمن أكون حقًّا».

«إن الأمر محير قليلًا»، قال الرجل البدين القصير الجالس قرب النار. «حسبناكِ واحدة منا، كما ترين».

«وهذا ما سمعته، ولكن من تكونون؟»، عيل صبر السيدة ملعقة.

«دعيني أوضح لكِ»، قالت الفتاة الصغيرة التي تحمل المغرفة، ولم يحاول أحد إيقافها فواصلت كلامها: «لعلكِ لا تعرفينا، ولكنك عرفتنا جيدًا في صغرك. أتذكرين حين كانت أمك تضعك في حجرها أحيانًا لتقلم أظافرك؟ ربما لم يعجبك الأمر، فكانت تمسك يدك وتعد أصابعك واحدة تلو الأخرى».

«هذا صحيح»، قالت السيدة ملعقة، «ثم تغني لي أنشودة قصيرة تقول:

هذا الإبهام، بدين قصير
وهذا سبابة؛ قذر دومًا
تليها وسطى؛ لها ألاعيبها
ثم تأتي بنصر مع إبرتها
وخنصر وهو خزاف[1].

---

(١) الأصابع في اللغة العربية مؤنثة، لكن الشخصيات التي تجسدها في القصة ثلاثة من الذكور وأنثيان.

وصفق الجميع، وقالت الفتاة: «أحسنتِ! لم تنسي الأغنية. وهؤلاء نحن، عائلة الأصابع الذين يعيشون في الغابة السحرية. وهذا إبهام»، قالت وهي تشير إلى الرجل البدين القصير الجالس قرب النار.

«سررت للقائك»، قال إبهام، عندما صافحته السيدة ملعقة.

«رأيتك دومًا امرأً مريحًا»، قالت السيدة ملعقة باسمة.

«وهذا سبابة كما ترين»، واصلت الفتاة، لكن الرجل النحيف الطويل كان خجولًا وحمل كمانه خلفه كأنه يود الاختفاء في الحال.

«وأنا وسطى، وأنا أطبخ كما ترين»، قالت الفتاة.

تغلَّب خنصر على خيبته، وقال بعدما ألقى نظرة ثانية على السيدة ملعقة: «إنك شديدة الشبه ببنصر!».

«وماذا حدث لها؟»، سألت السيدة ملعقة.

وأخذ الجميع يتحدث في آن واحد: «حدث الأمر هكذا، كنا في الغابة، ونحن دومًا نتمنى اكتمال القمر في العيد، كانت ليلة بهية!».

«واحدًا واحدًا من فضلكم!»، قالت السيدة ملعقة وهي تسد أذنيها.

رفعت وسطى مغرفتها ليسود النظام: «اهدؤوا! سأشرح أنا. كما قالوا، خرجنا نتنزه لنحيي القمر، فطلع علينا فجأة غول كبير وأسرعنا نختبئ في النفق لنبتعد عن طريقه. لكن بنصرًا تعثرت بإبرتها، ولم

تتمكن من الهرب. فحملها الغول ووضعها في جيبه، ونحن الآن قلقون عليها كثيرًا، ولن يكون العيد عيدًا دونها!».

«ربما أكلها الغول!»، قال خنصر وأخذ يبكي ثانية.

«إن الغيلان لم تعد شريرة كما كانت في الماضي!»، قالت السيدة لتخفف عنه. «ثم إن كانت معتادة حجمها الصغير مثلي فستعرف كيف تتخلص من المواقف الحرجة».

«إن عرفنا أين يعيش الغول، فقد نتمكن من إنقاذها»، قالت وسطى.

«أنا واثقة بقدرتنا على ذلك، إن اتحدنا»، قالت السيدة ملعقة. «أظنني أعرف مسكن الغول».

«هلَّا دللتِنا على الدرب؟»، سأل خنصر بحماس، وتحلَّقوا جميعًا حول السيدة ملعقة يتعلقون بتنورتها.

«لا وقت عندنا نضيعه»، قالت وأخذت تزحف فورًا لتخرج من النفق. تبعها الآخرون ولمَّا خرجوا وجدوا الطريق مسدودًا بركام ثلج كبير.

«لن نتمكن من عبور هذا!»، قال إبهام وكان مستعدًّا للعودة إلى ناره الدافئة في الداخل.

كانت تلك مشكلة حقًّا، فأغمضت السيدة ملعقة عينيها كأنها لتحسن التفكير. وتذكرت فجأة أمرًا مهمًّا؛ لقد كانوا في الغابة السحرية، حيث الأماني تتحقق إن أخلص المرء في أمنيته.

«الزموا الهدوء! سأتمنى أمنية!»، قالت.

ولمست ركام الثلج بعصاها وقالت جهرًا: «أتمنى أن يتحول ركام الثلج هذا دبًّا قطبيًّا -دبًّا قطبيًّا أليفًا- يحملنا على ظهره ويأخذنا إلى بيت الغول».

وأخذ ركام الثلج يرتفع من تحتهم ووجدوا أنهم يجلسون على بساط أبيض ناعم دافئ. ثم أخذ البساط يتقدم، ورأت السيدة ملعقة أذنين أمامها. سبق لها أن ركبت دبًّا، لذا فهي تعرف أكثر ما يحبه الدببة؛ الدغدغة بين الأذنين.

«احذري!»، قالت وسطى وقد تشبثت بكل قوتها بفراء الدب. كان سبابة خائفًا جدًّا وتمدد دافنًا وجهه، أما إبهام وخنصر فأخذا يستمتعان وهما ينظران حولهما من مجلسهما العالي.

خرخر -أو دمدم بالأحرى- الدب سعيدًا لدى إحساسه بدغدغة أذنيه، وأوصل السيدة ملعقة وأهل الأصابع بسرعة إلى طرف الغابة حيث كان سياج فيه بوابة.

«ادفع البوابة بخطمك!»، أمرت السيدة ملعقة الدب القطبي وفعل ما قالت وفتح البوابة.

ثم وصلوا إلى بيت نافذته مضاءة.

«أريدك أن تجلس عند الباب»، قالت السيدة ملعقة، «وانتظر حتى أخرج إليك؛ أهذا واضح؟».

هزَّ الحيوان الضخم رأسه ببطء وجلس عند الباب.

استدارت السيدة ملعقة إلى أهل الأصابع: «أنا واثقة تمامًا بأني سأجد الغول داخل هذا البيت»، قالت.

«ألا تريدين أن نساعدك في إنقاذ بنصر؟»، سأل خنصر وقد بدا مبتهجًا.

«كلا، شكرًا لكم، أظنني أستطيع تدبر أمري»، قالت السيدة ملعقة. «أريد منكم الانتظار هنا مع السيد الدب القطبي. إن كانت بنصر في الداخل سأخرجها إليكم، ثم تستطيعون العودة إلى البيت».

صافحوها بحرارة وتمنوا لها الحظ السعيد.

«ثقوا بي!»، قالت السيدة ملعقة وقفزت إلى عتبة الباب.

وحالما اختفت في البهو المظلم عادت إلى حجمها وذهبت إلى غرفة الطعام. هنالك جلس السيد ملعقة والدموع تنهمر على وجنته وقد احمرَّ وجهه الحاد من البكاء. وعلى جانبه من الطاولة سرير دمية صغير اشترته السيدة ملعقة لتقدمه هدية إلى فتاة صغيرة في العيد، وفي السرير رقدت بنصر تحاول جهدها أن تبدو شبيهة بالدمى! كان على الطاولة زجاجات دواء وعلبة من أقراص السوس.

تخصرت السيدة ملعقة وقالت: «وما الذي يبكيك هكذا؟».

رفع السيد ملعقة نظره عندما سمع صوتها، ولم يصدق ما يراه!

«أهذه أنت؟ أهذه أنت حقًّا يا زوجتي؟»، قال. وأمسك بتنورتها ليتأكد أنها ليست شبحًا.

«ظننت أني فقدتك هذه المرة! كنت أسير في الغابة بحثًا عنك، حين رأيت...»، وتوقف ونظر إلى العجوز الصغيرة في فراش الدمية. «ولكن من هذه إذن؟ حملتُها من الثلج وجلبتُها إلى البيت ظانًّا أنها أنتِ وقد انكمشتِ ثانية».

«أيها الرجل السخيف! ألا تفرِّق بيني وبين دمية أسقطها أحدهم على الدرب؟!»، قالت السيدة ملعقة. ووقفت بينه وبين سرير الدمية، وحملت بحذر بنصر ومسحت عنها الدواء الدبق وأقراص السوس التي حاول زوجها إعطاءها لها. أوشكت بنصر على شكرها فأسكتتها السيدة ملعقة بإشارة أن تلزم الهدوء وحملتها نحو الباب.

خاف السيد ملعقة من اختفاء زوجته مرة أخرى فتبعها ممسكًا بمعطفها. وسألها لمَّا أمال رأسه: «لماذا تضعين الدمية على ركام الثلج؟».

«لتعود إلى أهلها»، قالت السيدة ملعقة، «تعالَ وتناول عشاءك».

«لحظة، أريد أن أجرف ركام الثلج بعيدًا عن العتبة أولًا»، قال السيد ملعقة.

«لماذا؟ أتخشى دخوله إلينا؟ تعال فالعشاء جاهز».

فدخل السيد ملعقة المطبخ ليغسل يديه ولم يسمع زوجته تهمس لركام الثلج: «استدر وأسرع في مشيك وأوصلهم إلى بيتهم بأسرع ما استطعت!».

في وقت لاحق من تلك الليلة، أثناء اغتسال السيدة ملعقة غنَّت لنفسها الأنشودة القديمة:

هذا إبهام، بدين قصير

وهذا سبابة؛ قذر دومًا

تليها وسطى؛ لها ألاعيبها

ثم تأتي بنصر مع إبرتها

وخنصر وهو خزاف.

(٣٢)

السيدة ملعقة ومسرحية الدُّمى

كان يومًا صيفيًّا جميلًا، يومًا مناسبًا للخروج.

تلقَّى نادي الخياطة في القرية دعوة إلى برنامج تلفزيوني في أقرب بلدة وركبت العضوات عربة خاصة.

كانت السيدة ملعقة ذاهبة أيضًا، وكان حماسها شديدًا إذ لم يسبق لها أن رأت برنامجًا تلفزيونيًّا في مسرح من قبل. ولم يسبق لواحدة من الأخريات أن تشهد شيئًا مماثلًا، فلبسن أجمل فساتينهن الصيفية واعتمرن قبعات القش المزينة بالزهور.

وفي الطريق ثرثرن كما تفعل النساء، وتساءلن كيف سيكون البرنامج. كن سيشهدن مسرحية للدمى، وكانت سارا ساوث متأكدة من حسد أهل القرية لهن.

توقفت الحافلة في ساحة سوق البلدة وترجلن منها كلهن. قالت نورا نورث وهن ماضيات نحو القاعة: «ثمة أمر علينا ألا نفعله؛ ألَّا نبتسم للكاميرا، فهذا يبدو سخيفًا جدًّا لدى مشاهدة التلفاز».

«وخصوصًا إن كان عندك فراغات بين أسنانك»، قالت السيدة إيست التي تكون سليطة اللسان قليلًا متى شاءت.

راودهن شعور خفيف بالخجل عندما دُعين إلى الجلوس في الصف الأمامي، غير أنهن جلسن مرتاحات في مقاعدهن وقُدمت إليهن أكياس من حلوى النعناع يتسلين بها. كلهن جلسن عدا السيدة ملعقة، فأين ذهبت؟

حسن، تعرفون أنها تحب حشر أنفها في كل شيء، وأثناء سيرهن نحو مقاعدهن سمعت السيدة ملعقة أحدًا ينشج ويبكي في غرفة صغيرة بجانب المسرح.

«يا للغرابة!»، قالت في نفسها واسترقت النظر من الباب، فرأت رجلًا راشدًا يعتمر قبعة عالية وله شارب طويل، يجلس على كرسي ويبكي كالأطفال.

«يا للعجب!» قالت السيدة ملعقة، وقبل أن يتسنى لها الوقت للحاق برفيقاتها انكمشت!

وقفت هناك بقوامها الصغير قرب الباب وهي تلبس ثوبًا صيفيًّا زاهيًا وقبعة قش صغيرة. رآها صانع الدمى في الحال، فمد يده إليها بسرعة البرق وحملها.

«ها قد وجدتُك!»، قال ممسكًا بها بإحكام بين إصبعه وإبهامه، «ظننت أني أضعتك!».

اعترى السيدة ملعقة خوف شديد فلم تتحرك، ولمَّا نظر إليها

الرجل من كثب، قال: «لكنكِ لست دميتي الجميلة النائمة!» «أنا لست هي قطعًا!»، قالت السيدة ملعقة. يا له من خاطر!

«الأمر سيانِ»، قال صانع الدمى، «ستمثلين أنتِ دور أهم دمية لأني لا أستطيع العثور عليها. سيكون شكلك مناسبًا إن وضعتُ لك شعرًا مستعارًا أشقر وتاجًا وخمارًا، وسأزين وجهك لتكوني جميلة حقًّا!».

«أطلِق سراحي الآن!»، صاحت به السيدة ملعقة وهي تصارع للتحرر من قبضته. «من سمع بامرأة عجوز مثلي تمثل دور الجميلة النائمة؟».

«كفى كفى! إنك موهوبة ويمكنك التمثيل، أنا واثق بهذا. وهذا أكثر ممَّا تتحلى به الدمى الأخرى التي يجب تحريكها بالعِصي والخيوط. أما أنتِ فيمكنكِ السير والكلام وحدك؛ إنك ما حلمتُ به دومًا وستجلبين لي الشهرة والكثير من المال، وسترين».

«على جثتي!»، قالت السيدة ملعقة ولم تزل حانقة، «بل إني لا أذكر قصة الجميلة النائمة».

«سأروي القصة»، أوضح رجل الدمى، «وعليك أن تفعلي ما أقول. لكنك لا تظهرين في المشهد الأول، لذا يسعك الوقوف جانبًا ومشاهدة الدمى الأخرى من ذلك الشق في الستارة. لقد حان وقت بدء العرض، فكوني مطيعة وابقي هناك، أتفعلين؟».

«ربما أفعل وربما لا أفعل»، قالت السيدة ملعقة، فأنزلها على

مسرح الدمى الموضوع وسط خشبة المسرح الحقيقية. ثم انطفأت أنوار القاعة، واشتعلت مصابيح مسرح الدمى، واسترقت السيدة ملعقة النظر من شق الستارة.

كان المشهد قاعة رخامية هائلة ورأت الملك والملكة الدميتين يجلسان على عرشيهما ومن حولهما وقف موظفو البلاط، ينظرون إلى دمية طفلة في مهد.

أخذ الرجل يتكلم من خلف الخشبة.

«كان يا ما كان ملك وملكة رُزقا أميرة صغيرة».

«لحسن حظي أنه لم يطلب مني الاستلقاء في المهد!»، خطر للسيدة ملعقة.

واصل الرجل القراءة، واصفًا دعوة الجنيات الطيبات إلى حفلة تعميد الأميرة، وهدية كل منهن للأميرة الصغيرة. إذ تقدمت الجنيات واحدة تلو الأخرى، ملوِّحات بعصيهن فوق المهد.

«أمنحك الجمال هدية!»، قالت واحدة.

«أمنحك الصبر هدية!»، قالت أخرى.

«ستُجديني هذه الهدية نفعًا»، قالت السيدة ملعقة لنفسها، «فما ينقصني هو الصبر!».

«لوَّحت كل الجنيات بعصيهن فوق المهد عدا واحدة، فقصف الرعد قصفًا رهيبًا وأظلمت الخشبة.

«أيها الرب الرحيم!»، قالت السيدة ملعقة، «آمل أن الكهرباء لم تنقطع!» إذ أخذت تهتم بالمسرحية.

اشتعلت الأنوار ثانية، وكانت جنية شريرة منحنية فوق الطفلة تلوِّح بعصاها.

«ها ها!»، قال رجل الدمى بصوت ساحرة عجوز. «اليوم كلكم سعداء، لكن هذه هديتي للأميرة؛ سيخزك مغزل في عامك الخامس عشر ثم تموتين!» واختفت الجنية الشريرة وقصف الرعد وخيم الظلام مرة أخرى.

«إن كنتُ الجميلة النائمة، فإن عمري أكبر بكثير من خمسة عشر عامًا لكني ما أزال سليمة معافاة!»، قالت السيدة ملعقة.

أدخل رجل الدمى جنية أخرى لتخبر الملك والملكة أن ابنتهما لن تموت حقًّا، لكنها ستغط في نوم طويل طويل.

«وذات يوم سيأتي أمير ويوقظها من نومها»، قالت الجنية وانتهى المشهد الأول.

سُرَّ رجل الدمى لرؤيته السيدة ملعقة واقفة في مكانها، لكنه لم يجازف فأمسك بها بغلظة قبل أن تتمكن من الاعتراض. ورغم محاولتها التملص فقد وضع لها شعر الأميرة الأشقر يعلوه تاج وخمار ينسدل على ظهرها.

أما أسوأ جزء فكان حين وضع لها رجل الدمى الزينة؛ ياع! طعمها كطعم الشمع!

ثم أنزلها وأوقفها أمام مرآة صغيرة، وأقرَّت بأنها بدت بارعة الجمال.

«استمعي إلى ما أقول»، قال رجل الدمى، «لست أبالي إن قلتِ كلامًا من عند نفسك، ما دام ينسجم مع القصة التي أحكيها، وعليك أن تتذكري أمرًا؛ لا يسمح بالإعلانات! هذه القناة التلفزيونية تحظر هذا الأمر بشدة».

«حقًّا!»، قالت السيدة ملعقة التي لم تغفر له معاملته الخشنة، يا إلهي، لقد شد شعرها! «سننظر في الأمر!»، غمغمت.

لكن الوقت لم يتسع للجدال، إذ أخذ رجل الدمى يستعد لرفع الستارة ثانية. كان المشهد كسابقه، غير أنه خلا من الدمى أثناء قراءة الرجل مقدمة الجزء التالي من القصة.

«حرص الملك كل الحرص على إبعاد كل أذى عن ابنته الوحيدة، فأمر بإحراق كل مغزل في البلاد ومنع صنع المغازل. كبرت الأميرة بما نالته من هدايا الجنيات، فقد كانت طيبة جميلة متواضعة صبورًا وأحبها الجميع. وبلغت الخامسة عشرة ذات يوم خرج فيه الملك والملكة فظلت وحدها في القصر، وقالت إنها ستتجول فيه قليلًا».

توقف رجل الدمى عن القراءة وهمس للسيدة ملعقة: «ادخلي الآن! امشي في جنبات القاعة الرخامية وارتقي السلالم الدائرية في الزاوية، ستجدين الساحرة أعلاها جالسة تغزل».

ودفعها دفعة خفيفة، ودخلت السيدة ملعقة، بثياب الأميرة، إلى

الخشبة دخولًا أنيقًا قدر استطاعتها، ووقفت وسط القاعة الرخامية وبحثت عن السلالم. ولَّما وجدتها استدارت نحو الجمهور وقالت مشيرة نحو السلالم: «عليَّ ارتقاء هذه وآمل أنها آمنة! أشتري ألواح الخشب من بانكس، بائع الخشب!» وصعدت ممسكة بتنورتها مثل سيدة.

ووجدت أعلى السلم دمية الساحرة جالسة، تدير مغزلها بيدها.

«يا إلهي، ماذا تفعلين بهذا الشيء العتيق؟»، سألت السيدة ملعقة.

«أغزل»، قال رجل الدمى بصوت الساحرة العجوز.

«أرى هذا سخيفًا»، قالت السيدة ملعقة، «ما دام بوسعك شراء أفضل الصوف المحوك في المدينة في متجر لامبز وول [صوف الحملان]!».

ضحك الجمهور، لكن رجل الدمى لم يكن مسرورًا، وما عاد بوسعه التوقف لذا واصل العرض، قائلًا بصوت الساحرة العجوز: «أتودين أن تغزلي يا صغيرتي؟».

«لست أمانع»، قالت السيدة ملعقة. وأخذت المغزل من يد الساحرة، فهمس لها رجل الدمى بأن تتظاهر بأنها وخزت نفسها.

«آه!»، صرخت السيدة ملعقة لاعقة إصبعها وهي تهزها، «أحتاج لاصقًا طبيًّا من السيد ساندز الصيدلاني».

ضحك الجمهور مرة أخرى. همس لها رجل الدمى بأن تستلقي

على الفراش لتنام، وسألته إن كان يود منها أن تشخر لتجعل الأمر حقيقيًّا أكثر.

«كلا قطعًا!»، قال غاضبًا، «ولا أريد إعلانات عن حبوب منومة أيضًا!».

«لا حاجة!»، قالت السيدة ملعقة، وقد أراحت بدنها على الفراش. ثم رفعت رأسها لحظة وتحدثت بصوت رتيب إلى الجمهور.

في لحظة اضطجاعك على
حشية من [متجر] إرڤاين
ستغط في النوم
وإن هذا لهو النعيم!

وجد رجل الدمى مشقة في أن يرفع صوته وسط الضحك والقهقهات التي استُقبلت بها القصيدة الشنيعة. وتمكن أخيرًا من المضي قدمًا في قصته إذ نامت الأميرة مئة عام ونام كل من في القصر أيضًا. وحين وصل إلى الجزء الذي يصف نمو شجيرات الورد أكثر فأكثر على أسوار القصر، أطلت السيدة ملعقة برأسها وقالت:

زهور تنمو بسرعة
من متجر راتلن وموسى.

ثم تظاهرت بالنوم. لقد انتقمت من رجل الدمى، واستمتعت بكل لحظة من ذلك.

واصل رجل الدمى، غير أن الجمهور ضحك على كل شيء يقال، وتساءل إن كان يجدر به وقف العرض. حاول القراءة ثانية: «وصل ابن الملك إلى السلم الضيق في البرج، ولمَّا بلغ أعلاه فتح باب الحجرة الصغيرة، ورأى أجمل منظر وقعت عليه عيناه: الجميلة النائمة».

انبعثت من الحاكي موسيقى رقيقة تناسب المشهد، وارتقى الأمير الدمية السلم ودخل. فغمزت السيدة ملعقة للجمهور وقالت:

أدين بجمال بشرتي

إلى حليب البشرة من [متجر] فلن.

مشى الأمير مشية متخشبة نحو سريرها وانحنى وطبع قبلة خشبية على وجنتها، لكن السيدة ملعقة طفح بها الكيل: «كلا، كلا!»، زعقت قافزة من فراشها وضربت الأمير ضربة خاطفة، فتقطعت خيوطه وهبط في كومة مهملة أسفل السلم.

ونزلت السلم السيدة ملعقة وقفزت من فوق الأمير الواقع، وركضت عبر المسرح خلف الستارة، أما الجمهور فاستداروا في مقاعدهم وهتفوا مطالبين بعودة الأميرة.

وما إن كانت السيدة ملعقة بمأمن في غرفة التبديل حتى نزعت الشعر المستعار والخمار والتاج قبل أن تعود إلى حجمها المعتاد ووضعت الأشياء الصغيرة في حقيبتها وخرجت من الباب بهدوء تام، لتجد أمامها رجل الدمى المسكين الذي ضرب كفيه باكيًا متحسرًا أكثر من ذي قبل.

«ما خطبك؟»، سألت السيدة ملعقة.

«لقد فسد عرضي!»، قال باكيًا. «لن يعرضوه على التلفاز بعد كل تلك الإعلانات!».

«إعلانات؟»، تظاهرت السيدة ملعقة بالدهشة. «ألم يكن هذا جزءًا من العرض؟».

غير أن رجل الدمى لم يكن مصغيًا: «آه يا إلهي! آه يا ربي! ماذا سيحدث لي؟ ولقد فقدت الجميلة النائمة!».

«عليك أن تظهر احترامًا أكثر لدُماك»، قالت السيدة ملعقة، «لأنها لا تحب أن تُدفع أو أن يُشد شعرها!».

ثم تركته وخرجت إلى الساحة لتركب الحافلة. كانت كل صديقاتها مشغولات بالضحك والكلام عن المسرحية ولم يلاحظن غيابها عنهن. فجلست بجانب سارا ساوث التي سألتها إن كان العرض أعجبها.

«أوه، لقد قضيت وقتًا ممتعًا! أعني كلنا فعلنا!»، قالت السيدة ملعقة.

***

بعد بضعة أيام كان رجل الدمى يصلح خيوط دمية الأمير، وكان أسعد الرجال فقد وصفت كل الصحف سرد الجميلة النائمة بالجديد الأصيل، وأثنت على أدائه ثناء عظيمًا.

قرع الباب وناوله ساعي البريد رزمة صغيرة، فتساءل ما تكون. وحين فتحها نظر إليها مذهولًا؛ إذ كان في الحزمة الشعر المستعار للأميرة وتاجها وخمارها، إلى جانب بكرة خيط أسود ورسالة قصيرة.

قرأ رجل الدمى بصوت عالٍ:

ولمَّا أعدت هذه الأشياء

هل لي أن أجرؤ على أن أوصيك

حين تصلح دمية الأمير المرة القادمة

أن تجرِّب خيوط [متجر] تفي؛ فهي لا تنقطع.

مَن مرسل الرزمة؟ وأين ذهبت تلك الدمية الصغيرة التي تمشي وتتحدث من تلقاء نفسها؟

«ليتني أعرف!»، تنهد رجل الدمى.

(٣٣)

السيدة ملعقة وصغير الغراب

كانت السيدة ملعقة عائدة من قطف التوت في الغابة ذات يومٍ صيفي، فسمعت فجأة شيئًا يتقلَّب في الخلنج.

«يا إلهي»، قالت، «أرجو أنه ليس بأفعى».

حملت عصًا غليظة وسارت بهدوء شديد نحو مكان الصوت.

لكنها لم تكن أفعى، بل فرخ غراب لا بد أنه سقط من عشه. كان يصفق بجناحيهِ ويحاول جاهدًا أن يطير من الأرض.

«يا لك من صغير مسكين!»، قالت السيدة ملعقة، «ماذا سنفعل بك؟».

ورفعته برفق شديد ورأت أن أحد جناحيه مكسور. فوضعته في جيب مئزرها وأخذته إلى البيت معها. وجدت في الداخل سرير دمية صغيرة مبطنًا بقماش قطني، وصعدت بصغير الغراب إلى العِلية فلا يعرف السيد ملعقة بأمره.

وكلما خرج الزوج تسللت السيدة ملعقة إلى العِلية حاملة قليلًا

من الطعام الشهي للطائر وراقبته وهو يقفز على الأرض. وبعد أن اشتد عوده غدا قادرًا على القفز من عارضة إلى أخرى، وجاء اليوم الذي صار فيه قادرًا على الطيران.

غير أن السيدة ملعقة أولعت بهذه الكرة القذرة من الريش الأسود ولم يطاوعها قلبها على تركه يذهب. ومرت الأيام حتى استيقظت السيدة ملعقة صباح يوم اثنين وقالت لنفسها: «اليوم هو اليوم الموعود، عليَّ أن أخرج الطائر اليوم».

لكن الطقس سيئ وقالت إنه يجدر بها الانتظار حتى اليوم التالي.

أشرقت الشمس صباح يوم الثلاثاء، بل كان الجو شديد الحرارة.

«آه يا ربي»، قالت السيدة ملعقة، «أنا واثقة بأن عاصفة رعدية ستأتي، وسيخاف الصغير المسكين خوفًا شديدًا. يحسن بنا الانتظار حتى يوم غد».

صباح يوم الأربعاء لم تجد السيدة ملعقة القطة، وخشيت أنها تتربص في مكان ما خارج البيت، تتحين لحظة القفز على صغير الغراب، فقررت الانتظار حتى يوم الخميس.

وفي صباح الخميس وجدت القطة وحبستها في السقيفة. كان صغير الغراب يطير من عارضة إلى أخرى ورغبته في الطيران خارجًا واضحة جلية. وعندما صعدت السيدة ملعقة إلى العِلية طار وحط على كتفها وشد شعرها بمنقاره، كأنما يقول: «هيا افتحي النافذة!».

غير أن السيدة ملعقة وجدت حجة أخرى وقالت وهي تمسِّد

ظهر صغير الغراب: «اسمع يا صغيري، إن على المرء بعد مرضه أن ينال قسطًا من الراحة -وهذا ما يسمونه النقاهة- قبل أن يتمكن من الخروج. وأحسب أنك بحاجة إلى قليل من النقاهة».

«كاو كاو!»، قال الغراب وطار إلى ركن في العِلية واختبأ طوال اليوم.

قضت السيدة ملعقة وقتًا طويلًا يوم الجمعة في العِلية، وقد وجدت الكثير لتفعله هناك، من تنظيمٍ لصناديق ثيابها القديمة وتنظيف للرفوف بلا داعٍ. وأثناء ذلك تنهدت ونشقت، وكانت قد بلغت من نكد المزاج حدًّا نسيت معه أن تعد عشاء زوجها قبل عودته إلى البيت.

«ما الأمر؟»، قال السيد ملعقة، «ألا يهنأ الرجل بطعام حين يعود من يوم عمل شاق؟».

«الأكل! هذا كل ما يشغل بالك!»، قرَّعته السيدة ملعقة، «عد بعد نصف ساعة». وأدارت ظهرها له وأصدرت ضجيجًا عاليًا بقدورها فلم يرَ أنها تبكي.

«يا سلام!»، قال السيد ملعقة، «لا أدري ما الذي أصابك، ولكني أظنك فقدت ما بقي لك من عقل»، وخرج مسرعًا تحسبًا لأن ترميه زوجته بطبق.

كانت شديدة الحزن فلم ترمِ أطباقًا، بل وقفت قرب موقد المطبخ وبكت لأنها لا تطيق أن تسمح لصغير الغراب بالطيران.

ولما أوت إلى فراشها عاد إليها صوابها وقالت لنفسها إنها ستفعل ذلك غدًا ليس من ذلك بد. لكنها تذكرت أن غدًا يوم السبت: «وكثير من الناس يذهبون لصيد الطيور يوم السبت، وقد يطلقون النار على الصغير خطأً، أو يحسبونه أعرج «ويخلّصونه من عذابه» كما يقولون».

وصعدت اليوم التالي إلى العِلية فطار إليها الغراب، وأخذته برفق بين يديها وتحدثت إليه مهدئة: «عليك أن تتحلى بالصبر قليلًا. قد يطلقون عليك النار اليوم، وغدًا هو يوم الأحد وسيكون في الخارج كثير من المتنزهين وقد يمسكك أحدهم ويضعك في قفص. لستَ تريد ذلك، أليس صحيحًا يا صغيري؟ كلا، لننتظر حتى بداية الأسبوع حين يعود الهدوء إلى كل شيء».

كأن الطير فهم ما قالته لأنه وثب من يدها وطار ونقر أنفها!

«على رسلك، على رسلك!»، قالت السيدة ملعقة ولم تقترب من العِلية طوال النهار.

وما كان عندها يوم الأحد متسع من الوقت لأخذ الماء والطعام للطير إلا صباحًا، إذ كانت تنتظر ضيوفًا ثم إن السيد ملعقة مكث في البيت طوال اليوم.

وأخذت صباح يوم الاثنين قشرة اللحم المقدد وصعدت بها ترضيةً للصغير.

«إليك يا بطتي الصغيرة، جلبت لك شيئًا لذيذًا!»، قالت.

لكن الغراب الصغير نظر إليها شزرًا من أعلى عارضةٍ ولم ينزل.

سمعت السيدة ملعقة حول النافذة طنين نحل، فخشيت أن تلسع طائرها الغالي ففتحت النافذة لتخرجها.

فانكمشت في تلك اللحظة!

«كاو كاو! أخيرًا!» زعق الغراب الصغير، وقبل أن تتمكن من النهوض شعرت أنها رُفعت في الهواء من تنورتها، وطار بها الغراب خارجًا من النافذة!

فطارا فوق السطوح والأشجار وانضم إليهما جمع كبير من الغربان الكبيرة، وكلها تزعق في آن واحد.

«كاو كاو! مرحبًا بعودتك!»، زعقوا.

طار غراب كبير بجانب الصغير، وقال بصوت أجش غليظ: «أحسنت صنعًا أيها الصغير. دعها تمثل أمام المجلس! سنكون كلنا هناك. كاو كاو!».

«أوه لا»، قالت السيدة ملعقة، «ليس ثانية!» لأنها تذكرت المرة التي تعيَّن عليها فيها أن تغني في عيد الغربان وقد سرقوا كل ثيابها!

ولم تستطع فعل شيء، بل تدلت عاجزة من منقار الغراب الصغير.

مضت كل الغربان إلى الوجهة نفسها ثم دوَّموا وحطوا في براح في الغابة. وأنزل الغراب الصغير السيدة ملعقة في الوسط، وتحلقت كل الغربان حولها، وكانت شديدة الخوف حقًّا.

تحدث الغراب الكبير أولًا: «بوسعك الكلام أيها الصغير، أخبرنا بما حدث».

فقصَّ عليهم الغراب الصغير عثور السيدة ملعقة عليه واقعًا من عشه وأخذها إياه إلى البيت.

«أكنت خائفًا؟»، سأل الغراب الكبير.

«أظنني كنت خائفًا حينئذ مثل خوفها الآن»، قال الغراب الصغير، ناظرًا إلى السيدة ملعقة التي كانت ترتجف أوصالها.

«وماذا فعل بكَ الوحش؟»، سأل غراب آخر.

«أنا لست وحشًا!»، صاحت السيدة ملعقة، «لم أُسئ إليه! لقد أبقيته في عِلية دافئة جميلة حتى استطاع الطيران».

«هذا صحيح»، قال الغراب الصغير. «لقد أشفقتْ عليَّ لأني كسرتُ جناحي».

«وبعدما برئ الجناح»، سأل الغراب الكبير، «أأبقتك محبوسًا في العلية رغمًا عن رغبتك؟».

«نعم»، قال الغراب الصغير.

«هذه كذبة سوداء!»، صرخت السيدة ملعقة، «تعلم أنني كنت أريد إخراجك، ولكني أردت التأكد أنك ستكون بأمان. أول يوم من شفائك كان يومًا ماطرًا بغزارة».

نظر الغراب الكبير إلى السماء: «أمم، يبدو أنها ستمطر في أية

لحظة. علينا إبقاء هذا الشيء الصغير حتى يوم غد، وإلا غرق عند عودته إلى البيت».

«أنا لست «شيئًا»»، قالت السيدة ملعقة.

«سميتني «بطة»»، قال الغراب الصغير.

«عليَّ العودة اليوم»، قالت السيدة ملعقة، «عليَّ نقع البازلاء لإعداد الحساء غدًا».

«ونحن لا نستطيع السماح لها بالذهاب غدًا أيضًا»، قال الغراب الكبير، «لأنه يوم زيارة السيد ثعلب، وقد يظنها ابن عرس!».

«يا للهراء والكلام الفارغ!»، قالت السيدة ملعقة.

«هذا ما ظننته»، قال الغراب الصغير، «حين أخبرتني بأمر القطة».

«لعلنا نطلق سراحها يوم الأربعاء»، زقزق غراب آخر.

«الأربعاء؟!»، قالت السيدة ملعقة، «لا بد أن أكون هناك، فهذا يوم زيارة السمَّاك، وقد طلبت رطلين من سمك الرنجة»، قالت السيدة ملعقة.

هز الغراب الكبير رأسه نافيًا: «أخشى أن عربة السمَّاك خطرة جدًّا، فقد تدهسها. بوسعها الذهاب يوم الخميس».

«الخميس! يجب أن أكون هناك، سنستعيد المنشار الكبير من صاحب المِشحذة ذلك اليوم، ولا بد أن أساعد زوجي في نشر الجذوع».

«تت تت! شيء صغير مثلك لا يُسمح له بنشر الجذوع!»، قال الغراب الكبير، واستدار إلى الآخرين: «ألا ترون أن إبقاءها حتى يوم الجمعة أكثر أمانًا؟».

«بلى، بلى! كاو كاو!»، زعقت كل الغربان.

«يوم الجمعة هو يوم التنظيف الكبير»، قالت السيدة ملعقة، «وإن لم تسمح لي بالذهاب عندئذ فسيتعين عليَّ أن أنظف وأغسل الثياب في يوم واحد. هذا ليس عدلًا!»، وخبطت بقدمها وهزت قبضتيها في وجوههم.

«اسمعي اسمعي!»، قال الغراب الكبير، «اهدئي اهدئي! يوم الجمعة يوم نحس، هذا ما يقوله الجميع. سيكون السبت أفضل».

طفح كيل السيدة ملعقة، فجلست ودفنت رأسها في مئزرها وبكت وبكت. ظنت أنها لن تعود إلى البيت أبدًا!

«لقد فعلت ذلك لأني رحيمة»، قالت شاهقة، «أحببت ذلك الغراب الصغير حبًّا جمًّا!».

حينئذ عادت إلى حجمها المعتاد، ولمَّا نظرت حولها تفرقت الغربان وطارت فوق الأشجار، تنعب نعيبًا عاليًا.

مسحت السيدة ملعقة دموعها ورتبت شعرها، وشقَّت طريقها للعودة إلى البيت، وفكرت أثناء ذلك فيما قاله لها الغربان.

«قد يكونون على حق. لن يكون الحبس في سجن كهذا يومًا بعد آخر أمرًا مسليًا».

ولكن انتظروا حتى تسمعوا أغرب الأمور؛ منذ ذلك اليوم، كلما صعدت السيدة ملعقة إلى العِلية وفتحت النافذة، جاء إليها الغراب الصغير محلقًا ليجلس على كتفها! ولم ينقر أنفها أو يشد شعرها، وجلبت له السيدة ملعقة الطعام الشهي في جيب مئزرها.

(٣٤)

السيدة ملعقة تتعلم السباحة

تتقن السيدة ملعقة كل شيء تقريبًا، كما تعرفون، ولكن حتى الصيف الماضي ثمة شيء لم تتقنه؛ فهي لا تجيد السباحة! وسأقص عليكم الآن كيف تعلمت.

تسلك السيدة ملعقة طريقًا مختصرًا عبر الغابة لدى ذهابها للتبضع في الأيام الحارة. وفي وسط الغابة بركة كبيرة يسبح فيها أطفال القرية، فيلعبون ويتراشقون بالمياه. يغوص الكبار ممن يجيدون السباحة قافزين من صخرة ويتسابقون جيئة وذهابًا في البركة. ويعلّمون الصغار منهم السباحة، إذ ليس عندهم أحد من الراشدين يعلِّمهم. ولحسن الحظ أن البركة عميقة من ناحية الصخرة فحسب، لذا يبقى من لا يجيد السباحة في مياهها الضحلة. لكنهم جميعًا تواقون إلى التعلم، فيتدربون على حركات السباحة منبطحين على بطونهم على جذع شجرة ويعدون: واحد اثنان ثلاثة أربعة وهم يمدون أرجلهم وأذرعهم ويثنونها.

كانت السيدة ملعقة تتوقف دومًا لمشاهدتهم، ثم تتنهد لنفسها وتقول: «ليتني أستطيع فعل ذلك!» إذ لم يعلمها أحد في صغرها.

كان بعض الأولاد الكبار يجيدون سباحة الظهر، والصغار يقلدونهم ماخضين الماء بأقدامهم وأذرعهم كطواحين الهواء والكل يشهق ويبقبق.

«أُراهِن أني أستطيع تعلم هذا!»، قالت السيدة ملعقة، «ولكن أين أتمرن؟».

قررت ذات يوم بعد عودتها إلى البيت أن تتمرن على حركات السباحة في المطبخ، وما إن وازنت بطنها على مقعد المطبخ، حتى قرعت جارتها الباب تطلب اقتراض كوب من الطحين. جربت مرة أخرى، فمدت ذراعيها وأوقعت كفت الحساء عن الموقد، واضطر زوجها إلى أكل الخبز والدُّهن على العشاء، ولم يعجبه ذلك.

حلمت بالسباحة كل ليلة، ورأت منامًا جميلًا ذات ليلة استطاعت فيه أن تسبح سباحة الصدر ببراعة. وأثناء الحلم مدت ذراعيها إلى الأمام وثنت ركبتيها ثم واام! ركلت إحدى قدميها ثقبًا في الحائط، والأخرى ركلت السيد ملعقة وأسقطته من السرير!

اعتدل السيد ملعقة وغمغم: «ما خطبك؟ أرأيت كابوسًا؟».

«أوه كلا»، أجابته السيدة ملعقة التي لم تزل مستغرقة في حلمها، «إني أسبح وهذا أروع شعور!».

«يا سلام، إنه ليس رائعًا في نظري!» قال السيد ملعقة حانقًا.

«توقفي عن الحلم ودعيني أنعم بالهدوء والسلام»، واعتلى السرير وغط في النوم ثانية.

غير أن السيدة ملعقة لم تتوقف عن الحلم بالسباحة. فرأت في ليلة أخرى أنها تسبح سباحة الظهر، ليس كما يفعل الصغار بضجيجهم ورشرشتهم، بل بحركات قوية جميلة ثابتة مثل الأولاد الكبار، ومدت ذراعًا إلى الأعلى فأسقطت أصيص الزهور من أسكفة النافذة أما الأخرى فهبطت صافعة أنف السيد ملعقة.

عيل صبر السيد ملعقة، فاعتدل في فراشه وهز السيدة ملعقة ليوقظها. «كفي عن ذلك، تسمعين؟!» قال صارخًا.

«إنني أسبح سباحة الظهر»، قالت السيدة ملعقة بصوت حالم.

«لا أبالي إن كنتِ تغطسين من علٍ أو تتشقلبين!»، كان السيد ملعقة غاضبًا جدًّا. «ما أعرفه أن السباحة تكون في الماء لا في السرير. إن أردت السباحة فاقفزي في بركة للسباحة، واجلبي لنفسك مدربًا للسباحة!».

«هذا مكلف جدًّا!»، قالت السيدة ملعقة التي استيقظت، «أشاهد الأطفال في بركة الغابة، ويومًا ما حين يعودون جميعًا إلى بيوتهم، سأجرب بنفسي».

«ستصيبكِ نزلة برد شديدة من غير ريب»، دمدم السيد ملعقة وعاد إلى النوم. لكن ارتطامًا قويًّا وقع بعد وقت قليل، وطار صواب السيد ملعقة هذه المرة.

كانت السيدة ملعقة على الأرض تفرك عجرة كبيرة على جبينها، فقد كانت تحاول الغطس من جانب السرير!

«إنكِ لأسخف امرأة عرفتها!»، قال السيد ملعقة، «ولقد طفح بي الكيل! سأذهب للنوم على أرض المطبخ».

ثم حمل لحافًا ووسادة وذهب إلى المطبخ وصفق الباب.

احتارت السيدة ملعقة قليلًا: «ربما أخطأت في تنفيذها!»، وقالت إنها اكتفت ولفَّت نفسها بالبطانية الوحيدة الباقية على السرير، ونامت ما بقي من الليل دون مزيد من أحلام السباحة.

ثم جاء يوم مشرق دافئ ذهب فيه كل أطفال القرية يتنزهون في الجبل.

«هذا جيد»، قالت السيدة ملعقة في نفسها، «لن يكون في البركة أحد وسيكون الوقت سانحًا لأجرِّب».

بعدما نظفت البيت وأطعمت القطة والكلب، ذهبت عبر الغابة إلى البركة.

بدت البركة مغرية فالشمس تشرق من بين أوراق الشجر وتصنع أشكالًا جميلة على الماء الساكن، ولم يكن في الجوار أحد سواها.

فجلست على العشب الناعم وخلعت حذاءها وجوربيها، وجلبت معها منشفة لكنها لم تملك قط ثيابًا للسباحة، بل لم يخطر في بالها أن تخلع عنها تنورتها وقميصها. أطلت من الحافة ورأت أن

الماء ليس عميقًا هناك، فوقفت وقالت لنفسها: «حسن يا سيدة م. هيا!»، وقفزت في الماء!

كان عليها أن تعرف ذلك، فقد... انكمشت!

غاصت وغاصت وبدت البركة الآن مثل محيط في نظر السيدة ملعقة الصغيرة.

«النجدة النجدة!»، نادت، «إني أغرق!».

«تماسكي!»، قال صوت أجش مبحوح من الأسفل، «النجدة قادمة إليكِ!»، وسبح ببراعة ناحيتها ضفدع كبير.

«اصعدي على ظهري»، قال لها.

كانت السيدة ملعقة تخبط بذراعيها وساقيها وتتعثر بتنورتها، غير أنها استطاعت الصعود على ظهر الضفدع كثير العقد.

«شكرًا!»، قالت لاهثة حين صعدا وبصقت ماء كثيرًا.

سبح الضفدع بسرعة إلى الصخرة التي تراءت مثل جبل في عين السيدة ملعقة، لكنها وجدت لنفسها موطئًا وجلست تلتقط أنفاسها والضفدع يقفز قربها.

«إنك لسبَّاح ماهر»، قالت السيدة ملعقة.

فانتفخ الضفدع متباهيًا: «إنني بطل مدربي السباحة في هذه البركة»، قال.

«أتظن أنك قادر على تعليمي السباحة؟»، سألت السيدة ملعقة.

«قطعًا، سنبدأ في الحال إن شئتِ».

«لاحظتُ أن الأطفال يتعلمون سباحة الصدر أولًا»، قالت السيدة ملعقة.

«هذا صحيح، والضفادع بارعة فيها. اصعدي إلى ظهري وراقبي ماذا أفعل»، قال الضفدع وهو يقفز إلى الماء.

كان القفز من الصخرة إلى ظهر الضفدع صعبًا قليلًا، لكنه سبح في الماء ببراعة محافظًا على ثباته. جلست السيدة ملعقة على ظهره وأخذت تراقب تحريك الضفدع ذراعيه وساقيه تحريكًا متناغمًا. ثم وجد لها قطعة صغيرة عائمة من الخشب وأخبرها أن تتمسك بها وهي تدفع برجليها.

فأَبْلَتْ بلاء حسنًا في هذا حتى أفلتت منها قطعة الخشب فجأة ووجدت أنها تسبح وحدها.

«مرحى!»، هتفت حماسًا، لكن الضفدع الذي يسبح بجوارها طوال الوقت نزل تحتها ورفعها على ظهره.

«هذا يكفي الآن»، قال، وأعادها إلى الصخرة لترتاح. «لقد كان أداؤك جيدًا وأنت مبتدئة».

سُرَّت السيدة ملعقة بنفسها كثيرًا، وأرادت أن تواصل لتتعلم سباحة الزحف والظهر وكل شيء، لكن الضفدع قال: «ليس بهذه السرعة يا عزيزتي، لقد تعلمت البقاء على السطح، وعليكِ أن تستمري في التمرن على سباحة الصدر قبل أن تتعلمي الأشياء الأخرى». ثم

قال لمَّا رأى الخيبة تعلو وجهها: «سآتي بشراغفي ليقوموا ببعض الأعمال البهلوانية المائية، ما رأيك بذلك؟ اقفزي واسبحي معي إلى الجانب الضحل، فهم يقيمون سيركهم المائي هناك».

فانطلقا معًا، والضفدع يدور في حلقات أنيقة حول السيدة ملعقة وهي تمضي ببطء عبر البركة، محاولة إبقاء ذراعيها مضمومتين وألا تركل بساقيها في كل اتجاه. ووصلا إلى الجانب الضحل حيث ينمو القصب على القاع الرملي، وكان المئات من الشراغف يغدون ويروحون خارج القصب وداخله. كانت الشراغف من كل الأحجام من الصغيرة التي لا تفوق في حجمها حجم الدعسوقة إلى الكبيرة وقد ظهرت سيقانها الأمامية، بل إن بعضها ظهرت سيقانها الخلفية أيضًا ولم يبقَ لها إلا الذيل.

وجد الضفدع صخرة صغيرة مستوية من أجل السيدة ملعقة لتجلس عليها، ثم نادى كل الشراغف حوله ونقَّ قائلًا: «هلموا إليَّ يا صغاري. أريدكم أن تعرضوا لهذه السيدة أفضل ألاعيبكم. لنرَ ما يمكنكم فعله، وتذكروا ما علمتكم إياه».

اصطفت الشراغف في صف من فورها، الأكبر في المقدمة والأصغر في الخلف، فبدوا مثل أفعى طويلة متلوية. وقيل لهم: افعل ما يفعله من هو أمامك! وأيًّا ما فعل الشرغوف في المقدمة، تعيَّن على الآخرين الاحتذاء به، حتى ليهيأ إليك أنهم ربطوا جميعًا بخيط. سبحوا أولًا إلى سطح الماء، ثم غطسوا إلى القاع، فتموَّجوا دخولًا إلى القصب وخروجًا منه في شكل جميل. ثم تدحرجوا

وتدحرجوا والتفُّوا في حلقات، مثل الطائرات في عَرْضٍ، وسبحوا سباحة عكسية، محافظين على الصف مثل كتيبة من الجنود.

أعجبت السيدة ملعقة بذلك إعجابًا شديدًا، وانتفخ الضفدع مزهوًّا، بل كاد ينفجر من زهوه.

انتهى العرض فنظرت السيدة ملعقة إلى الضفدع متوسلة وقالت: «ألا تظن أن بوسعك تعليمي كيف أغطس؟ أود تجربة الغطس».

«حسن»، قال، «لن يكون الأمر سهلًا، غير أنه لا ضير من المحاولة في هذا الجانب. سأريك الحركة أولًا»، وغطس غطسة رائعة من فوق الصخرة الصغيرة.

ثم خرج وقال للسيدة ملعقة أن تمد ذراعيها مستقيمتين وتتقدم حتى تشيرا إلى الماء أمامها.

«أغمضي عينيك وأنت تقفزين»، قال لها منبهًا.

وقفت السيدة ملعقة عند حافة الصخرة.

«يبدو الماء عميقًا بعض الشيء من هنا»، قالت، إذ شعرت بقليل من الخوف.

«يجب أن يكون كذلك»، قال الضفدع، «وإلا اندقت عنقك في قاعه. اقفزي الآن، وسأكون هنا لإنقاذك!».

فمدت السيدة ملعقة ذراعيها في الهواء، وحبست أنفاسها وأغمضت عينيها وقفزت إلى الأمام. وعوضًا عن أن تغطس غطسة

جميلة، أملت أن تغوص بها تحت الماء ثم تظهر على سطحه، وجدت نفسها تتدحرج فيما بدا شبيهًا ببركة صغيرة من طين لا بركة سباحة عميقة، فقد عادت إلى حجمها المعتاد!

تمالكت نفسها وخوضت خارجة من الماء إلى الضفة ولم ترَ أثرًا للضفدع ولا شراغفه. التصقت بها ثيابها، وحاولت تجفيف ذراعيها وساقيها، وما كان لبس الجوربين والحذاء بذي فائدة فهرعت إلى البيت حافية، تاركة في إثرها سيلًا من قطرات الماء.

تذكرت لدى عودتها إلى البيت ما قاله زوجها: «ستصيبك نزلة برد شديدة!» فغيرت ثيابها بأخرى جافة وخبأت المبللة في العِلية. وشرعت تعد فطيرة المكرونة المفضلة لدى زوجها من أجل العشاء.

* * *

لم تحظَ السيدة ملعقة بوقت للذهاب إلى بركة السباحة إلا بعد بضعة أيام، وتحرَّقت شوقًا طوال الوقت للتأكد من أنها أصبحت تجيد السباحة. وعندما سمعت الأطفال يعودون إلى بيوتهم عبر الغابة ذات مساء دافئ، تسللت من بيتها واتجهت إلى البركة بأقصى سرعتها. وبدت شديدة الغرابة، إذ كانت تلبس بدلة سباحة طويلة من بدلات زوجها التي وجدتها في العِلية، ولبست فوقها معطفًا شتويًّا، وتمنت ألا يراها أحد.

كان كل شيء هادئًا عند البركة، ولم تجرؤ على الغطس، بل انزلقت إلى الماء من فوق الصخرة الكبيرة، وقبل أن تدرك وجدت

نفسها تسبح، ليس ببراعة الضفدع، بل أشبه بسباحة الكلب، لكنها تسبح وشعرت السيدة ملعقة بفخر كبير.

واستدارت لتسبح عائدة إلى الصخرة ورأت أنها متبوعة، إذ كان ضفدع يماشيها في سباحتها ومن خلفه كل الشراغف في تشكيلة متراصة، من أكبرها حتى أصغرها التي لا يزيد حجمها على حجم الدعسوقة! وخرج الضفدع إلى سطح الماء ونقَّ نقيقًا عاليًا.

«شكرًا يا سيد ضفدوع»، قالت السيدة ملعقة، «إنك أفضل مدرب للسباحة في العالم!».

وغطس الضفدع راكلًا بساقيه الخلفيتين ركلة أنيقة إلى الأعماق المظلمة للبركة، وحذت حذوه كل الشراغف ولم تعد ترى السيدة ملعقة أيًّا منها.

وهأنتم بِتُّم تعرفون كيف تعلمت السيدة ملعقة السباحة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

(٣٥)

السيدة ملعقة تقيم حفلة

تحب السيدة ملعقة الحيوانات كما تعرفون، غير أن السيد ملعقة لم يكن بمثل حبها، بل إنه لا يحب صغار الحيوانات أبدًا.

«إنها فوضوية»، اعتاد القول، «تعترض الطريق دومًا ومزعجة جدًّا!».

«إن الأمر سهل عليك جدًّا»، قالت السيدة ملعقة، «فأنت تقضي نهارك خارج البيت وترى الناس. أما أنا فوحدي في البيت وأحب صحبة الحيوانات الصغيرة».

لم يرد السيد ملعقة على هذا، بل انطلق إلى عمله متذمرًا: «أبعديها عن طريقي فحسب، هذا كل ما أطلبه!».

ذات يوم وقفت بالباب هريرة ضالة وماءت طالبة الدخول، فحملتها السيدة ملعقة وأدخلتها، ووجدت أنها فقدت جزءًا من ذيلها، ورغم أنه في طور الشفاء فإنه ما زال يؤلمها.

«آه يا ستمپي [مكتنزة] يا لكِ من صغيرة مسكينة!»، قالت السيدة ملعقة مربتة على الهريرة التي ترتعش بردًا وجوعًا. «سأضعك في صندوق تحت الموقد فهو مكان لطيف ودافئ، وسأقدم إليك بعض الخبز والحليب».

وسرعان ما نامت الهريرة هانئة في الصندوق وكانت شديدة الهدوء، إذ لم يلحظ السيد ملعقة وجودها لدى عودته من العمل.

بعد بضعة أيام، ذهبت السيدة ملعقة للتبضع وأثناء عودتها من القرية، مرت بحظيرة خنازير السيد هوغ، فقد وضعت الخنزيرة اثني عشر خِنَّوْصًا. فوقفت لتراقبها تركض في الأنحاء، ورأت أحدها يعرج. كان الأصغر بينها والخنانيص الأخرى تدفعه، ولم يستطع الوصول إلى أمه ليرضع.

«إنك تمر بوقت عصيب يا سكوِغلي [عرُّوج]»، قالت السيدة ملعقة وهي تستند إلى السياج وتحمل الخنوص الذي أخذ ينخر نخيرًا عاليًا. عندئذ خرج المزارع لإطعام الخنزيرة، ورفعت السيدة ملعقة الخنوص لتريه له.

«انظر يا سيد هوغ، هذا الخنوص كسرت ساقه!».

«حقًّا!»، قال السيد هوغ، «حسن، سنتناول على الغداء يوم الأحد خنوصًا مشويًّا».

وتقدم ليأخذ الحيوان منها لكنها قالت: «أوه كلا، عيب عليك!»، وتشبثت بالخنوص الذي أخذ ينخر نخيرًا هادئًا.

«وماذا أفعل به سوى ذلك؟ ستقتله الخنانيص الأخرى إن تركته في الزريبة»، قال السيد هوغ.

«سأشتريه منك وأطعمه بيدي»، قالت السيدة ملعقة، رغم تساؤلها من أين ستدفع ثمنه.

«سأعطيه لك بكل سرور يا سيدة ملعقة، ما دمتِ ترين أنك قادرة على مساعدته»، قال السيد هوغ.

شكرته السيدة ملعقة وعادت إلى البيت حاملة الخنوص، وهناك وضعت جبيرة خشبية على ساقه المكسورة، وأعطته قدرًا جيدًا من الحليب والعصيدة وأنامته في الصندوق تحت الموقد إلى جانب الهريرة.

عاد السيد ملعقة إلى البيت ودُهش لسماع نخير من تحت الموقد، لكن السيدة ملعقة أوضحت له بسرعة أن الخنوص هدية من السيد هوغ.

«لن يكلفنا إطعامه كثيرًا»، قالت، «فعندنا الكثير من قشور البطاطا وبقايا الطعام، ويمكننا أن نبيعه عندما يكبر».

راقت الفكرة السيد ملعقة، الذي يحب الحصول على مال إضافي، فلم يتذمر.

انسجمت الهريرة ستمبي مع الخنوص سكوِغلي كثيرًا، وقضت السيدة ملعقة وقتًا مسليًا في مراقبتهما.

«الأمور الحلوة تأتي ثُلاثَ»، قالت في نفسها، «ترى ما سيكون الحيوان الثالث؟».

ولم يطل بها الانتظار، فعند نزولها إلى متجر القرية المرة التالية، رأت فيه رجلًا يحمل على ظهره جرابًا، ورأت شيئًا يتحرك في الجراب، لذا لم تستطع إلا أن تسأله لدى خروجهما من المتجر.

«أوه، ليس إلا جرو أود إغراقه»، قال الرجل وهو ينظر شزرًا.

«جرو؟»، تساءلت السيدة ملعقة، «وما الذي فعله المسكين لتغرقه؟».

«إنه أقبح إخوته»، قال الرجل، «وما دام ليس أصيلًا فلم يرغب فيه أحد».

«ليس أصيلًا، ها؟»، أخذت السيدة ملعقة تغضب، «قبيح أليس كذلك؟ وأنت أيضًا لن تفوز بلقب ملك الجمال يا سيد! إن لم ترغب في هذا الجرو فأعطِه لي، سأحرص على أن يحظى ببيت مناسب».

«حسن، حسن، لا تفقدي أعصابك!»، قال الرجل فاتحًا الجراب ومخرجًا منه جروًا صغيرًا ذا لونين أبيض وأسود له أنف أفطس ورقعة على إحدى عينيه. «إنه لك، مجانًا وبلا مقابل!».

وناول الجرو السيدةَ ملعقة وذهب مسرعًا قبل أن تغير رأيها.

أمسكتِ السيدة ملعقة الجرو الصغير المتأوِّه المذعور وربتت عليه: «حسن يا أغلي [قبيح]، لست أدري ما سيقوله السيد ملعقة عن صغيرٍ آخر في البيت، لكني لم أستطع تركه يغرقك، صحيح؟».

وحين عادت إلى البيت وضعته مع الحيوانين الآخرين، فهز ذيله الصغير وصاحب الهريرة والخنوص دون متاعب. تعيَّن على

السيدة ملعقة أن تخبر زوجها باحتفاظها بالجرو حتى تجد له مكانًا، غير أنه لا داعي إلى قلقها، إذ لم ينتبه السيد ملعقة لوجود فرد جديد في العائلة لدى عودته من العمل.

فجلس إلى المائدة وعيناه حالمتان فقال: «أتعرفين يا زوجتي؟ كنت أفكر».

«وفيمَ كنت تفكر؟»، سألته زوجته.

«ثمة أمر لم أَكُنْهُ يومًا وأتمنى حقًّا أن أكونه»، قال السيد ملعقة.

«وما ذاك؟»، تساءلت مفكرة في كل الأمور التي لم يكنها السيد ملعقة.

«رئيسًا لنادٍ أو جميعة»، قال.

«يا سلام!»، قالت السيدة ملعقة، إذ لم يخطر لها أنه سيقول هذا. «أيُّ نادٍ أو جمعية تفكر في رئاستها؟».

«لا أدري، غير أن إيدي إيست أخبرني أن النادي الرياضي يبحث عن رئيس، ومات هاتشت العجوز رئيس نادي الادخار الأسبوع الماضي ثم لديك أيضًا جمعية البيض التعاونية...».

فكرت السيدة ملعقة قليلًا ثم قالت: «أفضل الأمور إقامة حفلة».

«وماذا تعنين بإقامة حفلة؟»، سأل السيد ملعقة الذي لم يحب يومًا دعوة الناس إلى بيته تحسبًا لانكماش السيدة ملعقة.

«أوه، لا أقصد حفلة كبيرة، بل ندعو آل إيست وآل وست –فهو أمين سر نادي الادخار كما تعلم– لشرب القهوة وتناول الكيك ذات مساء. ثم، دعني أفكر، من أعرف في جمعية البيض التعاونية؟ آه أجل، إنه زوج سارا ساوث، لذا سندعوهما أيضًا. ما رأيك في يوم السبت القادم؟».

تحمَّست السيدة ملعقة لفكرة إقامة الحفلة، لكن زوجها بدا مرتابًا، وهز رأسه نافيًا وقال: «ليس قبل أن تعديني بألا تنكمشي».

«لا تكن سخيفًا»، قالت السيدة ملعقة، «تعرف أني لا أستطيع ذلك. لكني أعدك بأن أتوارى عن الأنظار إن انكمشتُ».

«هذا جيد»، قال السيد ملعقة، «ولكن كيف لي أن أعرف مكانك؟».

«إن سمعت صئيّ فأرة ثلاث مرات، ستعرف أنها أنا»، قالت السيدة ملعقة، وحين رأت القلق ما زال باديًا على وجه زوجها، قدمت إليه طبقًا كبيرًا من فطيرة المكرونة المحببة عنده.

«لا تخف»، قالت له، «سيكون كل شيء على ما يرام. يا إلهي! لقد تذكرت؛ إن كنا سندعو كلًّا من آل إيست ووست وساوث، فلا بد من دعوة آل نورث أيضًا».

«لماذا؟ ند نورث ليس عضوًا في أي جمعية أعرفها»، تذمر السيد ملعقة. وتمنى لو أنه لم يذكر الفكرة.

«لا بأس، لقد زرناهم في بيتهم، وهذه فرصة مناسبة لرد الدعوة.

دعني أفكر؛ سيكون الضيوف ثمانية، سأعد كيكة من طبقتين والكثير من الشطائر الصغيرة».

«أعرف شيئًا واحدًا، كل الحيوانات الشريدة هذه يجب أن تخرج إلى السقيفة تلك الليلة».

«كلا قطعًا!»، قالت زوجته. «ستصاب الحيوانات بنزلة برد شديدة! إنها حيوانات مهذبة وستبقى في مكانها؛ تحت موقد المطبخ!».

فتحدد اليوم وقال الضيوف إنهم سيأتون.

قضت السيدة ملعقة النهار بطوله في تنظيف البيت وخَبز طبقات الكيك وصنع الشطائر، ولبست السيدة ملعقة أجمل ثياب الأحد ووقفت عند الباب للترحيب بالضيوف وصافحها الجميع.

«اجلسوا وخذوا راحتكم»، قالت السيدة ملعقة وهي تتحرك بنشاط. وقالت لزوجها الواقف في الزاوية عاجزًا: «هلَّا حرصت على تسلية الجميع يا عزيزي ريثما أذهب وأسخن القهوة؟» ثم اختفت في المطبخ.

يا للسيد ملعقة المسكين! لم يعتَد المجاملات، فلم يعرف من أين يبدأ، بل وقف يراوح قدميه ويحك رأسه حتى سأله السيد إيست سؤالًا لحسن الحظ.

«أستشارك في مسابقة التزلج هذا العام؟».

«ربما»، قال السيد ملعقة جالسًا على كرسيٍّ بجانب السيد إيست. «كنت ماهرًا في شبابي، لكني الآن ما عدت أتمتع باللياقة».

«أوه، لن يطول بك الأمر حتى تستعيد لياقتك!»، أكد له السيد إيست فنسي السيد ملعقة خجله وأخذ يتحدث عن السباقات التي فاز بها وعن سقطاته، والآخرون يستمعون. ولمّا ما عاد لديه ما يخبرهم به انتبه أن زوجته لم تعد من المطبخ.

«اعذروني للحظة»، قال وخرج مسرعًا وهو يخشى أن الأسوأ وقع. ولكن السيدة ملعقة وقفت هناك، بحجمها المعتاد، تضع اللمسات الأخيرة على طبقات الكيك.

«ما الأمر؟»، سألته.

«حمدًا للرب أنكِ ما زلتِ هنا!»، قال السيد ملعقة.

«أنا هنا قطعًا! كل شيء جاهز الآن، أَبقِ الباب مفتوحًا ريثما أحمل الصينية».

سمعا ضحك الضيوف في غرفة المعيشة، ولدى دخولهما وجدا الخنوص قد تسلل داخلًا محاولًا الركض حول الطاولة.

«هل رأيتم يومًا خنوصًا أسخف، يضع جبيرة خشبية؟»، قالت السيدة ملعقة وهي تحمله. «سميته سكوغلي، لكن زوجي يحب الخنازير ولم يسمح لي بالتخلص منه».

دُهش السيد ملعقة لدى سماعه ما قالت زوجته فأخذ الخنزير منها وربت عليه مهمهمًا: «بلى، أنا أحب الخنانيص»، ثم ناوله السيدة نورث التي أرادت وضعه على ركبتيها.

سار كل شيء على ما يرام أثناء جلوسهم إلى الطاولة، فقد استلذ

الجميع القهوة والشطائر الشهية والكيكة ذات الطبقات. أثناء ذلك غيَّرت السيدة ملعقة مجرى الحديث بذكاء للكلام عن الادخار، فقالت للسيد وست: «زوجي مدير بارع، فهو يعرف دومًا مقدار المال الذي ننفقه وفيما ننفقه!»، وهذا صحيح، إذ إنه يقول عادة: «لا» كلما طلبت نقودًا لإنفاقها على شيء عدا الطعام.

قال السيد وست: «حقًّا؟»، وبدأ يسأل السيد ملعقة بعض الأسئلة. ثم أخذا يتحدثان عن شتى الأمور المالية، فلم ينتبه السيد ملعقة لخروج زوجته من الغرفة ثانية. ولَّما رفع نظره ولم يجدها اعتذر من الضيوف بسرعة وذهب للبحث عنها.

لم تكن في المطبخ!

فناداها مذعورًا: «زوجتي! أين أنتِ؟».

«هأنا هنا!»، أجابته بهدوء شديد. كانت في غرفة النوم لتجلب وسادة لظهر السيدة إيست.

«أوه يا إلهي، لا أدري أين أكون ما دمتِ تواصلين الاختفاء هكذا!»، قال السيد ملعقة.

«ليتك تكف عن التذمر وتهتم بضيوفنا»، قالت السيدة ملعقة.

فسمعا عندئذ قهقهات عالية وصئيًا ونباحًا، وحين فتحا باب غرفة المعيشة وجدا السيد نورث والسيد إيست جاثيين على أربع، والخنوص سكوغلي والجرو أغلي يطاردان بعضهما حول الرجلين، والآخرون يضحكون ويصفقون ويحرضونهما.

«إنكما تحسنان تسلية ضيوفكما من غير ريب!»، قال السيد وست الذي لم ينضم إلى اللعب على الأرض بسبب بدانته.

«يحب زوجي الاحتفاظ بالحيوانات»، قالت السيدة ملعقة. «لا أدري ما الذي سيجلبه إلى البيت تاليًا»، ووكزت زوجها وكزة كبيرة لتجعله يقول شيئًا لطيفًا، لكن السيد ملعقة كان مغلوبًا على أمره ولم يجد ما يقوله إلا «أمم، آه!» وقاد الجرو والخنوص إلى المطبخ.

وظنت السيدة ملعقة أن الوقت مناسب للحديث عن الدجاج، إذ قال زوجها إنه يود أن يكون رئيسًا لجمعية البيض التعاونية. فأخبرت الضيوف عن عنايته الشديدة بدجاجاتهما وعن البيض الرائع الذي تبيضه. بل أخبرتهم أنه يعرف كيف يداوي دجاجة عليلة.

استمع زوجها مدهوشًا إذ يعرف جيدًا أن السيدة ملعقة هي من تفعل ذلك وأنه لا يرى الدجاجات إلا لمًما، لكنه لم يستطع إيقافها، وتركها تتحدث حتى نهض الضيوف وقالوا إنه وقت العودة.

«لقد قضينا أمسية جميلة»، قالت نورا نورث وهي تصافحهما عند الباب، وقال الضيوف الآخرون مثل قولها، وحمل لهم السيد ملعقة مصباحًا ليروا طريقهم إلى الدرب.

عاد إلى الداخل بعد أن ذهب ضيوفه بأمان، وأخرج منديله المرقط ومسح وجهه وقال: «إني لسعيد بانتهاء هذا! لست أظن حقًّا أنهم سيُنَصِّبوني رئيسًا لأي جمعية!».

فرد عليه صوت صرير صغير: «انتظر وسترى!».

نظر السيد ملعقة حوله متعجبًا وسأل: «من قالِ ذلك؟».

«پيپ، پيپ پيپ!»، قال الصوت الصغير، فتذكر أنها العلامة التي ستصدرها زوجته إن انكمشت.

«أين تختبئين الآن؟»، سألها، لكنها أرادت إغاظته، فتركته يفتش في أنحاء البيت قبل أن تخبره.

«هأنا ذي!»، نادته أخيرًا من جارور تحت موقد المطبخ. «عزمت على النوم مع حيواناتك الليلة!».

«حيواناتي؟!»، نخر السيد ملعقة، «ماذا حدث لكِ؟ لم أسمعكِ يومًا تختلقين كل هذه الأكاذيب طوال سنوات زواجنا».

«كنت أحاول مساعدتك»، قالت السيدة ملعقة بصوتها الصغير، «والحقيقة أظنني نجحت في ذلك نجاحًا كبيرًا! سمعت ند نورث وهم ينزلون الدرب يقول لزوجته إنه يظن أنكَ الرجل المناسب لمنصب مدير جمعية حماية الحيوانات العاجزة».

«عجبًا!»، قال السيد ملعقة.

«أرجو أنك راضٍ»، قالت السيدة ملعقة، «لقد فعلت ما بوسعي. وسأقول الآن تصبح على خير!» واستكنَّت في الفراش مع الهُريرة ستمپي والخنوص سكوغلي والجرو أغلي.

أما السيد ملعقة، فقد تحققت أمنيته إذ طلبوا منه حقًّا أن يكون

رئيسًا لحماية الحيوانات العاجزة، ومنذئذ غدا رحيمًا بالحيوانات سواء أأحبها أم لم يحبها.

(٣٦)

جولة السيدة ملعقة

١

كان صباحًا صيفيًّا جميلًا، والسيدة ملعقة تقف عند نافذة مطبخها تقشر البصل. أتذكرون السيدة ملعقة؟ إنها العجوز القصيرة التي تعيش على تلة في النرويج ولها عادة في الانكماش إلى حجم ملعقة الشاي في أكثر اللحظات حرجًا.

حسن، ها هي واقفة تقشر البصل، وتنشق بين الفينة والأخرى مثلما يفعل المرء أثناء تقشيره البصل. وكلما انهمر الدمع على وجنتيها مسحته بظهر يدها وتنهدت، إذ لم تكن سعيدة جدًّا.

لكن السيد ملعقة كان سعيدًا، إذ هو في إجازة. دخل من الباب مسرعًا مائل القبعة مبعثر الشعر. ونادى ملوِّحًا بذراعيه: «عندي لكِ خبر سعيد يا سيدة م. خمِّني!».

«خبر سعيد؟»، قالت السيدة ملعقة، «هل وجدتَ لي حيوانًا جديدًا؟»، إذ راودها إحساس بأن البيت فارغ وحزين دون قطة أو كلب.

«كلا، كلا، بل شيء أفضل. خمني مرة أخرى»، قال زوجها. «حيوانات! كيف لكِ أن تكوني عتيقة الطراز هكذا؟ ستكون عقبة أمامكِ إن أردتِ السفر إلى أي مكان، فهي تحتاج إلى من يطعمها ويعتني بها دومًا».

«لكني أحب الاعتناء بالحيوانات فهي مسلية»، أجابته. «ثم إن المرء لا يتسنى له السفر كثيرًا، لذا يسعه القول إنه يود الاعتناء بالحيوانات».

ومسحت دمعة أخرى: «آه من هذا البصل!».

«حسن، أظنكِ من طراز قديم»، قال السيدة ملعقة، «يحسن بالمرء أن يتجول ولا يبقى في مكان واحد طوال حياته».

أضحك هذا السيدة ملعقة: «أقلتَ يتجول؟ وإلى أين ستوصلنا سيارتك الخربة؟ مَن يبقى في مكان واحد هو أنتَ ورأسك تحت غطاء المحرك كل ليلة طوال أسابيع متواصلة!».

«هذه هوايتي»، قال السيد ملعقة. «يجب أن يكون لكل امرئ هواية هذه الأيام. يقولون في الصحف إن على المرء أن يحسن استغلال وقت فراغه».

اشترى السيد ملعقة سيارة قديمة بثمن بخس كما ترون، ومنذئذ وهو يصلحها، ويجلب لها قطعًا جديدة وينظفها ويلمعها.

«ما زلتِ لم تخمني ما لديَّ من أخبار، لذا سأقول لك»، قال، «سنذهب في جولة بالسيارة!».

«أتعني أنكَ أصلحتها حقًّا؟»، لم تصدق السيدة ملعقة الأمر. «وأين سنذهب؟».

«سيقام سباق سيارات في الجانب الآخر من بلوكسبرغ، وهو للسيارات القديمة لذا فكرت في المشاركة بسيارتي، بل قد أفوز بالكأس».

كانت هذه مسألة حساسة عند السيد ملعقة، وعرفت زوجته رغبته الدائمة في الفوز بكأس أو مدالية. كان عندهم واحد في البيت لكنها خبأته في مؤخرة الخزانة، لأنه كأس فازت به في شبابها أثناء عملها في مزرعة، وحصلت عليه لبراعتها في العناية بالماشية. وقد أرادت بشدة أن يفوز السيد ملعقة بواحد أيضًا، فقالت:

«أجل، لنذهب. ستكون الجولة مسلية، ويمكننا أن نتنزه».

«سأذهب وأتفقد المحرك مرة أخرى، كوني مستعدة في غضون نصف ساعة».

فتحركت السيدة ملعقة بهمة ونشاط، إذ تطلعت حقًّا إلى رؤية أماكن جديدة بعد قضاء الشتاء الطويل في البيت. أخرجت سلة النزهات، وسلقت بعض البيض، ولفَّت خبزًا وزبدة وقطعة من لحم الخنزير البارد وقليلًا من الفطائر المحلاة الباقية من ليلة البارحة. وأثناء عملها أَلَّفت أغنية قصيرة لتغنيها في السيارة، وهذه هي على لحن «جمع الثمار في مايو»:

زوجي مولع بالقيادة

القيادة، القيادة،
فهو يقضي أماسيه في إصلاح
سيارته المتداعية.
ها نحن نعلو ونهبط
نعلو ونهبط، نعلو ونهبط
وكل شيء قد تساقط في المقعد الخلفي
من السيارة المتداعية!
لعلي مجنونة لذهابي معه
ذهابي معه، ذهابي معه
ولكنه أوه، لقد أحسن
تزيين سيارته المتداعية!
سنخرج على الأقل في نزهة جميلة
نزهة جميلة، نزهة جميلة
مع السجق والخبز واللحم والدجاج
في سيارته المتداعية!
ثم سنرى المناظر قطعًا
نرى المناظر نرى المناظر
في الوديان والغابات وأعالي الجبال
من سيارته المتداعية!

مرحى!

تذمر السيد ملعقة حين جلبت السلة المثقلة إلى السيارة. «وما حاجتنا إلى كل هذه الأشياء؟ الأفضل أن نشتري المثلجات طوال الطريق، ثم إن هناك مقاهيَ كثيرة حيث يمكننا تناول النقانق والكتشب». وقد أَحبَّ أن يظهر معرفته بما يفعله السائحون حين يذهبون في رحلة بالسيارة.

«المثلجات لا تغني من جوع»، قالت السيدة ملعقة، «ولا أثق بالمقاهي»، ثم ألقت بِسَلتها على المقعد الخلفي وصعدت السيارة.

صعد السيد ملعقة إلى مقعد السائق، وقبل أن يشغِّل المحرك فكر ثانية: «لن تنكمشي أثناء جولتنا، أليس كذلك؟».

«أوه كُف عن لغوك!»، قالت السيدة ملعقة وهي تستقر في مقعدها. «تعرف أني لا أدري متى يحدث هذا. إن حدث فليكن وأنا أتدبر أمري دومًا، صحيح؟ شغل السيارة يا سيد م. إنني أتحرق شوقًا إلى هذه الجولة!».

فانطلقا، وقاد السيد ملعقة في البدء بحذر شديد على الطريق الريفي الصغير. وحين وصلا الطريق الرئيس بسطحه الأسفلتي المُعبَّد، وضع قدمه على دواسة الوقود وسارت السيارة تطن بسرعة مناسبة. وأخذ السيد ملعقة يصفِّر، وهو يفعل هذا دومًا حين يكون سعيدًا.

«هذه هي الحياة!»، غنَّى. «كنت أتسكع طوال هذه السنين

بحصان عجوز وعربة قديمة، دون أن أذهب إلى أي مكان أو أرى أي شيء».

«لا أدري»، قالت السيدة ملعقة، «كنت تتنقل جيدًا على دراجتك؛ مسرعًا سرعة تكفي لدقِّ عنقك!».

«أجل، ولكن فكِّري في مزايا السيارة؛ أربع عجلات، ومقاعد مريحة ومكان كبير للأمتعة وسقف يحمينا من المطر».

«والكثير من المال أيضًا»، أجابته السيدة ملعقة، «والكثير من الوقت لإصلاح الأعطال. ومتى يتسنى لك الوقت لتسليك المصرف أو مساعدتي في زرع البطاطا؟».

«كُفي عن الشكوى واستمتعي!»، قال السيد ملعقة وقد أبطأ عابرًا جسرًا صغيرًا، على جانبه الآخر يقع كشك صغير يبيع المثلجات.

«انظري، ألم أقل لك إن بوسعنا شراء المثلجات؟»، قال السيد ملعقة. «سأذهب وأشتري لكِ واحدة». فقفز مترجلًا من السيارة وذهب إلى الكشك ليشتري قرن بوظة بكرتين من الـڤانلا للسيدة ملعقة. «سيعدل هذا مزاجها»، قال لنفسه وهو يعود به إلى السيارة. وفي منتصف الطريق ألهاه صوت هسهسة في العشب قرب قدميه.

«أوپس!»، قال وأوقع المثلجات الجميلة!

وما كان أمامه إلا أن يعود ليشتري آخر. ودفع المال وأعطته الفتاة قرنًا آخر كبيرًا مثل الأول. وعاد حاملًا القرن وكرته الكبيرة ثابتة أعلاه. وحين مرَّ بالمكان الذي أوقع فيه القرن الأول، ارتكب

خطأ بنظره إلى الأسفل. أتعرفون؟ كان قرن البوظة يتحرك على الأرض! أوقع السيد ملعقة المسكين القرن الثاني على الأول وطار عائدًا إلى الكشك. كان واثقًا بوجود أفعى في العشب، وهو يخاف كثيرًا من الأفاعي. مكتبة .. سُر مَن قرأ

لدى عودته إلى الكشك وجد ملء حافلة من السائحين قد اصطفوا للحصول على المرطبات واضطر السيد ملعقة إلى الوقوف آخر الصف.

وما الذي يحدث في العشب حيث كان قرنا البوظة يبقبقان ويفوران مثلما تفور العصيدة؟ لقد خمنتم: كانت السيدة ملعقة تحتهما! لقد خرجت من السيارة لتمدد ساقيها، ثم فجأة انكمشت إلى حجم ملعقة الشاي!

وها هي في طريق السيد ملعقة، كانت خائفة أن يطأها بقدمه فأصدرت صوت فحيح كالأفعى، ولم تدرِ إلا أنها غدت تجاهد لتحرير رأسها من برودة المثلجات ومزيجها الدبق! وإذ تمكنت من التقاط أنفاسها، طراخ! غطتها كرة أخرى من المثلجات كبيرة وباردة ولزجة كالأولى!

لم تدرِ السيدة ملعقة المسكينة ما تفعل، ولم تتمكن من شق طريقها وحدها. «سأتجمد حتى أموت»، قالت لنفسها بائسة، ثم شعرت أن وزن المثلجات غدا أخف، وأخرجت رأسها منه.

«هذا أحسن!»، قالت.

«هذا جيد جدًّا!»، قال صوت قربها، ووقفت هريرة صغيرة تلعق قطع المثلجات وتخرخر.

«يا لكِ من بسة جميلة ذكية صغيرة!»، قالت السيدة ملعقة وهي تمسح المثلجات عن وجهها.

«أممم، لا أستطيع القول إنكِ جميلة بالمثل لكن طعمك لذيذ جدًّا»، قالت الهريرة. «أكلُّك مصنوع من المثلجات؟أعني أيمكنني أكلك؟».

«كلا قطعًا!»، قالت السيدة ملعقة، «مصنوعة كلي من المثلجات! يا لها من فكرة! كلا يا صديقتي، لست إلا امرأة عادية معظم وقتي. لكني أنكمش بين الفينة والأخرى لأكون بهذا الحجم. إن فكرت في الأمر، فإني لا أمانع أن تلعقي لتنظفيني، اخدمي نفسك!».

وشرعت الهريرة في العمل بحماس شديد، وكانت بارعة جدًّا حتى صاحت السيدة ملعقة بها لتتوقف.

«إنني بالغة الحساسية كما ترين»، قالت السيدة ملعقة ضاحكة، «قطة تلعقني؛ لم أتصور هذا حين انطلقنا بالسيارة هذا الصباح».

«ألديكِ سيارة؟»، قالت الهريرة.

«سيارة زوجي، ونحن ذاهبان في جولة، أو هذا ما كان حتى حدث هذا الأمر. أين تسكنين؟».

رفعت الهريرة رأسها: «لا مكان حقًّا. أعيش في حظيرة مع أمي، لكن جاء ناس واختاروني. أخذوني إلى بيتهم وأعطوني طعامًا

وفيرًا؛ وهناك عرفت طعم المثلجات. اعتادوا ملاعبتي وفي الليل يضعوني في سلة صغيرة. كانت حياة رائعة!».

«وماذا حدث بعدئذ؟».

«لم يكونوا من أهل المكان، بل جاؤوا لقضاء الإجازة. وحزموا متاعهم البارحة فجأة، وأقفلوا باب البيت وركبوا سيارتهم وانطلقوا. ظننت أني ذاهبة معهم، غير أنهم نسوا أمري تمامًا، إذ لم يكلفوا أنفسهم عناء الالتفات والتلويح لي مودعين».

«فهمت»، قالت السيدة ملعقة وهي تفكر. «أليس عندك بيت الآن؟».

«كلا»، قالت الهريرة، «لا أحد يطعمني أو يلعب معي أو يناديني ليلًا. لم أذقْ شيئًا منذ البارحة، حتى وجدتك أنت والمثلجات». ولعقت بطرف لسانها الخشن عن أذن السيدة ملعقة آخر ما بقي من المثلجات.

«أحسنتُ صنعًا إذ انكمشتُ اليوم»، قالت السيدة ملعقة، «يجب ألا يسمح لأناس كهؤلاء باقتناء الحيوانات. إن الحيوانات ليست لعبًا للأطفال يرمونها متى سئموها. ولم يطلبوا من الجيران الاعتناء بكِ أيضًا!».

أخذ الغضب يستبد بالسيدة ملعقة، شأنها دومًا حين ترى حمق الناس وقسوتهم على الحيوانات.

كانت الهريرة تنظر إليها ورأسها مائل: «أيسعكِ أخذي معكِ

لأكون بستك؟ أنت محبة للحيوانات، أليس كذلك؟ ويمكنك أن تتكلمي لغة القطط».

«حسن»، قالت السيدة ملعقة. «أمامنا عقبة أو اثنتان. زوجي ليس محبًّا للحيوانات وخصوصًا الصغار منها. أما فهم لغة القطط، فلا يسعني فعل ذلك إلا عند انكماشي».

«أستعودين إلى حجمك المعتاد؟».

«لا أدري».

«أسأخاف منك إن عدتِ إلى حجمك؟».

ضحكت السيدة ملعقة: «لا أظن ذلك. ولكن إن استطعتِ حملي على ظهرك إلى تلك السيارة القديمة هناك، فقد أعود إلى حجمي».

«سأحاول. اصعدي!».

صعدت السيدة ملعقة إلى ظهر الهريرة، لكنها كانت ثقيلة جدًّا عليها.

«ربما أستطيع سحبك بتنورتك»، قالت مقترحة.

«لا أمانع ما تفعلين»، قالت السيدة ملعقة وقد استلقت على الأرض وذراعاها تحت رأسها، «اسحبي!».

عضت الهريرة على تنورة السيدة ملعقة وسحبتها بحذر قدر استطاعتها على الدرب، وحاولت تجنب بركة المثلجات والعلب الفارغة والشاروقات التي رماها الناس.

«أرجو أني لا أرُجُك كثيرًا»، قالت الهريرة.

«أبدًا»، أجابت السيدة ملعقة، «أرى منظرًا جميلًا للسماء فوقي وللطيور على الأشجار».

يجدر بنا الآن أن ننتقل لمعرفة ما حلَّ بالسيد ملعقة، فقد تركناه واقفًا في الصف ووقف هناك وقتًا طويلًا طويلًا قبل أن يصل دوره. اشترى هذه المرة أكبر قرن بوظة ومضى نحو السيارة، آملًا ألا يكون صبر السيدة ملعقة قد نفد.

«ماذا لو أنها انكمشت ولم أستطع العثور عليها؟»، قال في نفسه قلقًا لكنه وجدها جالسة، بحجمها المعتاد، في المقعد الخلفي للسيارة حين عاد.

«آه يا ربي! يا لسروري برؤيتك!»، زفر زفرة ارتياح.

«كأني قد ذهبت إلى القمر وعدت!»، قالت.

«حسن، لو أنك انكمشتِ واختفيتِ، لما استنفدتُ كل هذه المثلجات»، ومدَّ قرن البوظة إليها.

«هيا الآن؛ أخبرتكَ أن تكفَّ عن التذمر»، قالت السيدة ملعقة، ووضعت قرن المثلجات بحذر في زاوية السلة.

«ألن تأكليه بعد كل هذا؟»، بدا السيد ملعقة مجروحًا.

«كل شيء في وقته. يجدر بنا استئناف رحلتنا، إن كنت راغبًا في المشاركة في السباق».

«لست متأكدًا من مشاركتي»، قال، «أثناء وقوفي في طابور الكشك سمعت أحدًا يتحدث عن سباق عبر الريف. ولن تكون قيادة السيارة وقتًا طويلًا مثل السباق. أنذهب إلى هناك إذن؟».

«الأمر سيانِ عندي»، قالت السيدة ملعقة، «ما دمنا نقضي وقتًا حلوًا».

ابتسم السيد ملعقة، «ونحن نفعل، أليس صحيحًا؟».

لم يعرف أن السيدة ملعقة تتحدث عنها وعن الهريرة التي اختبأت بمأمن في السلة وتتسلى بلعق المثلجات العملاقة.

٢

كان الطريق مستويًا وقاد السيد ملعقة قيادةً مريحة ثم توقف توقفًا مفاجئًا.

«أسمعتِ شيئًا؟»، سأل زوجته.

هزَّت رأسها نفيًا، واستأنفا القيادة لكنه توقف ثانية.

«ألم تسمعي شيئًا هذه المرة؟»، سأل.

نعم، لم تسمع شيئًا وواصل القيادة. وإذ توقف السيد ملعقة للمرة الثالثة، قال: «لا بد أنكِ سمعتِ الصوت، إنه مثل مواء قطة».

«ربما كانت الكوابح رطبة»، أشارت عليه السيدة ملعقة.

«سألقي نظرة»، قال السيد ملعقة وخرج.

مكثت السيدة ملعقة في مكانها وربتت على الهريرة لتحافظ على هدوئها. ثم سألت زوجها إن وجد شيئًا؛ لكنها تعرف حق المعرفة أنه لا يجدر بها استعجال رجل أثناء تفقده عطلًا في سيارته.

«ليس بعد!»، جاء الجواب من تحت غطاء المحرك.

«ربما ارتفعت حرارة المحرك».

«أجل، أظنني سأجلب بعض الماء من تلك المزرعة على التل». وأخذ دلوًا بلاستيكيًّا أخضر اللون وانطلق يتهادى صاعدًا التل، إذ رأى مضخة في الفناء الأمامي.

كانت المزرعة بعيدة جدًّا، فارتأت السيدة ملعقة أن بوسعها التجول قليلًا مع الهريرة. كانت الهريرة مطيعة، تجري بجانبها، تخرخر وتتمسح بتنورتها.

«صوت خرخرتك أجمل من خرخرة محرك السيارة»، قالت السيدة ملعقة. «أوه، انظري. تلك زريبة خنازير، لنذهب لزيارة الخنازير».

استلقت خنزيرة تتنعم بالشمس وحولها صف كامل من الخنانيص متمددات حولها. استيقظت الخنانيص بين الحين والحين، يتدافعن ويتواكزن ويرضعن وينخرن، ثم يعدن إلى النوم.

وحالما انحنت لتربت على الخنزيرة، يا للعجب! انكمشت السيدة ملعقة للمرة الثانية ذلك اليوم! لم يكن هذا بالأمر العادي ولا المتوقع.

كانت محظوظة لأنها لم تقع بين الخنانيص، بل سقطت في رقعة من الحشائش قرب الزريبة.

«هل جُرحتِ؟»، سأل صوت صغير رقيق.

«كلا، لا أظن ذلك، شكرًا لك»، قالت السيدة ملعقة وهي تجاهد للنهوض. «أنا أقع دومًا، كأنما هو من طباعي. أهلًا! ظننت أني أكلم الهريرة، لكني أرى أنك خنزير!».

كان خنزيرًا حقًّا، غير أنه صغير ونحيف جدًّا جدًّا.

«ألستَ من تلك الخنازير؟»، سألت السيدة ملعقة.

«بلى، لكن المزارع أخرجني. يقول إن أمي عندها خنانيص كثيرة ترضعها، وإن عليَّ إعالة نفسي، إلا أن...»، أمال الخنوص رأسه ونظر نظرة حزينة إلى السيدة ملعقة من تحت رموشه البيضاء، «إلا أن يأخذني أحد طيب ويرضعني بالرضاعة».

«يا لكَ من صغير مسكين! ألا يريدك أحد؟».

«لا أحد حتى الآن. يأتون كلهم للنظر إلى أمي والآخرين وهم يرضعون. وإن رأوني هزوا رؤوسهم وذهبوا»، قال الخنزير الصغير.

«إنهم أغبياء وقساة!»، قالت السيدة ملعقة، «إذ يتركون صغيرًا جميلًا مثلك يقضي جوعًا. ليت عندي زجاجة حليب. لو كنت في حجمي المعتاد، لأخذتك معي».

وها هنا تدخلت الهريرة التي وقفت تراقب: «عليك أن تعلم يا پِغي أن السيدة ملعقة ليست دومًا بهذا الحجم، فقد كانت بالغة الضخامة منذ برهة!».

ضحكت السيدة ملعقة: «لعلي أبدو في نظرك ضخمة يا كتي، لكن معظم الناس يسمونني عجوزًا قصيرة. على أية حال، ما نريده الآن أن نصل إلى مضخة المزارع. ثم أستأذنه في أخذك حين أعود إلى حجمي. إن زوجي هناك أيضًا يجلب الماء لأجل سيارته. لكن الطريق طويل جدًّا عليَّ وأنا بهذا الحجم».

«لا أظنني أستطيع حملك»، قال الخنوص، «فقوائمي واهنة كثيرة العجر!».

«سأفعل ما فعلته قبلًا»، قالت الهريرة، «سأجركِ بتنورتك».

«رائع!»، قالت السيدة ملعقة. «انتظرنا هنا يا پغي، قد نغيب بعض الوقت لكننا سنعود».

وانطلقتا كما فعلتا من قبل، والهريرة تجر السيدة ملعقة وتسحبها، وتخبطها فوق العشب والحجارة. كان صعود التل شاقًّا، غير أن الهريرة لم تستسلم حتى وصلتا إلى المضخة، ووجدا عندها دلوًا بلاستيكيًّا أخضر لكنهما لم يجدا السيد ملعقة. لقد دخل ليتبادل الأحاديث مع المزارع حول أعاجيب سيارته، واستغرقا في الحديث حدَّ أنه نسي سبب قدومه؛ أي أن يملأ الدلو بالماء.

أما السيدة ملعقة، التي اختبأت في الدلو لدى خروج المزارع

والسيد ملعقة، فتساءلت إن كان سيتركها هناك. لكن السيد ملعقة تذكر الدلو في منتصف طريق نزوله التل وعاد يركض. ما زال المزارع واقفًا: «لن تسير مسافة بعيدة دون ماء!»، قال لمَّا دفع السيد ملعقة الدلو تحت المضخة وأخذ يضخ الماء.

يا للسيدة ملعقة المسكينة! لم تكن فكرة اختبائها في الدلو ذكية، أليس كذلك؟ فقد أضحت مهددة بالغرق والسيد ملعقة يواصل الضخ والحديث إلى المزارع في آنٍ معًا.

«إن السفر يوسِّع مدارك المرء»، كان يقول، «عليك أن تسافر وترى بعينك البلاد الجميلة التي نعيش فيها. أتعلم أني كلما جلست خلف المقود على طريق طويل سالك أمامي، انتابتني رغبة في الغناء والصراخ...آخ!» وصرخ صرخة عالية وقفز في الهواء!

ظن المزارع أنه يريه ما فعله أثناء القيادة، لكن السيد ملعقة ظل يقفز من حوله، ووقع الدلو من الخطاف واندلق الماء كله. والسيدة ملعقة؟ حسن، لقد خرجت بذكاء من الدلو وتمكنت من التشبث بساق بنطال السيد ملعقة. ثم، وهو لم يزل يتحدث، تسلقت حتى وصلت حمالتيه، وهنالك انزلقت قدمها فركلته، وقرصته أيضًا وهي تحاول ألا تقع. كان هذا سبب صراخ السيد ملعقة؛ فقد ظن نملة تسللت إلى قميصه.

عندئذ خرجت بقية العائلة لتنظر إلى هذا الرجل المضحك الراقص حول مضختهم. ولمَّا رأى ضحكهم ركض نازلًا التل ليجعل السيدة ملعقة تخرج النملة أو أيًّا كان ذاك.

لا أثر للسيدة ملعقة لا في السيارة ولا على الطريق أقصاه وأدناه.

«أوه يا ربي، أوه يا ربي! لقد انكمشت واختفت تمامًا. ماذا أفعل؟» بعد ركضه في المكان وندائه عليها سدىً، تذكر النملة فجأة. يا رب السماء! قد تكون هي! فتحسس جسمه، ولم يعثر على أثرٍ للنملة المقرفة. عليه أن يعود إلى المضخة، فلربما أمكنه سؤال المزارع إن كان قد رأى زوجته. وكيف سيشرح أنها قد تكون صغيرة جدًّا مثل دمية صغيرة؟

ما زالت العائلة بأكملها تقف عند المضخة لدى وصوله، فضحك بشيء من التوتر وقال: «عدت لأخذ دلو الماء».

وراقبوه وهو يضخ الماء، ثم قال: «أوه بالمناسبة، هل رأيتم دمية صغيرة تلبس تنورة مخططة تقع مني؟».

«دمية؟»، قال المزارع. «كلا، لم أرَ دمية، لكني سأسأل زوجتي. أرأيت دمية هذا الرجل المحترم يا كرستينا؟».

«كلا»، قالت زوجته، «لم أرَ دمية، لكني سأسأل ابنتي». واستدارت نحو ابنتها الكبرى وقالت: «أرأيتِ دمية صغيرة يا غيردا؟».

«كلا، لم أرَ أي دمية، لكني سأسأل أختي بريتا التي تصغرني. أرأيتِ دمية صغيرة؟»، قالت غيردا.

«كلا»، قالت بريتا، «لكني سأسأل أختي الصغرى آدا. أرأيتِ دمية صغيرة؟».

«كلا»، قالت آدا، «لكني سأسأل اختي الرضيعة ماغي. أرأيتِ دمية صغيرة؟».

«كلا»، قالت ماغي، «لكني سأسأل أخي الأكبر جاك. أرأيتَ دمية صغيرة؟».

«كلا»، قال جاك، «لكني سأسأل أخي الشرير بن. أرأيتَ دمية صغيرة؟».

«كلا»، قال بن، «لكني سأسأل أخي الطيب جيم. أرأيتَ دمية صغيرة؟».

«كلا»، قال جيم، «لكني سأسأل أخي الحزين فرانك. أرأيتَ دمية صغيرة؟».

«كلا»، قال فرانك، «لكني سأسأل أخي السعيد پيت. أرأيتَ دمية صغيرة؟».

«كلا»، قال پيت، «لكني سأسأل أخي الرضيع جون. أرأيتَ دمية صغيرة؟».

«لا»، قال جون الرضيع، «ما دمية سغيرة!».

«أخشى أننا لم نرَ دميتك»، قال المزارع.

كان السيد ملعقة يقلِّب كفيه وهو يغمغم لنفسه: «لقد أضعتها؛ لقد أضعت زوجتي الحبيبة حقًّا هذه المرة!».

«أَقُلت زوجتك؟»، قال المزارع متعجبًا. «ظننتك أضعت دميتك».

«حسن، كما ترى... الدمية... إه...»، لم يدر السيد ملعقة ماذا يقول.

«إن كنتَ تبحث عن زوجتك»، قال المزارع صافعًا ظهر السيد ملعقة، «فلا تقلق! رأينا عجوزًا قصيرة تلبس تنورة مخططة تركب سيارتك أثناء عودتك إلى هنا، ألم نرها يا كرستينا؟».

«بلى»، قالت زوجته، «ورأتها ابنتي غيردا أيضًا، أليس كذلك؟».

وقبل أن تبدأ العائلة هذرها ثانية، نزل السيد ملعقة التل دون أن ينسى الدلو البلاستيكي الأخضر المملوء بالماء! وعندما وصل السيارة، وجد السيدة ملعقة تجلس وتنتظر صابرة في المقعد الخلفي، وسلة النزهات على ركبتيها.

شعر السيد ملعقة بارتياح شديد، وقبَّلها قبلة كبيرة. لكنه لم يمنع نفسه من سؤالها: «هل... هل انكمشتِ؟».

«لست أدري لماذا تستمر في سؤالي عن هذا الأمر يا سيد م.»، قالت السيدة ملعقة حانقة. «حاول أن تحرك هذه السيارة من باب التغيير!».

اشتغلت السيارة هذه المرة دون متاعب طبعًا، لكن السيد ملعقة ما زال يشعر بحاجة إلى فحصها في مرآب تصليح للسيارات، ولم تجادله السيدة ملعقة، لأنها أرادت دخول المتجر المجاور له. وهنالك اشترت رضَّاعة وحلمة ونصف لتر من الحليب.

«لأي شيء تريدينه؟»، سألها زوجها لدى عودتها إلى السيارة.

«أسئلة! أسئلة! متى ستوصلنا إلى السباق عبر الريف الذي كنت تتحرق شوقًا إلى الاشتراك فيه؟».

«الحقيقة لا أظنني أتحرق شوقًا الآن. فقد أخبرني الرجل في مرآب التصليح عن معرض قريب من هنا فيه ما يسمونه «اختبار القوة». يضرب المرء طبقًا من الحديد بمطرقة كبيرة بأقوى ما يستطيع ويرتفع قرص ليقرع الجرس، كما تعرفين. أظنني أود المحاولة في ذلك. ستحبين الذهاب إلى المعرض، أليس كذلك؟».

«أظن هذا. وقد أجرب الفوز بشيء لنفسي»، قالت السيدة ملعقة.

فانطلقوا ثانية: السيد ملعقة، والسيدة ملعقة، والهريرة والخنوص الذي ظل هادئًا حتى الآن.

٣

ومشت السيارة لبرهة، وظل السيد ملعقة يبحث عن لافتات تشير إلى مكان المعرض. وألّفت السيدة ملعقة من مكانها في المقعد الخلفي أغنية تسليها:

«أعرف هريرة صغيرة
لها فرو لامع وكفوف ببياض الثلج
شاربها المتسخ بالمثلجات ملفوف بخرقة
وهي بأمان في سلتي الوثيرة».

«أحب سماع غنائك»، قال السيد ملعقة، «هذا يعني أنك سعيدة. أعرف اللحن أيضًا لكني لا أتذكر الكلمات».

«لن تتذكرها، فقد أَلَّفتها توًا!»، أجابته. سأغني مقطعًا آخر:

«أعرف خنوصًا ورديًّا صغيرًا
له ذيل ملتف وعينان تلمعان
قوائمه مرتعشة، ولا أحد يسخر منه
وهو يحب الجلوس في صندوقي».

«إنها أغنية مضحكة، وأنت عجوز مضحكة»، قال السيد ملعقة.

«أنت المضحك!»، قالت زوجته. «سأغني الآن أغنية عنك، اسمعها:

«أعرف رجلًا ليس بالعملاق
لكنه ذكي يعتمد على نفسه
قد يقضي حياته في القيادة
لكنه يخشى أن يضيع زوجته!».

«انظري!»، صاح السيد ملعقة وقد أبطأ السيارة.

«أين؟ ماذا؟»، لم تعرف السيدة ملعقة ما يتحدث عنه.

«هذا المعرض. أستطيع ضرب المطرقة الكبيرة الآن... سترين، سأضرب ذاك الشيء حتى الأعلى؛ پنغ! لنرَ»، وترجل ليقرأ اللافتة، «لديهم ألعاب أخرى أيضًا كابتلاع السيف والمشي على الحبل..».

«لو كنت مكانك للزمت الحذر لدى ابتلاع السيف»، قالت السيدة ملعقة وهي تترجل من السيارة وتغلق الباب لتبقي حيوانيها في الداخل. «إنك تثير جلبة كبيرة إن علق في حلقك عظم من سمك الرنجة!».

«يا سخيفة! إنهم محترفون! حسن، سأذهب من هذا الاتجاه إلى المطرقة الكبيرة. لماذا لا تذهبين لرؤية حيوانات السيرك؟ يقولون إنها ذكية بقدر الإنسان».

كانت الأصوات بديعة؛ أنغام الأرغن تعلو من دوَّامة الخيل، وصراخ الناس من العجلة الدوارة، وخشخشة سيارات المراوغة، وصياح أصحاب الأكشاك وهم يحاولون تبادل الأحاديث.

شعرت السيدة ملعقة بالضياع، وتساءلت أين تذهب. وعزمت على شراء مثلجات ثانية للهريرة وعلبة حليب للخنوص الجائع. كان ينام نومًا هادئًا في صندوقه منذ أن أعطته الرضعة الأولى، لكنه سيستيقظ قريبًا وقد ينخر ويُفتضح أمره.

شعرت السيدة ملعقة لدى وصولها الكشك بالأعراض المشؤومة، ولم يتسنَ لها الوقت إلا لقول: «ليس ثانية!»، فقد انكمشت وتدحرجت على الأرض والأحذية والجزمات الكبيرة تطأ الأرض من حولها.

كانت خائفة! فالخطر محدق من كل صوب، وبلغت بها الحيرة كل مبلغ؛ أتحاول التشبث بساق بنطال أحدهم؟! قبل أن تتمكن من

فعل ذلك، حُملت بتنورتها وأُبعدت عن موطئ الأقدام. وأيًّا كان ما حملها، فقد ركض بسرعة شديدة جعلت السيدة ملعقة تتأرجح من جانب إلى جانب وانقطعت أنفاسها تمامًا. حاولت أن تصرخ: «دعني!» لكنها أدركت أن حملها بعيدًا عن درب الأذى أفضل لها. في نهاية المطاف، وخلف خيمة كبيرة، وقف أيًّا كان وشعرت أنها تنزل على العشب بحذر. ورفعت ناظريها فرأت حيوانًا ذا فرو له أذنان لينتان سوداوان وشارب كبير يقف فوقها.

«أهلًا»، قالت، «وماذا تكون؟».

«أوه»، قال الحيوان، «أنا لست إلا أنا!».

ضحكت السيدة ملعقة «فهمت! كان عليَّ أن أعرف! إنك جرو من غير شك. لعلك أحد كلاب السيرك الذكية المدربة على الألاعيب؟».

«لن يدربني أحد على الألاعيب!»، رد الجرو هازًّا أذنيه اللينيتن بقوة. «أفعل ما أشاء وقضي الأمر!».

«صحيح تمامًا»، قالت السيدة ملعقة، «أنا أفعل ما أشاء أيضًا، إلا حين أنكمش كما أنا الآن، فأُضطر عندئذ إلى الاتكال على مساعدة الآخرين. إن ساعدتني الآن، فقد أساعدك حين أعود إلى حجمي. غير أني أفهم لغة الحيوانات وأنا صغيرة فقط، فإن كان عندك ما تخبرني به فيجدر بك قوله الآن».

قصَّ عليها الجرو حكايته في نبحات قليلة متحمسة. إنَّ صاحبه

هو مدير السيرك، ولكن حين وجده لم يتعلم العدَّ والنباح بسُلَّم فا الكبير، طرده من خيمته.

«لكنك لم تسمعي الأسوأ»، أردف الجرو.

«لنسمعه»، قالت السيدة ملعقة.

أمال الجرو رأسه ونظر إليها نظرة حزينة. «أأنت أصيلة؟»، سألها.

«حسن»، ضحكت السيدة ملعقة، «لم أفكر في الأمر قط، ولا أظنني أبالي إن كنت أصيلة أم لا».

«إن لم يكن الكلب أصيلًا، فهو بلا نفع، هذا ما قالوه لي»، قال الجرو.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«لا عليك! إن لك شاربًا جميلًا».

«يقولون إنه ليس من صفات سلالتي».

«تبًّا لهم ولأصالتهم!»، قالت السيدة ملعقة. «سيكون هذا الشارب ذا نفع كبير، لأننا أنا وأنتَ سنتلاعب بهم جميعًا!».

نظر إليها الجرو بعينين مدورتين كبيرتين، «يا سلام، وماذا سنفعل؟».

«عليك أن تحملني بحذر في فمك مثلما فعلت قبلًا»، قالت السيدة ملعقة، «والآن اقفز في الحال إلى سطح تلك المقصورة!».

كانت قفزة هائلة جدًّا، لكن الجرو وصل بأمان والسيدة ملعقة في فمه. ثم لفَّت السيدة ملعقة شاربه الطويل فوق تنورتها وساقيها،

واختفت خلفه تمامًا. لم ينتبه لهما أحد في بادئ الأمر، ولكن حين سكتت الموسيقى قليلًا شرعت السيدة ملعقة بالغناء فجأة عبر شارب الجرو:

«با با خروف أسود
ها نحن ذاهبون لجمع الثمار في مايو
من الذي قتل الغراب روبن؟
ثلاث فئران عمياء، ثلاث فئران عمياء
تومي تكر الصغير
غنِّ أغنية بستة بنسات
خرج البنات والصبيان ليلعبوا
يرى رأى، مارجري دو».

أليست هذه أغنية من مزيج قديم؟ لكنها أفضل ما استطاعت فعله، وهي معلقة هناك في الهواء. دهش الناس الواقفون حول المقصورة لرؤية جرو على سطحها، ودهشوا أكثر لدى سماعه يغني. انضم آخرون ليشاهدوا، وتوقفت العجلة الدوارة وترك السائقون سيارات المراوغة، بل توقف عرض السيرك بسبب خروج الجمهور لسماع الجرو الذكي يغني.

ظهر مدير السيرك: «مرحبًا!»، صاح، «هذا جروي! تعال يا صغير، تعال يا صغير!» لكن الجرو لم يكترث له، وكل ما استطاع فعله هو الحفاظ على توازنه والسيدة ملعقة في فمه.

«أتستطيع العد حتى عشرة؟»، سأل مدير السيرك، واحد؟» لا رد، «اثنان»، صمت. «ثلاثة؟ أربعة؟ خمسة؟»، دون جواب من الجرو. «إنك تتلاعب بنا، أيها الحيوان العنيد الصغير! ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة...».

رأت السيدة ملعقة أن الوقت حان لتلقين مدير السيرك درسًا. فقالت بصوت نباح عالٍ سريع: «أحد عشر، اثنا عشر، ثلاثة عشر، أربعة عشر، خمسة عشر، ستة عشر، سبعة عشر، ثمانية عشر، تسعة عشر، عشرين!».

فسادَ الفزع في الحشد! وقفز مدير السيرك يهتف حماسًا. تدافع الناس لرؤية الجرو فقلبوا المقصورة وسقط الجميع على الجميع! ولما اعتدلوا وتباعدوا وجدوا الجرو قد اختفى. فقد قفز هو والسيدة ملعقة لدى سقوط المقصورة، وركضا نحو السيارة بأسرع ما استطاعت قوائمه الصغيرة أن تحملهما.

عاد السيد ملعقة، فوجد زوجته، التي عادت إلى حجمها المعتاد، تلف شيئًا بمعطف قديم وتبقيه في المقعد الخلفي في السيارة.

كان السيد ملعقة مدهوشًا من الجرو المغني، ولم ينتبه إلى ما تفعله. «كان عليكِ سماعه، فقد غنى أغنية كاملة!».

ضحكت السيدة ملعقة: «دعك من هذا! كلب يغني؟!».

«رأيتُه بأم عيني!»، أكد لها، ثم فكر لحظة وقال: «لدى تفكيري في الأمر، أجد أنها شبيهة بأغنياتك المجنونة!».

«حقًّا؟» بدت السيدة ملعقة مجروحة، «ماذا فعلت بمطرقتك الكبيرة؟».

«بسبب كل هذا اللغط حول الجرو لم تسنح لي الفرصة للمحاولة. على أية حال، سمعت أحدهم يتحدث عن مسابقة للمشي، فقلت لعلي أقود السيارة قليلًا بعدُ وأشارك فيها».

«حسن جدًّا»، قالت السيدة ملعقة متنهدة. أخذت تتساءل إن كانت ستعود إلى بيتها ذلك اليوم، وإن تعيَّن عليهما قضاء الليلة في مكان ما، فماذا ستفعل بحيواناتها؟

لكن السيد ملعقة قاد السيارة سعيدًا، وفي المقعد الخلفي -رغم جهله بذلك- كان أربعة ركاب:

السيدة ملعقة والهريرة، والخنوص والجرو ذو الأذنين السوداوين الليّنتين والشارب الكبير.

٤

أوقف السيد ملعقة السيارةَ بعدما قطعوا بضعة أميال.

«لا أدري ما الخطب»، قال، «لكن يخيل إليَّ أن السيارة ثقيلة من الخلف. ربما تسرب الهواء من العجلات، أحسب أن الأفضل نفخها قليلًا. وعليك أن تنزلي أثناء ذلك».

لم تعجب الفكرة السيدة ملعقة، وإن بدأ زوجها البحث في مؤخرة السيارة، فقد يجد الحيوانات.

«لا رغبة لي في النزول الآن»، قالت. «ألا يسعنا الانتظار حتى نصل محطة الوقود القادمة؟ يمكنهم أن ينفخوها لك».

«أظن ذلك»، قال وواصل القيادة. غير أنه سرعان ما أخذ يتذمر مرة أخرى: «لماذا لا يمكنك الجلوس بهدوء؟ إن لم يكن في المقعد الخلفي متسع لكِ فتخلصي من بعض هذا الطعام».

لم يعلم أن الطعام قد أكله الخنوص والهريرة والجرو منذ وقت طويل.

«إن كان لا بد من التخلص من شيء، فهو ليس الطعام!»، قالت السيدة ملعقة غاضبة. «إن لم تستطع سيارتك حمل راكب واحد يا سيد م. فبوسعي النزول ويمكنك الذهاب وحدك!».

كان هذا ذكاء من السيدة ملعقة، فأشد ما يكره صاحب السيارة الفخور أن ينتقد أحدٌ سيارته الجميلة.

«ابقي حيث أنت!»، قال السيد ملعقة. «ليس الوزن مشكلة، بل الأصوات الغريبة التي أسمعها من الخلف. لا بد أن أعرف سببها».

«أوه يا ربي!»، تنهدت السيدة ملعقة، «لا بد أن هذا غنائي. كنت أؤلف أغنية، ليست أغنية حقيقية كما ترى، فأنا لم أغنِّ يومًا في جوقة مثلك..».

ابتهج السيد ملعقة لدى سماع كلمة «جوقة»، إذ كان بارعًا في الغناء مع جوقة في شبابه.

«هذا صحيح يا عزيزتي»، قال، «لم نولد جميعنا بأصوات جميلة.

ولكن واصلي وغني، فلا شيء كالغناء يبهج الروح ويجعلنا نفكر في مباهج الربيع!».

«لا أعرف كثيرًا عن مباهج الربيع»، غمغمت السيدة ملعقة، «إنها أغنية شبيهة بأغاني المزرعة. لكنك طلبتها:

الكلاب مسلية جدًّا
عندما تركض وتقفز
ولكنها حين تبدأ النباح
فلن تنال إلا صفعة!
القطط حلوة ولها فراء
ليست في عجلة من أمرها
حتى تبدأ عراكًا
فتضرب وتخمش وتموء!
أما الخنازير الصغيرة
فانظر إليها ترقص رقصة الجغ
وأقدامها الصغيرة تخبط خبطًا
وأخطامها تنخر!».

«سخيفة!»، علق السيد ملعقة. «لم أعرف اللحن هذه المرة!».

«ولا أنا حين بدأت»، قالت السيدة ملعقة. «أرى محطة للوقود هناك».

«جيد»، قال السيد ملعقة. ووقف عند مرآب التصليح وطلب من الرجل أن ينفخ إطاراته، وتمنت السيدة ملعقة أن تلزم الحيوانات الهدوء أثناء ذلك. ولكن لا داعي إلى قلقها، إذ انخرط زوجها سريعًا في حديث مع رجل التصليح عن مسابقة لصيد السمك ستبدأ الساعة الثانية».

«يمكنك إدراج اسمك على اللائحة»، قال الرجل، «ثم سأريك أي طريق تسلكه».

وقَّع السيد ملعقة اسمه ليثبت كفاءته، ثم انطلقوا ثانية، سائرين على درب ضيق عبر غابة. كان المكان جميلًا وباردًا ووصلوا إلى فسحة خضراء.

«قال الرجل إني أستطيع إيقاف سيارتي هنا»، قال السيد ملعقة. وترجل من السيارة وجلب عدة الصيد من صندق السيارة. «ألا تودين القدوم لرؤيتي؟».

«أفضِّل انتظارك لتجلب لي سمكة جميلة من أجل عشائي. سأستلقي على العشب اللطيف وأنظر إلى الأشجار قليلًا».

«إلى اللقاء إذن»، قال السيد ملعقة ميممًا شطر النهر، مفعمًا بالأمل كعادته.

وهتفت له السيدة ملعقة «حظًّا طيبًا!»، وحالما غاب عن ناظريها فتحت السلة لتخرج الهريرة والخنوص وفتحت لفة الجرو الذي حظيَ بغفوة هانئة في المعطف القديم. وخرجوا جميعًا يركضون

على العشب. شعرت الهريرة بالخوف بادئ الأمر فقوَّست ظهرها وصفرت في وجه الجرو، لكن الثلاثة أخذوا يطاردون بعضهم بعضًا. جلست السيدة ملعقة على جذع شجرة في الوسط وابتهجت لذلك. وبعدما ظنت أنهم نالوا كفايتهم من الركض أخذتهم كلهم وأعادتهم إلى السيارة.

«الزموا الهدوء»، قالت لهم. «سأذهب إلى المتجر الواقع على الطريق الرئيس لشراء بعض الطعام لكم»، وأغلقت باب السيارة بإحكام.

كان السير على الطريق الهادئ نزهة جميلة، وساورها شيء من الحزن للعودة إلى الطريق الترابي. لم يكن المتجر بعيدًا لحسن الحظ، وقد كان واحدًا من المتاجر الريفية عتيقة الطراز التي تبيع كل شيء من الرنجة المخللة في البراميل إلى شبكات الشعر والأسلاك الشائكة وشراب السوس. عندما وصلت وجدت كثيرين ينتظرون دورهم، فتمشت خلف المتجر إذ وجدت فناء للدجاج. عدَّت من الدجاجات اثنتي عشرة دجاجة جميلة، ينقرن الرمل ويخربشنه، وفي الزاوية وقفت دجاجة صغيرة بائسة تطرف بعينيها وترتجف. كانت مشعثة بادية النحول، وأسفت السيدة ملعقة لحالها.

«يا للمسكينة! ولكن لا تقلقي، سأخرجك من هذا المكان في الحال، ما دام اسمي ملعقة!».

لم تسمعها الدجاجة الصغيرة، لكن السيدة ملعقة عادت إلى

الداخل واشترت مؤونتها، ثم سألت الرجل القصير خلف منضدة البيع إن كان يبيعها الدجاجة.

«آه، لا حاجة لك بتلك الدجاجة التعسة!»، قال متعجبًا. «إنها لا تحسن وضع البيض، وها هي آخذة في الهرم والتصلب أيضًا».

«ونحن لا نصغر أيضًا»، قالت السيدة ملعقة، «كما أنها لا تجد فرصة لها إن كانت ستلاحَق في الفناء من الصباح إلى المساء». تعرفون أن السيدة ملعقة تغدو عنيدة إن عزمت على شيء، فأذعن الرجل القصير في النهاية. ووجد لها صندوقًا من الورق المقوى ووضع الدجاجة التي شعرت بخوف شديد ولزمت الهدوء التام.

غادرت السيدة ملعقة المتجر حاملة الصندوق تحت ذراع، وسلة الطعام تحت الذراع الأخرى. كان ذاك حملًا ثقيلًا عليها، فأنزلت الاثنين عند وصولها الدرب حتى تبدل مكانيهما وترتاح قليلًا.

«يا إلهي!»، صاحت إذ انكمشت في تلك اللحظة بعينها للمرة الرابعة في اليوم وسقطت مع الدجاجة!

رفرفت الدجاجة وخرجت من الصندوق، خائفة خوفًا شديدًا، لكن السيدة ملعقة تمكنت من التشبث بإحدى ساقيها. فمنع هذا الدجاجة من الطيران بعيدًا.

«أوووه!»، قالت السيدة ملعقة. «قفي بهدوء حتى أركب على ظهرك». كانت الدجاجة توقوق، وأخذت تجري بعدما ركبت السيدة ملعقة على ظهرها بأقصى سرعتها نحو الأحراش حيث علقت بها.

«إنك حمقاء ولا شك!»، قالت السيدة ملعقة عندما خرجتا إلى الدرب ثانية.

«هذا ما يقولونه عني؛ منذ أن ولدت»، قالت الدجاجة حزينة.

ربتت السيدة ملعقة على ظهرها وقالت: «أعتذر إليكِ، لم أقصد أن أجرحك. لا تبالي بما يقوله الناس، فمن الآن وصاعدًا ستأتين للعيش معي وستكونين صديقتي المريَّشة المميزة».

«شكرًا جزيلًا، ولكن هلَّا أخبرتني إلى أين نحن ذاهبتان وكيف سنصل إلى أي مكان وأنت بهذا الحجم؟».

«لا بد من القول إنك محقة. أريدك أن تأخذيني على هذا الدرب حتى نصل سيارة زوجي. فأنا لست بهذا الحجم دومًا، وسأعود إلى حجمي المعتاد في أية لحظة».

«حسن، أرجو أن تسرعي، لأني أرى الثعلب في الأحراش هناك!»، قالت الدجاجة مشيرة بعينيها في ذلك الاتجاه بتوتر. حقًّا! هنالك وقف السيد ثعلوب وكان ينتظر سعيدًا.

«لا تقلقي»، همست السيدة ملعقة، «سأتولى أمره!»، وقالت بصوت عالٍ: «أرى امرأً أعرفه جيدًا قد خرج يتنزه تحت الشمس».

«هذا صحيح. لقد خرجت لأفتح شهيتي من أجل غدائي، وأراني محظوظًا»، ضحك الثعلب، «فهذا غدائي قد خرج يتنزه أيضًا!»، وتأهب للانقضاض على الدجاجة.

«انتظر لحظة!»، صاحت السيدة ملعقة، «لا تكن عجولًا يا

سيد ثعلوب. فقد خرجت أقدم الدعوات لنزهة، وبوسعي دعوتك أيضًا، بشرط أن تحسن التصرف كرجل مهذب».

«مضحك جدًّا!»، قال الثعلب مظهرًا أسنانه. «لقد ظننت قطعًا أن بوسعك خداعي مثلما فعل ديك صغير ذات مرة حين جعلني أغسل كفوفي قبل الأكل. أعرف هذه الخدعة!»، ووضع كفًّا على الدجاجة التي ارتعدت أوصالها.

غير أن السيدة ملعقة حافظت على هدوئها وقالت: «لستُ أحاول خداعك. إن تركتَ الدجاجة في الحال أعدك أني سأقدم إليك طعامًا أشهى بكثير من هذه الدجاجة الهرمة القاسية اللحم. لكني أريد منك أن تحمل سلة مشترياتي من البقالة إلى تلك السيارة في الفسحة، ثم تعود لأخذي أنا والدجاجة».

«أوه لا!»، وقوقت الدجاجة وهي أكثر خوفًا من ذي قبل.

«خدعة أخرى!»، قال الثعلب. «ستكونان قد ذهبتما لدى عودتي. أريد غدائي الآن!»، ووضع كفه الأخرى على تنورة السيدة ملعقة.

«يا لك من غبي!»، قالت السيدة ملعقة. «سمعت طوال حياتي عن ذكاء الثعالب، ولا بد أن هذا كان في الماضي. إن كنت تخشى أن تفقدنا، فيمكن للدجاجة أن تحملني على ظهرها ونمشي بجانبك طوال الطريق».

وافق الثعلب، وحمل السلة في فمه وحملت الدجاجةُ السيدة ملعقة على ظهرها حتى وصلوا إلى السيارة. عندئذ سألت السيدة

ملعقة الثعلب أن يخرج الطعام وأرسلت الدجاجة إلى أعلى السيارة لتجلب مفرشًا بلاستيكيًّا فرشوه على العشب.

«متى تبدأ وليمتك؟»، سأل الثعلب.

«علينا الانتظار حتى يتجمع باقي الضيوف»، قالت السيدة ملعقة. ثم وضعت يدها على فمها وهتفت بكل قوتها: «أأنت هنا أيها القط العظيم مخلب البَبْر؟».

«مياو!»، قال صوت صغير من السيارة.

«ما هذا؟»، سأل الثعلب. «أدعوتِ ضيوفًا آخرين؟».

«أوه أجل!»، أجابت السيدة ملعقة واضعة يدها على فمها ثانية. «أأنت هنا أيها الخنزير البري ذو الأنياب المضرجة بالدم؟»، نادت بأعلى صوت.

«يا رب السماوات! أهنالك المزيد؟» أخذ القلق يستولي على الثعلب.

«انتظر لترَ!»، قالت السيدة ملعقة. «أأنت هنا يا ذا الشارب المعقوف صائد الثعالب؟».

«ووف! ووف!»، أجاب الجرو.

«شكرًا جزيلًا»، قال الثعلب. «لا أرى هذه النزهة تناسبني!».

«أوه هيا! سيسر الجميع برؤيتك»، قالت السيدة ملعقة. «اجلس ومتِّع نفسك. ستجلس الدجاجة بجانبك إن شئت».

«أفضِّل ألا أفعل!»، قالت الدجاجة المسكينة التي لا تثق بالثعلب قيد أنملة.

بدا الثعلب متألمًا. «لقد خدعتني مثلما فعل الآخرون»، قال، لكن السيدة ملعقة هزت رأسها نفيًا:

«كلا. وعدتُك بطعامك، وأنا أفي بوعدي. بوسعك أن تأكل قطعة كبيرة من اللحم وبعض البيض الطازج في السلة وتأخذها. أيرضيك هذا؟».

«كرم بالغ ولا شك»، قال الثعلب واضعًا طعامه في السلة وحاملًا إياها.

قالت السيدة ملعقة إذ همَّ بالذهاب: «لحظة واحدة! شيء آخر. أريد أن تعيد السلة».

«حسن»، قال الثعلب، «إن كنتِ تفين بوعدك، فأنا أفي بوعدي. سأحرص على إعادتها»، واختفى في الأحراش وارتاحت الدجاجة.

عادت السيدة ملعقة إلى حجمها تلك اللحظة، وسرعان ما أخرجت حيواناتها واستمتعوا بطعام نزهة لذيذ على العشب. ولمَّا فرغت من إعادتهم إلى أماكن اختبائهم عاد السيد ملعقة من مسابقة صيد السمك. لكنها رأت من أمارات وجهه أنه لم يجلب سمكة لعشاء الليلة.

«ماذا حدث؟»، سألته.

«أوه»، قال يائسًا. «لم تكن مسابقة بالمعنى الحق. كانت المدة ساعة، غير أني لم أحصل على طُعم. ثم وقع أمر شديد الغرابة».

«وما ذاك؟».

«حسن، أترين هذه السلة؟» ورفع سلة لم تزل مبللة. «أتعرفينها؟».

«هذه سلة نزهاتنا»، قالت.

«صحيح! وما أود معرفته كيف طَفَت في النهر نحوي إن كنتِ هنا، بعيدة تمامًا عن النهر؟» كان السيد ملعقة يحك رأسه بادية عليه الحيرة.

منعت السيدة ملعقة نفسها من الضحك، لكنها قالت «لا علم لي! كيف استعدتها؟».

«لقد طفت مباشرة إلى صنارتي، فعلقتها وأخرجتها».

«إن الحياة مليئة بالمفاجآت أليس كذلك؟»، قالت السيدة ملعقة وهي تعود إلى السيارة. «لنتابع رحلتنا يا سيد م. وإلا فلن نصل إلى البيت اليوم أبدًا».

فأدار السيد ملعقة السيارة خارجًا من الفسحة الصغيرة وقادها مع السيدة ملعقة والهريرة والخنوص والجرو والدجاجة كلهم في المقعد الخلفي.

٥

ما كادوا يتقدمون بضعة أميال حتى وضع السيد ملعقة قدمه على الكابح وتوقف وقوفًا مفاجئًا.

«ما الأمر الآن؟»، سألت السيدة ملعقة التي غفت إغفاءة قصيرة.

«هذا إعلان عن مسابقة»، قال السيد ملعقة، «أود رؤية ما يقول».

«ألا تظننا قد نلنا كفايتنا من المسابقات اليوم؟ لقد تعبنا وحان وقت العودة».

«تكلمي عن نفسك يا سيدة م. أنا لست تعبًا»، قال السيد ملعقة.

«على أية حال، ليتك لا تدوس الكابح فجأة هكذا، عليك أن تفكر فينا نحن الجالسين في المقعد الخلفي»، قالت السيدة ملعقة.

«نحن؟ ومن نحن؟»، سألها.

«عجبًا.... إه، أنا والأمتعة!»، ارتبكت السيدة ملعقة قليلًا وكادت تكشف السر! لكن زوجها ترجل من السيارة ليقرأ الإعلان، وهذا ما قرأ:

حدث رياضي مثير اليوم

السباق التقليدي الكبير عبر الريف

ينطلق من ساحة سكة الحديد الساعة ٤ مساء.

سيكون المسار كالآتي:

عبور غدير التوت عبر طريق مرسوم سلفًا،

اجتياز النهر الأسود فوق الشلال،

قطع مسافة ١٢ قدمًا من الجرف الأحمر على الضفة الشمالية إلى الصخرة البيضاء على الضفة الجنوبية.

السير نحو خط النهاية عند شجرة التنوب الكبيرة.

الجائزة الأولى كأس فضي.

ستقدم المرطبات.

«يا إلهي!»، قالت السيدة ملعقة عندما قرأ زوجها بصوت عالٍ. «لستَ تفكر في المشاركة في هذا، صحيح؟».

«حسن، لا أدري»، قال، «أود مشاهدته على أية حال».

«وماذا سنفعل نحن أثناء ذلك؟»، سألتْه.

نظر السيد ملعقة إليها، «لقد قلتِ «نحن» مرة أخرى!».

«أوه طيب!»، قالت غاضبة، «تواصل القيادة والتوقف وتضييع الوقت، أعجيب أن ألخبط؟ ماذا سأفعل أنا إذن؟ أجلس في هذه السيارة القديمة المزدحمة؟».

«كلا. ما دمتِ تقولين إنك متعبة، فسأوصلك إلى المحطة وخذي القطار وعودي».

فكرت السيدة ملعقة بهذا مليًّا، ثم وافقت.

«شرط أن تترك سيارتك في المحطة وتعدني ألا تشارك في هذا السباق الغبي»، قالت.

وعدها بذلك وقاد السيارة إلى المحطة حيث أوقفها. أعطى السيدة ملعقة بعض النقود لتعود إلى البيت ثم ذهب إلى الناحية الأخرى من ساحة سكة الحديد ليشاهد صف المتسابقين مستعدين للسباق.

ذهبت السيدة ملعقة إلى مكتب التذاكر بعد أن غاب زوجها عن ناظريها. واشترت تذكرة لنفسها ودفعت لوضع الحيوانات في صندوق خشبي، فيمكنهم ركوب مقصورة الحارس، وساعدها حارس لطيف في إدخال الحيوانات.

«سأبقى معهم حتى يصل القطار»، قالت للحارس وجلست على الصندوق. وحين وصل القطار عند رصيف المحطة، انكمشت السيدة ملعقة للمرة الخامسة ذلك اليوم! كان للصندوق فتحات عريضة بين ألواحه، وسقطت السيدة ملعقة من إحداها على ذيل الهريرة!

«مياو! هذا مؤلم!»، قالت الهريرة.

«إششش! لا ترفعي صوتك»، قالت السيدة ملعقة، «حاولي أن تخبئيني، لا أريد للحارس أن يراني هكذا!».

فبذلت الحيوانات قصارى جهدها؛ إذ لفت الهريرة ذيلها

على ثوب السيدة ملعقة، وبسط الجرو أذنًا على قميصها، ونشرت الدجاجة جناحًا أمام وجهها، أما الخنزير فقد تمدد بجانبها ورفَّ برموشه البيضاء. عاد الحارس وحمل الصندوق إلى مقصورة الحارس، ثم أخذ يبحث عن العجوز. أين ذهبت؟ كان قطارًا صغيرًا، فبحث في كل العربات وسأل مدير المحطة إن كان رآها. لم يكن لها أثر.

غير أن القطار لن ينتظر، فنفخ الحارس صفارته وانطلقوا. كانت الحيوانات سعيدة لأن السيدة ملعقة معها، وقالوا: «نحن محظوظون إذ انكمشت الآن!».

«حسن، يجدر بكم استغلال وجودي بينكم»، قالت لهم. «وبعد حدوث هذا خمس مرات في اليوم لا أظنني سأنكمش ثانية إلا بعد وقت طويل. فإن كان عندكم أسئلة فهاتوها!».

فاصطفت الحيوانات مثل اصطفاف التلاميذ والسيدة ملعقة معلمتهم الصغيرة تقف أمامهم.

بدأت الهريرة: «متى سنصل إلى منزلك من فضلك يا سيدتي؟».

«في وقت العشاء»، قالت السيدة ملعقة جازمة، غير أنها أردفت لنفسها: «كما أرجو»، لأنها تساءلت عمَّا سيحدث لدى وصولهم إلى محطتهم.

«وماذا سآكل؟»، سأل الخنوص.

«لا تقلق، فلديَّ سطل كامل من الجريش الجميل للخنانيص في بيتي»، قالت مطمئنة إياه.

«وماذا عن الكلاب؟»، سأل الجرو، «أيمكنني فعل ما يحلو لي؟».

«من غير ريب!»، قالت السيدة ملعقة. «قصر الحرية، هذا ما ينعتون به بيتي!».

نظرت الدجاجة إليها قلقة: «أسيكون في فنائك دجاجات كثيرة؟ أسينقرنني؟».

«ستكونين دجاجتي الوحيدة والمميزة، ألم أخبرك بذلك؟»، قالت السيدة ملعقة.

صفقت الحيوانات ورفرفت وخبطت بأقدامها وهتفت: «مرحى للسيدة ملعقة!».

وكي تمنعهم من الصخب ولتمضية الوقت عزمت أن تعلمهم أغنية. «استمعوا جيدًا»، قالت. «وغنوا حين أشير إليكم»، وبدأت تغني:

«تعالوا يا أطفال، تجمعوا الآن
ودعونا نصدر أصواتًا مرحة
أولًا كلب ثم قطة
خنزير صغير ودجاجة، صفقوا كلكم!
ها نحن، غنوا كما أغني
أيها الجرو نبحة منك!
ووف ووف! ووف ووف!».

وأشارت إلى الجرو فنبح بصوت عالٍ: «ووف ووف! ووف ووف!».

«ها نحن غنوا كما أغني
البسة الصغيرة، هاتي أغنية! مياو مياو! مياو مياو!».

لم تنتظر الهريرة حتى يُطلب منها بل غنت برفقة السيدة ملعقة: «مياو مياو! مياو مياو!».

«ها نحن غنوا كما أغني
أيها الخنوص أسمعنا!
أوينك أوينك! أوينك اوينك!».

وحين أشارت إليه السيدة ملعقة تحمس الخنوص غاية الحماس فلم يتوقف عن النخير، وتوجَّب على الجرو أن يعضه عضة قوية.

«ها نحن غنوا كما أغني
فزوجتي أسمعينا وقوقة!
كلك كلك! كلك كلك!».

لكن الدجاجة خافت من أصوات الآخرين، ولم تقل إلا «كلك كلك!» خفيضة أول مرة. واستمروا في التمرن، ولدى وصول القطار إلى محطتهم كانوا يغنون غناء رائعًا بحق.

فتح الحارس الباب وحمل الصندوق إلى عربة الأمتعة إلى جانب الكثير من دلاء الحليب. ولمَّا لم يخرج أحد آخر من القطار

نفخ صافرته فتحرك القطار. لحسن الحظ كان اسم السيدة ملعقة وعنوانها مكتوبين على غطاء الصندوق، وحين جاء پيتر بائع الحليب بشاحنته ليأخذ دلاء الحليب رأى الصندوق وظن أن عليه إيصاله مع الحليب. وأنقذ هذا السيدة ملعقة من متاعب جمة، إذ حالما وضع الصندوق على زاوية الطريق المؤدي إلى بيتها وانطلق بشاحنته، وقع ارتطام كبير.

عادت السيدة ملعقة إلى حجمها فانفجرت جدران الصندوق، وتبعثرت الحيوانات وألواح الصندوق في فوضى. يا له من ضجيج! حطت الدجاجة على غصن شجرة، وتدحرج الجرو أسفل التل، وعلق خطم الخنوص في حفرة، ووقعت الهريرة المسكينة في الجدول!

تمالكت السيدة ملعقة نفسها وجمعت الحيوانات سريعًا، فدست الدجاجة تحت ذراع والخنوص تحت الأخرى ونادت الهريرة والجرو ليتبعاها، وصعدوا التل جميعهم إلى بيتها.

«ها قد وصلنا البيت أخيرًا يا صغار!»، قالت وهي تفتح الباب وتنزل الدجاجة والخنوص. مشى خلفها الجرو والهريرة وأخذوا كلهم يستكشفون المكان ليروا شكل بيتهم الجديد.

جلست السيدة ملعقة، إذ كان عندها مشكلة. سيعود السيد ملعقة إلى البيت قريبًا، فكيف ستخبره بأمر الأعضاء الجدد في العائلة؟ وضعت إصبعها على أنفها وفكرت، ثم صاحت: «وجدتها! عندي حل!».

وضعت الهريرة أولًا في السرير وغطتها بلحاف، ثم وضعت الخنوص في الصندوق الخشبي الفارغ قرب الموقد وذرَّت عليه نشارة الخشب. وخبأت الجرو في سلة تحت الطاولة، أما الدجاجة فرفعتها على المكتب. «الزمي الهدوء»، قالت لها، «سأغطيك». ووضعت فوقها غطاء مصباح كبير، ثم أعدت القهوة وخرجت لترى إن كان زوجها قادمًا.

ووجدته هناك، يجاهد لصعود التل بادٍ عليه الحزن فهتفت له ولوحت لتعلمه أنها موجودة. ولمَّا رأى زوجته أشرق وجهه بل ركض ما بقي له من الطريق.

«سعيد لأنك هنا!»، قال مقبِّلًا إياها قبلة كبيرة.

«ولِمَ لا أكون يا سيد م.؟»، قالت السيدة ملعقة. «ما الذي فعلتَه بالسيارة؟».

«لم أستطع عبور السبخة والقفز بها من فوق النهر تمامًا، صحيح؟».

فرفعت السيدة ملعقة يديها في خوف: «أشاركت في ذلك السباق؟ بعد أن وعدتني...؟».

«أعرف. لقد عزمت على المشاهدة فقط، لكنني سمعت حارس السكة يسأل الناس إن رأوا عجوزًا قصيرة كان يفترض أن تسافر بالقطار إلى محطتنا. قال إنكِ اختفيتِ، لذا فكرت في الحال طبعًا أنكِ انكمشتِ!».

«وماذا حدث بعدئذ؟»، سألته.

«حسن، حاولت القفز إلى القطار الذي أخذ يتحرك، لكني لم ألحقه. فتوجهت في الحال إلى غدير التوت. عرفت أنه طريق مختصر وسيستغرق قيادة السيارة على الطريق وقتًا طويلًا».

«أكمل!»، قالت السيدة ملعقة وكلها آذان مصغية.

«كان على الطريق عبر الغدير علامات من أجل السباق وأخذني مباشرة إلى المكان الواقع أعلى الشلال حيث يتعين عبوره. ومشيت بصعوبة حتى وصلت الجرف الأحمر».

جحظت عينا السيدة ملعقة: «لم تقفز قفزة الاثني عشر قدمًا إلى الصخرة البيضاء، صحيح؟».

«بل فعلتُ قطعًا، إذ لم يكن لديَّ طريق آخر!».

«لا بد أنكَ فزت في السباق إذن!»، قالت السيدة ملعقة. «هل أعطوك الكأس؟».

«لم أنتظر شيئًا كهذا، فكل ما شغل ذهني هو الوصول إلى المحطة في الموعد لأنزلك من القطار. لكني تأخرت كثيرًا وظننت أني لن أراك أبدًا».

«سخيف!»، قالت السيدة ملعقة، لكنها مسحت عينيها بمئزرها ونشقت قليلًا. «ادخل واشرب بعض القهوة».

ولدى جلوسه مرتاحًا مع فنجان قهوته ربتت على خده وقالت: «شكرًا على الجولة، لقد قضيت وقتًا ممتعًا!».

فابتسم: «يا لسعادتي! ولم تنكمشي، صحيح؟».

«حسن... إه... بل انكمشت خمس مرات».

«انكمشت خمس مرات؟»، صعق السيد ملعقة.

فعزمت السيدة ملعقة على إخباره بالحكاية كلها. «فزعتُ أول مرة إذ خشيتُ أن تتركني».

«تعلمين أني لا أفعل هذا أبدًا!»، قال السيد ملعقة.

فابتسمت له. «كلا، لن تفعل. ليس لكثير من الناس أزواج طيبون كزوجي. حسن، التقيت هريرة في أول مرة انكمشتُ، فالأسرة التي تملكها قد عادت إلى البلدة وتركتها -هكذا- دون طعام أو مأوى. أتفعل شيئًا كهذا؟».

«كلا طبعًا، هذا أمر شنيع!»، قال السيد ملعقة.

«عرفتُ شعورك. فقلت إنه يجدر بي أخذ الهريرة معي. بستي! بستي! اخرجي الآن لتري سيدك الجديد!».

«مياو!»، قالت الهريرة وأخرجت رأسها الصغير من غطاء السرير.

«حسن! سأكون...!»، قال السيد ملعقة، غير أن زوجته هرعت به إلى المطبخ.

قالت: «في ثاني مرة رأيت خنوصًا، حدث هذا حين ذهبت لجلب الماء من المضخة، أتتذكر؟».

«هذا يعني أنك كنت أنت لا النملة التي تسلقت ساق بنطالي؟».

«أجل. لكن لا تهتم لهذا. طرد الخنوص خارج المزرعة ليعول نفسه، وكان بائسًا فتعيَّن عليَّ مساعدته. أعني أنني لم أقاسِ الجوع يومًا في حياتي، وأنت؟».

«كلا، أحسب أني لم أفعل..»، قال السيد ملعقة وهو يحك رأسه.

«تمامًا، لقد عرفت أنك ستوافق. تعالَ يا بِغي، اظهر أمام السيد ملعقة!»، ومن نشارة الخشب في الصندوق أطلَّت أولًا أذنان زهريتان، ثم خطم صغير زهري، ثم خنوص زهري كامل.

«يا رب السماء!»، قال السيد ملعقة.

«لم ننتهِ بعدُ»، قالت زوجته. «انكمشت ثالث مرة في المعرض. كنت هنالك على الأرض تحت أقدام الناس..».

سد السيد ملعقة أذنيه. «توقفي! لا تخبريني! ستقتلين نفسك في إحدى هذه المرات».

«آه، لكن جروًا ذكيًّا أنقذني، الجرو الذي شهقتم كلكم لسماع غنائه وعده الأرقام».

«لا! أتقصدين أنك أنتِ من فعل؟».

هزت السيدة ملعقة رأسها إيجابًا. «لكن الأهم في رأيي أن يكون ذاك الكلب كلبًا حقيقيًّا وألا يتعلم ألاعيب السيرك، كلبًا يكون صديقًا لك ويحميك».

«أتعنين أن علينا اقتناءَ كلب حراسة؟»، قال السيد ملعقة.

«هذا صحيح، وعندي واحد. اخرج يا جروي! أظهر ذكاءك لسيدك!».

«ووف! ووف!»، نبح الكلب حماسًا وهو يرقص حول قدمي السيد ملعقة.

«انظر لقد صار صديقك»، قالت السيدة ملعقة لمَّا انحنى زوجها ليربت على الأذنين الليّنتين السوداوين ويشد الشارب الطويل.

«كلب مطيع!»، قال.

«رابع مرة حين كنت تصطاد السمك. ذهبت إلى الدكان لشراء بعض الحاجيات، واشتريت دجاجة لأنها لا تبيض».

«لأنها لا تبيض؟» استولت الحيرة على السيد ملعقة.

«كلا، لقد تعرضت لنقر الدجاجات في الفناء، لذا لم تتسنَ لها فرصة حقًّا».

«كلك كلك كلك ألوووووه!»، جاء الصوت من أسفل غطاء المصباح، وأسرعت السيدة ملعقة لتنزعه، فوجدت الدجاجة على المكتب وقد وضعت بيضة كبيرة بنية!

انفجر السيد ملعقة ضاحكًا: «لا بد أنها تعوض الوقت الضائع!».

«لقد باضت من أجلك!»، قالت السيدة ملعقة، «لأنك أطيب الأزواج وأكثرهم تفهمًا، وكل الحيوانات تحبك!».

«انتظري لحظة!»، اعترض السيد ملعقة، «تعرفين جيدًا أنكِ أنتِ مَن تحبها الحيوانات. يجب أن تأكلي البيضة الأولى!».

«لا يهمني ما تقوله، سأقلي البيضة من أجلك!»، وكسرتها على طرف المقلاة والسيد ملعقة يراقبها. وفي الدهن الساخن سقط صفاران ذهبيان!

«هذه الدجاجة تعرف كيف تسوّي الأمور»، قال السيد ملعقة، «يمكن لكل منّا أن يأكل بيضة!».

قالت السيدة ملعقة بعدما فرغا من تناول العشاء: «لديَّ مفاجأة أخرى لك».

فتذمر السيد ملعقة: «أرجو أنه ليس حيوانًا آخر».

«تعالَ إلى الردهة لأريك»، قالت وفتحت الباب. وعلى الطاولة كان كأس فضي لامع. «هذا لك!»، قالت. «لقد فزت به اليوم قطعًا».

«لكنه الكأس الذي فزت به لرعاية الماشية حين كنتِ تعملين في مزرعةٍ أيام شبابك!».

«حسن، أقدمه إليك الآن لأنك بمثل مهارتي في رعاية الماشية!»، أجابته السيدة ملعقة.

«أحسب أننا نستطيع حمله معًا...»، اقترح السيد ملعقة.

«هذه فكرة رائعة. أفكرت بما ستفعله فيما بقي من إجازتك؟»، سألته.

«لم أقرر، لكني لا أظنني سأقود السيارة».

«جيد!»، قالت السيدة ملعقة، «أجد البقاء في المنزل جميلًا أحيانًا. ثم يمكنك إخراج صندوق عُدتك وبناء زريبة للخنوص، وقن للدجاجة ووجار للكلب و..».

«ولا شيء للقطة!»، قال السيد ملعقة حازمًا، لكن الهريرة لم تكترث، إذ تمددت في بقعتها المفضلة؛ أعلى كرسي السيد ملعقة ذي المسندين.

(٣٧)

زائر من أمريكا للسيدة ملعقة

لا تصل السيدةَ ملعقة رسائلُ كثيرة، لكنها فتحت صندوق الرسائل يومًا ووجدت رسالة كبيرة عليها طوابع أجنبية كثيرة. كانت من أختها التي تعيش في سانت پول في مِنِسوتا، في الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا نصها:

أختي العزيزة

إنني في طريقي إلى البلاد القديمة وأود زيارتك. أيمكنك القدوم إليَّ في مطار فورنبو؟ سيسعدني هذا غاية السعادة.

أختك المحبة

مارغرت آن

«يا سلام يا سلام!»، قالت السيدة ملعقة لنفسها، «ستعود أختي المحبة إلى النرويج إذن؟ لا بد أن أربعين عامًا انقضت منذ التقينا آخر مرة، ولم تكن أختًا محبة عندئذ. بقدر ما أتذكر، كنتُ دومًا مَن يقع عليها الظلم، نذهب إلى الدكان وعليَّ أنا الصغيرة حمل السلة أما

الآنسة المتعجرفة مارغرت آن فتقضي الوقت في الحديث إلى الأولاد. وفي المدرسة... لن أنسى ما حييت اليوم الذي قالت إني أرقتُ الحبر على دفترها ولوثتُه. كأني أفعل شيئًا كهذا! وفي مرة أخرى وقعتْ في الغدير وقالت إني دفعتُها. إنْ ذهبنا لقطف التوت سرقتْ سلتي لامتلائها، أما هي فشديدة الكسل ولا تملأ سلتها. ثم...».

لكننا لن نواصل الاستماع إلى كل هذه الأشياء المريرة، إذ واضح جدًّا سوء مزاج السيدة ملعقة ذلك اليوم. ومع ذلك لا بد من ملاقاة أختها في المطار، ولا مناص من هذا!

«سأذهب»، قالت السيدة ملعقة، «ولكن إن ظنَّت مارغرت آن أني سأتزين كرمى لها فهي مخطئة! سألبس بعض الثياب القديمة العائدة إلى أمنا ووشاحًا حول رأسي، وسآخذ مكنستي معي. عندها قد لا تود أختي الأنيقة أن تعرفني!».

جاء اليوم الموعود وركبت السيدة ملعقة الحافلة إلى المطار. كانت رحلة طويلة بحق ودهش الركاب الآخرون قليلًا لدى رؤيتها تركب بثيابها قديمة الطراز حاملة مكنسة.

كان في المطار جمع كبير من الناس، وحملقوا إلى العجوز القصيرة ذات الوشاح والمكنسة. كان بعضهم يتكلم لغات أجنبية، والكل يحمل حقائب سفر ثقيلة ويتدافعون من هنا ومن هناك. حين أعلنت مكبرات الصوت عن قرب هبوط الطائرة القادمة من نيويورك، احتارت السيدة ملعقة ولم تدرِ إن كانت واقفة على رأسها أم قدميها. غير أن هذا ليس مهمًّا، فقد انكمشت في تلك اللحظة!

«أوه يا ربي!»، تأوهت السيدة ملعقة وهي تتدحرج على الأرض الزلقة وكادت تداس بالأقدام، «يا له من وقت مناسب!».

وشعرت في الحال أنها انتُزعت بيد سيدة كبيرة ووُضعت في واجهة زجاجية.

«لا بد أن أحدًا حاول سرقة شيء من الهدايا التذكارية»، قالت السيدة الكبيرة وأقفلت باب الواجهة الزجاجية.

وهناك وقفت السيدة ملعقة بوشاحها ومكنستها! ورأت الناس يخرجون من الطائرة، وبينهم كانت سيدة تعتمر قبعة أنيقة بلون الغزال وعلى معطفها زهور وتلبس ثوبًا يتماشى مع الزهور التي تزين حقيبة يدها الكبيرة، تنظر حولها في قلق. كانت تضع نظارة لها إطار مرصع بالجواهر تتلألأ لألأة ساحرة.

«لا بد أن هذه مارغرت آن»، قالت السيدة ملعقة، وتأكدت بسرعة لأن السيدة سارت قرب الواجهة الزجاجية تكلم نفسها بصوت عالٍ:

«أوه يا ربي، أين أختي؟ يجدر بي الانتظار قليلًا».

وعادت ونظرت إلى الواجهة الزجاجية.

«ربما يحسن بي شراء بعض التذكارات النرويجية لأصدقائي في أمريكا. أوه، يا لها من دمية رائعة! إنها تشبه أمي بهذا الوشاح كما أنها كان عندها مكنسة كهذه أيضًا. لكن الوجه لا يشبه وجهها، أوه كلا، فهذا وجه شكس المزاج!».

كانت السيدة ملعقة تستشيط غضبًا في الداخل: «حقًّا! أتساءل ما ستقوله أمك إن رأتك، وأنت تلبسين هذه الثياب الأمريكية الأنيقة!».

واصلت مارغرت آن الحديث إلى نفسها: «لا بد أن أشتري هذه الدمية لأريها لأختي، ستظنها طريفة جدًّا جدًّا!».

لم ترها السيدة ملعقة طريفة، لكنها تخشبت قدر ما استطاعت حين أمسكتها السيدة الضخمة وأعطتها لمارغرت آن، التي دفعت ثمنها ودستها في حقيبتها الكبيرة. وقبل أن تغلقها تسنَّى للسيدة ملعقة أن ترى الحلي الكثيرة بداخلها؛ بودرة مضغوطة، وأحمر شفاه ومناديل ورقية، ودهان للوجه ودفاتر وأقلام جافة وأقلام رصاص وسجائر... وحالما أُغلق غطاء الحقيبة كادت السيدة ملعقة أن تختنق بفعل الروائح المختلفة وراودتها رغبة قوية في العطاس، لكنها لزمت الهدوء كالفأر حتى استدعت أختها سيارة أجرة.

«سيكلّفها هذا مالًا كثيرًا!»، قالت السيدة ملعقة، «لكني سأحصل على توصيلة مجانية».

مشت سيارة الأجرة ومشت، ولا بد أن السيدة ملعقة غفت غفوة قصيرة، إذ استيقظت فجأة لتسمع أختها تقول: «أيها السائق! توقف عند هذا المتجر من فضلك! لم آتِ إلى البلاد منذ طفولتي، وأود الذهاب لشراء بعض الأشياء لأختي. فقد كانت في صباها مطيعة جدًّا وتحمل مشتريات البقالة عني».

«عجبي!» قالت السيدة ملعقة داخل الحقيبة.

تقدمت مارغرت آن إلى منضدة البيع واشترت بعض السمك المدخن وجبنة الماعز وبعض النقانق النرويجية الحرِّيفة.

«لم أذق هذه الأشياء منذ أربعين سنة»، قالت للبقال الذي كان شابًّا ولا يتذكر مارغرت آن. ووضعت كل ما اشترته في حقيبة يدها فوق السيدة ملعقة المسكينة.

«أف!»، قالت السيدة ملعقة. «سأموت إن مكثت في هذه الحقيبة ذات الروائح وقتًا أطول!».

وإذ همَّت مارغرت آن بالخروج من الدكان سألت البائع عن زجاجة حبر.

«أيها الرب الرحيم! ولأي شيء تريدها؟»، قالت السيدة ملعقة لنفسها عندما أقحمت زجاجة الحبر بجانبها.

ثم سمعت أختها تطلب من السائق أن يذهب إلى المدرسة.

«أريد رؤية الغرفة التي تعلمنا فيها أنا وأختي. حدث هذا من زمن بعيد، لكني أفكر كثيرًا أنني كنت فظَّة حين أخبرت المعلمة أن أختي سكبت الحبر على دفتري».

«فهمت!»، قالت السيدة ملعقة. «زجاجة الحبر عربون صلح. أن تأتي متأخرًا خير من ألا تأتي!».

رأت مارغرت آن غرفة الصف القديمة الصغيرة، ثم طلبت من السائق أن يتوقف خارج القرية حيث جسر يعلو غديرًا.

«ها هنا وقعتُ مرة في طفولتي وأخبرت أمي أن أختي دفعتني».

«لقد ضُربت ضربًا مبرِّحًا لأجل هذا يا سيدتي الأنيقة!»، قالت السيدة ملعقة داخل الحقيبة.

«أود الجلوس على الجسر دقيقة والتفكير في مدى لؤمي. أتظن أختي صفحت عني؟».

ضحك سائق الأجرة: «عجبًا يا سيدتي»، قال، «ستسر لرؤيتك بعد كل هذه السنوات، ولن تكترث لترهات صغيرة من أيام الطفولة!».

«ربما ليست لئيمة جدًّا»، قالت السيدة ملعقة في نفسها.

كانت مارغرت آن تدلِّي رجليها عند حافة الجسر وتحملق إلى الماء حين رأت سمكة كبيرة تسبح فيه. فاستولى عليها الحماس وأوقعت حقيبتها في الغدير!

«النجدة، النجدة!»، نادت السيدة ملعقة والحقيبة تدور ماضية أسفل الغدير. كانت تتدحرج في الداخل هنا وهناك مع الجبن والسمك، والأدهى من ذلك كله، مع الحبر! فقد انفتح الغطاء ولطّخها الحبر. اصطدمت الحقيبة لحسن الحظ بصخرة فانفتحت الحقيبة وألقي بالسيدة ملعقة خارجًا.

تذكرت دروس السباحة التي علمها إياها الضفدع يومًا، فغطست رأسها أولًا لتزيل الحبر، ثم سبحت إلى الضفة ساحبة الحقيبة خلفها.

«لو أني أعود إلى حجمي المعتاد!»، قالت وتحقق الأمر فعلًا هذه المرة.

لم تكن بعيدة عن البيت، فركضت صاعدة التل بأقصى سرعتها ودخلت بيتها.

وصلت مارغرت آن بسيارة الأجرة بعدها بدقائق قليلة، وهنالك وقفت أختها تحييها عند الباب، وهي تلبس ثوبًا جميلًا نظيفًا وشعرها مسرَّح تسريحًا أنيقًا. «أوه حبيبتي! تسرني رؤية أختي الصغيرة بعد كل هذه السنوات!»، قالت مارغرت آن، وطوَّقت عنق السيدة ملعقة بذراعيها.

«صحيح نوعًا ما»، قالت السيدة ملعقة في نفسها، ولم تقل شيئًا سوى: «إنك على الرحب والسعة يا مارغرت آن». رأت سائق الأجرة يبتسم وهو يمضي بسيارته نازلًا التل.

«ادخلي وارتاحي!»، تابعت وقادت أختها إلى الداخل إذ أعدت المائدة بكيكة الفراولة ذات الطبقات والفطائر المحلاة بمربى التوت.

دخلت مارغرت آن تبدي إعجابها بكل ما ترى قائلة إن العودة إلى الديار رائعة. ثم تذكرت حقيبتها الضائعة.

«لقد سقطت من يدي»، قالت للسيدة ملعقة، «وكان الماء يجري سريعًا فاختفت قبل أن نتمكن من إمساكها رغم بذل السائق قصارى جهده. لقد وضعت فيها كل شيء، عدا نقودي، لكن ما

يحزنني يا عزيزتي هي دمية صغيرة قديمة، تلبس تنورة طويلة سوداء ووشاحًا على رأسها وتحمل مكنسة. بدت شبيهة بأمنا؛ لو رأيتِها لمِتِّ ضحكًا!».

«أهذه هي الحقيبة؟!»، سألت السيدة ملعقة وهي تحمل خجلة شيئًا كبيرًا مبتلًّا يقطر منه الماء على الأرض. «لقد خرجت منها... أعني، وجدتها أسفل التل. لكني أخشى أن الدمية قد ضاعت».

«خسارة!»، قالت مارغرت آن، «والحقيبة تالفة!».

جلبت السيدة ملعقة، لتواسي أختها، إحدى الدمى البلاستيكية التي تلبس أحدث طرز الثياب الأمريكية تلبس نظارة مرصعة بالجواهر مثل مارغرت آن. وكم ضحكت كلتاهما! ولمَّا كانتا جائعتين بعد كل هذه المغامرات، جلستا لأكل الفطائر المحلاة والكيكة ذات الطبقات.

«لم أذق شيئًا لذيذًا هكذا منذ أربعين سنة»، قالت مارغرت آن، ثم نظرت إلى السيدة ملعقة وقالت: «إن الأمر لغريب يا أختي، لكني رأيتك دومًا امرأة صغيرة».

تبسَّمت السيدة ملعقة: «أشعر أحيانًا أني صغيرة جدًّا!».

(٣٨)

السيدة ملعقة وطائر الدُّرة[1]

يقع قرب منزل السيدة ملعقة كوخ جميل صغير جدًّا تحيطه حديقة، كما أن له بوابة مزدوِجة جميلة مزينة بالأشجار والزهور وأوراق الشجر، وكل ذلك من الحديد المشغول، مطلية بالأسود اللامع. في أحد جانبي البوابة ضفرت بأوراق الشجر كلمة «بيت» وكلمة «سعيد» على الجانب الآخر. وحين تكون البوابة موصدة فإن الجملة تصبح «بيت سعيد». في الحقيقة يملك المنزل السيد والسيدة سعيد. الاسم الأول للزوجة هو بيلا، ولكن لم يسمع أحد قط اسم زوجها إذ لا يكاد يكلم أحدًا، بل يكتفي بالجلوس تحت المظلة في الحديقة ويقرأ صحيفته. وترى السيدة ملعقة أن «السيد عابس» سيكون اسمًا مناسبًا له.

---

(١) طائر يُعرف لدى العامَّة من العرب باسم عصفور الحب أو عاشق ومعشوق، ولدى عامَّة الغرب باسم الپاراكيت المنزلي المألوف وپاراكيت الترس، وهوأحد أنواع الببغاوات الصغيرة طويلة الذيل آكلة البذور.

يأتي آل سعيد إلى كوخهما في فصول الصيف، لكن السيدة ملعقة تلتقي كثيرًا بالسيدة سعيد. إذ كثيرًا ما تطل عليها طالبة اقتراض قليلًا من الراوند أو كوبًا من الدقيق، أو لتجز بعض الثوم المعمر أو البقدونس. ويحدث هذا كل يوم، وتتبادلان الأحاديث دومًا ثم تقول السيدة سعيد: «لا بد أن تأتي لزيارتي يومًا ما وتري ببكنز إنه عصفور رائع!».

وببكنز هو طائر دَرة تملكه السيدة سعيد، جلبته معها من المدينة، ليستمتع بإجازة لطيفة في الريف.

«إنه يزداد براعة في الكلام»، قالت السيدة سعيد يومًا. «علَّمته قول أربع كلمات. سأدعوك إلى زيارتي يا سيدة ملعقة حالما أكون متفرغة».

لم ترَ السيدة ملعقة طائر درة من قبل، وانتابها فضول لسماع طائر يتكلم، فشكرت السيدة سعيد وتمنت أن تُدعى قريبًا.

لكن الأيام مرت، ورغم استمرار السيدة سعيد في القدوم لاقتراض هذا الشيء أو ذاك مما نسيت شراءه من المتجر، فإنها دائمة الانشغال ولم تدعُ السيدة ملعقة إلى بيتها.

كانت السيدة ملعقة تقطف البازلاء ذات صباح لتعد عشاء لزوجها ووجدت أن عندها الكثير.

«سآخذها إلى السيدة سعيد»، قالت لنفسها. «ولعلها تسمح لي برؤية الدردر – ذاك الطائر. أود حقًّا سماع طير يتكلم».

فلبست أجمل مئزر ووشاح عندها، وملأت البازلاء الحلوة في كيس ورقي وسارت نحو «بيت سعيد». دخلت من البوابة ذات الحديد المشغول، وسارت على الدرب نحو الباب المفتوح. داخل البهو قرعت واحدًا من الأبواب المغلقة، ولم يجبها أحد، لكنها سمعت السيدة سعيد تحادث أحدًا في الداخل.

«هيا يا عزيزي»، كانت تقول، «قل «شكرًا لكِ يا ماما» لتسعد قلبي!».

«هذا طريف!»، قالت السيدة ملعقة، «لم أعلم أن للسيدة سعيد أولاد»، وقرعت ثانية.

«لحظة يا حبي»، قالت السيدة سعيد من الداخل، «ثمة أحد عند الباب»، وفتحت الباب في فرجة صغيرة.

«أوه، هذه أنتِ يا سيدة ملعقة»، قالت خارجة من الباب ومغلقة إياه خلفها. «لطف منكِ أن تزوريني».

«لقد أحضرت لك البازلاء الحلوة من الحديقة»، قالت السيدة ملعقة وناولتها الكيس.

«شكرًا جزيلًا لك، أحب البازلاء الحلوة!»، قالت السيدة سعيد. «ليتني أستطيع دعوتك إلى الدخول، لكني مشغولة الآن مع ولدي الصغير...».

«لم تخبريني من قبل أن لك ابنًا»، قالت السيدة ملعقة.

ضحكت السيدة سعيد «أوه يا إلهي، كلا، أعني پيكنز، درتي

الصغير! إنه كل ما عندي، كما تعلمين، والآن أدربُّه على الكلمات التي يمكنه قولها، فتسمعه صديقاتي إن جئن لشرب الشاي بعد ظهر اليوم. إنهن قادمات من المدينة».

«حسن، سأذهب إذن»، قالت السيدة ملعقة التي أحسَّت بقليل من الخيبة لأنها لم تُدعَ إلى الدخول.

«تعالي غدًا صباحًا»، قالت السيدة سعيد، «واشربي فنجان قهوة وساعديني في تزيين الكيكة».

تذكرت السيدة ملعقة بعدما عادت إلى البيت أنها لا وقت لديها في الصباح، إذ كان يوم الغسيل.

«سأمر لاحقًا وأخبرها أني لا أستطيع القدوم»، قالت لنفسها. ونحو الساعة الثالثة، سارت نحو الكوخ ووجدت الباب الأمامي مفتوحًا هذه المرة أيضًا، فدخلت البهو وقرعت واحدًا من الأبواب الداخلية. ولمَّا لم تلقَ جوابًا، فتحت الباب ووجدت أنها غرفة المعيشة. كانت مُعدَّة لحفلة شاي، وعلى الطاولة مفرش أبيض جميل وطقم خزف أجمل وزَهريَّة كبيرة من الزهور. وعلى طاولة أصغر قرب النافذة رأت قفصًا.

لم تقاوم السيدة ملعقة الرغبة في التقدم والنظر إلى الطائر الأزرق الجميل الذي يتأرجح جيئة وذهابًا على مجثمه. فجلست على الطاولة بجانب القفص وقالت: «أهلًا يا پيكنز، أستتحدث إليَّ؟».

فاكتفى الطير بالنظر إليها.

«لا أصدق أنكَ تتكلم!»، قالت السيدة ملعقة ولدى قولها ذاك انكمشت!

«لستِ تصدقين أنني أتكلم إذن»، قال طائر الدَّرة، لكنه يتكلم الآن لغة الطير التي تفهمها السيدة ملعقة لدى انكماشها.

«حسن»، قالت السيدة ملعقة، «لم أسمعك تتكلم حتى الآن»، كانت تقف على الطاولة وتتساءل كيف ستغادر قبل دخول السيدة سعيد وضيفاتها.

«الحقيقة»، قال الطائر، «لقد جئتِ في اللحظة المناسبة، إذ أود منكِ أن تساعديني».

«أساعدك؟ وكيف أساعدك وأنا لا أدري كيف أساعد نفسي!»، قالت السيدة ملعقة وهي تمشي حول القفص لترى إن كان ثمة شيء يساعدها على النزول، لكنها كانت عالقة!

«أريد أن أحتال على السيدة سعيد»، قال الطائر.

«تحتال يا پيكنز؟ وكيف تحتال؟»، سألته السيدة ملعقة.

«لا تناديني بهذا الاسم الغبي من فضلك. پيكنز! اسمي الحقيقي هو «هذيهيلحياة» ألا تظنينه فخمًا؟»، نفش طائر الدرة ريشه وهو يتكلم ناظرًا من فوق منقاره إلى السيدة ملعقة.

«أوه بلى»، قالت على عجل، «فخم جدًّا!»، وفي سريرتها رأته

يشبه شيئًا يقوله زوجها دومًا إذا لم يربح سباق التزلج: «آه حسن، هذي هي الحياة!».

«ماذا تريدني أن أفعل؟»، سألت الطير.

«سأشرح لك»، قال هذيهيلحياة. «ولكن لا بد أن تسرعي، إذ نزلت السيدة سعيد التل للقاء ضيفاتها. أولًا: هلَّا فتحتِ باب القفص من فضلك؟».

فعلت السيدة ملعقة ما طلب منها وفتحت باب القفص.

«ادخلي إلى الداخل»، أردف الطير ودخلت السيدة ملعقة القفص.

وحالما دخلت وثب الدرة خارجًا بسرعة البرق، وأغلق باب القفص بمنقاره!

«خدعتكِ!»، ترنم مرحًا ورفرف بجناحيه حماسًا.

نظرت إليه السيدة ملعقة شزرًا من خلال القضبان وقالت «لا تتظارف معي! وإلا سأتراجع عن عرضي المساعدة!».

«آسف يا سيدتي!»، قال. «حين أكون حرًّا أفقد صوابي. ولكن لا تغضبي أرجوكِ، واسمعي خطتي». وطار أعلى القفص، وأمسك بالغطاء معلقًا عليه. «سأضع الغطاء»، قال وهو يسحبه برفق فوق القفص بمنقاره، جاعلًا المكان مظلمًا على السيدة ملعقة داخله.

«لن تلاحظ السيدة سعيد أنك في الداخل عوضًا عني. ستود

مني أن أؤدي دوري في الحفلة لتثير إعجاب ضيفاتها، فإن سمعتها تقول: «هيا يا صغيري، قل شكرًا لكِ يا ماما» و«بيكنز سعيد» قولي لها رأيك فيها».

«لكنك لم تخبرني لماذا لا تحبها»، عارضته السيدة ملعقة.

«إنها لئيمة، ومع كل حديثها عن براعتي في الكلام فإنها تتجاهلني. أظل أحيانًا دون ماء عذب أو تنسى وضع الحبوب لي. لكنك ستعرفين هذا قريبًا». ثم طار هذيهيلحياة من النافذة واختبأ في شجرة ليرى ما سيحدث.

جلست السيدة ملعقة مرتاحة على أرجوحة الدرة وسمعت السيدات يدخلن غرفة الجلوس.

«أتظنينه قادرًا على الكلام حقًّا؟»، سمعت إحداهن تقول.

«أربع كلمات، يا سلام!»، قالت ثانية.

لم تدرِ السيدة ملعقة ماذا تفعل، وسمعت السيدة سعيد تعد الشاي في المطبخ، والسيدات يقتربن من القفص أكثر.

«أنسترق نظرة؟»، سألت السيدة الأولى.

«أتظنينا نستطيع؟»، قالت الثانية.

«سنكتفي برفع الغطاء قليلًا»، قالت الثالثة.

فزعق عندئذ صوت صغير من داخل القفص: «لا تلمسي هذا الغطاء!».

«يا للغرابة!»، قالت السيدة الأولى. «لقد قال أربع كلمات بالعدد. يا سيدة سعيد، لقد تحدث إلينا درتك، سمعناه بوضوح».

دخلت السيدة سعيد حاملة الكيك، وكانت مشغولة في تقديم الشاي، فلم تسأل عن الكلمات التي قالها الطائر، بل لم تلحظ أن الغطاء مسدل.

«ﭘيكنزي شديد الذكاء! اجلسن جميعًا وارتحن». فجلسن وأخذن يتحادثن كما تفعل السيدات، ولزمت السيدة ملعقة الهدوء كأنها طائر درة حقيقي تحت الغطاء، لكنها أصغت بعناية إلى كل كلمة تقال.

«لا بد أن أخبركن»، قالت السيدة سعيد بمرح، «عن الجارة الظريفة التي يقع بيتها آخر الشارع. إنها عجوز قصيرة تلبس تنورات طويلة وأوشحة، وتسرح شعرها إلى الخلف مثل تسريحة من زمن جدتي. إنها مضحكة! تأتي متعثرة وتقرع الباب..».

من داخل القفص قال صوت ملؤه الازدراء: «لقد دعوتِها بنفسك!».

لم تدرِ السيدة سعيد ما تقوله لوهلة، لكنها ضحكت ثانية: «أليس ظريفًا؟ أكاد لا أصدق أنه يقاسمنا الحديث، غير أنه لا يعلم ماذا يقول طبعًا. سأجعله يقول اسمه، لكني سأرفع الغطاء أولًا لترينه». ونهضت لتفعل ذلك.

«لا تلمسي هذا الغطاء!»، زعق صوت صغير من داخل القفص.

«هذا ما قاله من قبل!»، قالت إحدى السيدات.

«يا للغرابة!»، قالت السيدة سعيد. «لعل أحدًا آخر علَّمه الحديث حين كنت في الخارج. حسن، لن نهتم لأمره الآن. كنت أحكي لكن عن العجوز المضحكة آخر الشارع، ولها بيت صغير من أغرب البيوت..».

«ليس هذا ما قلتِه حين ذهبتِ لاقتراض الراوند والسكر والبيض والبقدونس وأي شيء آخر نسيتِ شراءه»، والعجوز القصيرة خير مَن يقرضك، أيتها السيدة سعيد المتعجرفة!».

بُهتت السيدات، ونهضت السيدة سعيد وركضت نحو الطاولة لتنزع الغطاء. لكن قدمها انزلقت فوقعت، وألقي بالقفص من خارج النافذة المفتوحة!

صرخت السيدات وأنهضن السيدة سعيد، وأثناء ذلك طار هذيهيلحياة من مخبئه في الشجرة، وفتح باب القفص بسرعة وأخرج السيدة ملعقة. ثم وثب إلى الداخل وأغلقت السيدة ملعقة الباب عليه.

«أحسنت صنعًا!»، قال. «رأيت المشهد بأكمله ولقد أعطيتِ تلك المتعجرفة الدواء الناجع».

لم تزل السيدة ملعقة ترتجف غضبًا. «لن تود استعارة شيء مني بعد الآن! يا لها من جاحدة منافقة..». لكن الوقت لم يسعف السيدة ملعقة لتكمل جملتها لأنها عادت إلى حجمها المعتاد. حملت القفص وبداخله هذيهيلحياة وقرعت الباب الأمامي.

في الداخل لم تزل الأصوات عالية فلم يسمعن قرع السيدة ملعقة فدخلت.

يا له من منظر! كانت السيدة سعيد مستلقية على الأريكة، تتأوه وتمسك برأسها، واثنتان من ضيفاتها ينظفن الثالثة التي انسكب عليها إبريق الشاي بأكمله! لم يرين السيدة ملعقة، فوضعت القفص على الطاولة وقالت: «وجدتُ هذا في الحديقة. أحسب أنه الطائر الذي حدثتِني عنه، الطائر الذي يجيد الكلام».

«خذيه عني يا سيدة ملعقة، خذيه عني!»، تأوَّهت السيدة سعيد. «لا أريد رؤيته بعد اليوم!».

«لكني ظننته أذكى الطيور على وجه البسيطة»، قالت السيدة ملعقة التي منعت نفسها من الابتسام.

«إن ذكاءه أكثر مما أطيق»، قالت السيدة سعيد، «وسأكون مسرورة إن قبلتِه هدية مني، مقابل كل الأشياء اللطيفة التي فعلتِها من أجلي هذا الصيف».

«على الرحب والسعة يا سيدة سعيد»، قالت السيدة ملعقة، «لكني سأسعد بأخذ هذيهيلحياة، أعني پيكنز، إن كنتِ لا ترغبين في بقائه حقًّا».

حملت السيدة ملعقة القفص وخرجت، وسارت على الدرب وعبرت البوابة الجميلة المشغولة بالحديد، فقفز الطائر الأزرق الجميل في الداخل، مكررًا كلمة واحدة مرة بعد أخرى:

«سعيد، سعيد، سعيد، سعيد!».

«وأنا سعيدة أيضًا»، قالت السيدة ملعقة.

(٣٩)

السيدة ملعقة تصبح مُحقِّقة

مكتبة
t.me/soramnqraa

جربت السيدة ملعقة أعمالًا كثيرة، لكنها هذا الخريف جربت شيئًا جديدًا، فقد أصبحت محققة.

تحب السيدة ملعقة الخريف أكثر من أي فصل، وحين يتذمر أحدهم من العتمة والوحشة فيه، فإنها تجيب دومًا بأنه أجمل أوقات السنة، لأننا حينئذ نجني ثمرة العمل الشاق الذي بذلناه في الربيع من حفر وبذر وغرس.

«لكن النهار يغدو قصيرًا جدًّا والليل طويلًا جدًّا!»، يقولون.

«هذا يجعل البقاء داخل المنزل أكثر راحة»، تقول السيدة ملعقة، «ثم لا تنسوا بهجة الأطفال وهم يلعبون لعبة المحققين حاملين في أيديهم المصابيح اليدوية في الظلام».

«طيب، ماذا عن اللصوص وأشباههم؟ إن فرصتهم للسرقة أكبر في هذا الوقت من السنة».

وهكذا مضى الجدل، لكن السيدة ملعقة لم ترد لأن أحدهم

سرق منها وأرادت بشدة أن تلعب دور المحقق. وماذا سرق من السيدة ملعقة في رأيكم؟ البطاطا! منذ سبتمبر، منذ أن بدأت جنيها وجدت زرعات دون بطاطا تحتها، فقد أخرجها أحدهم، انتزع البطاطا ثم أعاد غرس النبتة في التربة لتبدو كأنها ما زالت تكبر. أليست هذه حيلة ذكية؟

لم تعرف السيدة ملعقة منِ الفاعل. لو كانت محققًا حقيقيًّا لاقتفت آثار الأقدام في الطين، بل لرفعت بصمات الأصابع عن أوراق البطاطا. كان بوسعها بناء برج مراقبة سري وحمل السلاح، وحين تقبض على المجرم متلبسًا بالجرم ستقول له: «ارفع يديك!».

كانت غارقة في التفكير على العشاء ذات ليلة في أن تكون محققة إذ قالت: «ارفع يديك!» وهي تمرر وعاء اليخنة الساخنة إلى زوجها، فأوقعه على مفرش الطاولة النظيف من خوفه. ولم تتمكن من توبيخه هذه المرة.

تذكرت بعد العشاء أنها تركت دلو البطاطا المليء في الحقل خارجًا. «يحسن بي جلبه إلى الداخل، وإلا أخذه اللص أيضًا»، قالت في نفسها.

وضعت وشاحًا حول رأسها وجلبت مصباحًا يدويًّا إذ كانت ليلة ليلاء. وخرجت إلى الحقل وأوشكت على الانحناء لحمل الدلو حين سمعت أحدًا يتسلق السياج. فأطفأت المصباح اليدوي وجثت على ركبتيها فوق الدلو حتى لا تُرى.

«سأمسك به هذه المرة!» قالت لنفسها وقلبها يدق بسرعة حماسًا! لكنها غضبت بعد دقيقة، حين وجدت نفسها تتمدد بين حبات البطاطا في الدلو، فقد انكمشت طبعًا.

لم تكن محاولة الخروج من الدلو مجدية، إذ كيف تمشي في كل هذا الطين عائدة إلى البيت وهي بهذا الحجم؟ كما أنها أرادت بشدة أن تمسك باللص! لذا لم يكن عندها خيار سوى الاستلقاء في مكانها وتحاول أن ترى شكل اللص.

أصغت بحذر في البدء، فقد كان أحدهم يتسلق السياج قطعًا. ولكن ما ذاك؟ يبدو أن اثنين آخرين قادمان أيضًا، ولم يكونوا هادئين إطلاقًا! سمعتهم الآن يتهامسون: «انتبهي إلى مكان نزولك!»، هذا صوت صبي.

«عليَّ أن أسحبه من السياج!»، أجاب صوت بنت.

«لقد آلمتني!»، تأوَّه صوت أصغر.

«إششش!»، همس الصبي الكبير، «وإلا عدنا الليلة إلى البيت دون الحصول على حبة بطاطا!».

سمعت السيدة ملعقة قدومهم إلى أحد صفوف الزرع حاملين رفشًا. كما أن لديهم دلوًا يقرقع. توقفت الخطوات، وسمعت الرفش يدخل التربة.

«انظري يا أختاه!»، قال الصبي الكبير، «هذه حبات بطاطا كبيرة ضخمة. أمسكي الدلو!».

أخذت خطوات الطفل الأصغر تتقدم ناحية السيدة ملعقة ثم وجد دلوها.

«تعادا هنا، تعادا هنا!»، نادى بصوت طفولي عالٍ ناسيًا وعده بأن يلزم الهدوء.

«ما الأمر؟»، همس الصبي الكبير. «لا تصرخ!».

لكن الصبي الصغير استمر قائلًا: «كثير من الطاطا في دلو!».

«سأعطيك الكثير من الطاطا في دلو!»، همهمت السيدة ملعقة لنفسها، «سألقي القبض على ثلاثتكم حين أعود إلى حجمي المعتاد».

وبقدر ما أمكنها من هدوء، شقت طريقها تحت الطبقة العلوية من البطاطا حتى لا يراها الأطفال. وفعلت ذلك في الوقت المناسب، إذ جاء الصبي الكبير والبنت لينظرا، وفرحا كثيرًا بلُقية الصغير فحمل الصبي الكبير الدلو ويمم نحو السياج.

«احمل الدلو الآخر»، همس الصبي الكبير لأخيه، «إنه ليس ثقيلًا».

«أنا ساطر! أنا ساطر!» ترنم الصغير الذي لا يحسن لفظ حرفي اللام والشين. «وجدت الكثير من الطاطا!» وتهادى خلف الآخرين، ساحبًا الدلو الخفيف وراءه.

«من حسن الحظ أن الليلة مظلمة»، قال الصبي الكبير وهم يعبرون السياج إلى الدرب، «لا يمكن لأحد رؤيتنا هنا».

ارتجفت البنت قليلًا: «أشعر أني لصة حقيقية في قصة بوليسية»، قالت.

«أنا لصلص»، ردد الصغير.

«لا يحمل اللصوصُ المحققين في دلاء عادة!»، قالت السيدة ملعقة لنفسها. «انتظروا لتروا يا أصدقائي الحلوين!».

وقف الأطفال بباب أخيرًا. ثم قرعوا.ونادوا: «افتحي الباب يا أماه وانظري ماذا جلبنا!».

فُتح الباب وسمعت السيدة ملعقة صوت امرأة يقول: «يا سلام! هذا دلو مليء، سيطعمنا لأيام. سأسخن الماء في القدر في الحال».

«عندي قليل أيضًا!»، صاح الصغير وهو يريها حبات البطاطا الكبيرة في دلوه.

«دلوان! هذا يعني أنكم أخذتم دلوًا ليس لنا. يجب أن يعيده أحدكم بعد تناول الطعام».

«ولكن يا أمي!»، قال الصبي.

«لا جدال في هذا»، قالت أمه بحزم. «ربما كنا فقراء وأخذنا بعض حبات البطاطا بين الحين والآخر، لكني أرجو أن أعوض مالك الحقل قريبًا. سيعود الدلو في الحال!».

ما كادت السيدة ملعقة تصدق ما تسمعه أذناها؛ هذه أسرة تسكن

بالقرب منها ولم تعلم أنهم جائعون. لا بد أنهم جدد في المنطقة، وإلا ساعدهم أحد قطعًا. حسن، ستسمح لهم بأخذ ما شاؤوا من بطاطا من غير شك. لقد نسيت أنها محققة وبحجم الدمية، حين أخذت الأم ترفع حبات البطاطا من الدلو لتضعها في القدر التي تغلي على الموقد.

يا للسيدة ملعقة المسكينة! ماذا تفعل؟

«يا سلام!»، قالت لنفسها وهي تحفر أعمق فأعمق في الدلو لتختبئ. «ها أنا ذي أشعر بالأسى لحالهم لأنهم فقراء، في حين أنَّ عليَّ أنْ أشعر بالأسى لحالي لأني سأُسلق حيَّةً في أية لحظة!».

وضعت كل حبات البطاطا في القدر ولم يبقَ إلا السيدة ملعقة، ولم ترها الأم بفضل ما يغطيها من طين.

لكن الصغير رآها، كان ينظر إلى الدلو ومد يده الصغيرة وحمل السيدة ملعقة.

«قُضيَ الأمر!»، قالت السيدة ملعقة وأغمضت عينيها.

«يا لها من طاطا سغيرة مضحكة!»، قال الصبي الصغير. «سآخدها». وركض بها إلى المطبخ حيث اختبأ خلف الباب. كان الآخرون مشغولين بإعداد الطعام ولم ينتبهوا إليه.

جلس الصغير على صندوق، ووضع السيدة ملعقة بحذر على ركبتيه.

«أنت طاطتي؟»، سألها.

هزت السيدة ملعقة رأسها إيجابًا: «هذا صحيح، أنا طاطتك».

اتسعت عينا الصبي الصغير دهشة. «أأنت طاطا تتحدث؟»، سألها.

«هذا صحيح»، قالت السيدة ملعقة ثانية. «أنا طاطا تتحدث».

«هل آتلتِ [آكلك]؟»، سألها ناظرًا إليها عن قرب.

ارتجفت السيدة ملعقة قليلًا، لكنها تحدثت بهدوء شديد: «لا أظنني سأفعل لو كنتُ مكانك يا صغيري. فأنا لستُ لذيذة الطعم».

نادته أمه عندئذ ليتناول طعامه، فأنزل السيدة ملعقة على الصندوق وقال: «سآتل طعامي الآن. أنت طاطتي المتحدثة -ابقي هنا- سأعود إليت لنلعب معًا».

«حسن يا صغيري»، قالت السيدة ملعقة، «ربما عليَّ الذهاب، لكني سأعود غدًا وسأجلب لك هدية. ما رأيك بهذا؟».

«اجلبي لي طاطا متحدثة أخرى!»، قال وركض عائدًا إلى أمه التي سكبت له غَرفة كبيرة من البطاطا المهروسة.

تساءلت السيدة ملعقة عمَّا ستفعله الآن. إن عادت إلى الدلو وانتظرت من يوصلها إلى البيت، فقد يستغرق الفتى ساعات قبل أن يعود إلى الحقل وسيساورها القلق. عندئذ سمعت السيدة ملعقة صوت خربشة خلف الصندوق وأطلت فأرة.

«أهلًا»، قالت السيدة ملعقة بلغة الفئران.

خرجت الفأرة لتنظر إليها، ولم ترَ السيدة ملعقة يومًا فأرة نحيفة هكذا.

«إن ساعدتِني في الخروج من هنا»، قالت، «فإن عندي في البيت قطعة لذيذة من اللحم المقدد يمكنك أخذها».

نصَّبت الفأرة أذنيها. «أقلتِ لحم مقدد؟ لم نرَ في هذا البيت لحمًا مقددًا منذ وقت طويل».

«لماذا تمكثين في هذا البيت إن لم يكن فيه ما يؤكل؟»، سألت السيدة ملعقة وهي تركب ظهر الفأرة.

«حسن»، قالت الفأرة وقد انطلقت عبر ثقب في الجدار، «لقد قضيت حياتي بصحبة العائلة، ولا أود التخلي عنهم. أعني ماذا سيقول الناس إن عرفوا أن ليس في البيت طعام يكفي لإطعام فأرة؟».

حين وصلتا سفح التل المؤدي إلى بيت السيدة ملعقة، شكرت الفأرة ووعدتها بوضع قطعة اللحم المقدد خلف الصندوق في المطبخ اليوم التالي. ثم عادت إلى حجمها المعتاد ورجعت إلى البيت.

كان السيد ملعقة واقفًا عند الباب الأمامي يمعن النظر في الظلام، فسألها: «أين كنت كل هذا الوقت؟».

«أبحث عن دلو البطاطا»، قالت السيدة ملعقة. «ألا ترى اتساخي؟ كنت أزحف على يديَّ وركبتيَّ في الطين، لكني لم أجد شيئًا».

أأعاد الصبي الدلو؟ أألقت السيدة ملعقة القبض على الأطفال؟ وماذا عن «طاطا» الصغير المتحدثة؟ حسن، كلٍ هذا جزء من حكاية أخرى.

(٤٠)

السيدة ملعقة والبحث عن دبوس الزينة

لا بد أنكم تتذكرون محاولة السيدة ملعقة في أن تكون محققةً بوليسية التي كادت أن تنتهي بتحولها إلى بطاطا مهروسة. لكن في نفسها لم تزل رغبة خفية في أن تكون واحدة من ألمع المحققين الذين ترونهم في الأفلام، الذين يحلُّون كل القضايا في لمحة عين.

لقد عزمت على أن تلقي القبض على لصوص البطاطا، وعوضًا عن ذلك أخذت تزور العائلة كل يوم تقريبًا وباتت تعرف أسماءهم. فلدينا الأم السيدة غري تحاول الحفاظ على البيت. كان ذلك صعبًا جدًّا عليها، لأن زوجها عاطل عن العمل منذ أشهر عديدة وذهب إلى الساحل ليجرب حظه في الحصول على عمل في قارب. وبيتر الذي يبلغ من العمر عشرة أعوام وهو ولد عاقل، وبِتي في الثامنة وبوبي الصغير ذو الأعوام الثلاثة. واصل السؤال عن حبة البطاطا المتحدثة، ورغم أن الآخرَيْن لم يعرفا عمَّا يتحدث، فإن السيدة ملعقة تعرف، فجلبت له ضفدعًا بزنبرك ليلعب به.

كلما زارت آل غري جلبت معها بعض البطاطا، ولم تنسَ الفأرة الجائعة أيضًا، إذ وضعت لها قطعًا من قشرة اللحم المقدد خلف الباب في المطبخ. ولدى عودتها إلى البيت يماشيها الصغار جزءًا من الطريق ويتحدثون في شتى المواضيع.

قالت مرة إنها أضاعت دبوس زينة فضيًّا صغيرًا، أهدي إليها هدية تعميدها.

«أكره أن يضيع»، قالت للصغار، «لأنه كان معي طوال حياتي وهو دبوس جميل صغير جدًّا».

«لماذا لا نصبح محققين ونساعدك في البحث عنه؟»، سأل بيتر.

«أوه نعم!»، قالت بِتي وهي تصفق. «سيكون أمرًا مسليًا!».

«أريد أن أكون محددًا أيضًا [محققًا]!»، قال بوبي راقصًا جيئة وذهابًا.

«أوه، إن الأمر لا يستحق تجشم العناء»، قالت السيدة ملعقة رغم إعجابها بالفكرة في سريرتها.

«هيا يا سيدة ملعقة»، قال بيتر متصنعًا صوت محقق راشد، «أخبرينا أين تتذكرين رؤيتك الشيء آخر مرة».

ابتسمت السيدة ملعقة: «لحظةً، دعني أتذكر. أظن أني وضعته في بيت نورا نورث عندما أقمنا اجتماع النادي هناك الشهر الماضي».

أخرج بيتر ورقة وقلم رصاص ودوَّن هذا.

«تمام»، قال، «متى نبدأ تحقيقنا؟».

«حسن»، قالت السيدة ملعقة، «سأكون مشغولة بالغسيل طوال النهار غدًا، لكننا نستطيع اللقاء هنا عند الرابعة، ولعلي أكون عندئذ تذكرت أين تركته».

«ونحن سنخطط لحملة بحث»، قال پيتر بفخر.

وعد الأطفالُ السيدةَ ملعقة أن يلاقوها قرب شجرة تنوب كبيرة على الدرب الواقع بين بيتهم وبيتها الساعة الرابعة من اليوم التالي، واستبد بهم الحماس لذلك، وخاصة بوبي الصغير الذي واصل كلامه عن «المحددين» حتى وضعته أمه في فراشه.

في الرابعة تمامًا من اليوم التالي التقوا كلهم عند الشجرة. جلبت السيدة ملعقة مصباحًا يدويًا لأن الظلام يخيم بسرعة.

«سنبدأ بالسير في المرج نحو مزرعة نيلي نورث»، قالت. «يخامرني إحساس أنه قد يكون تحت أريكتها. إنها ليست بالمرأة التي تعنى بالترتيب، لكني لا أريد الإساءة إليها بالتلميح إلى أنها لا تنظف غرفتها تنظيفًا جيدًا. لذا أريد منك يا پيتر أن تأخذ هذا المصباح وتضيئه تحت الأريكة وأنا أشغل نيلي بالحديث. احرص على أن تفعل ذلك خلسة، حتى لا تنتبه».

«ماذا عني أنا وبوبي؟»، سألت بِتي.

«عليكما أن تراقبا في الخارج»، قالت السيدة ملعقة.

وساروا عبر المرج، يمشون في صف على الدرب الضيق تتقدمهم

السيدة ملعقة حاملة المصباح اليدوي. فجأة، طار المصباح في الهواء واختفت السيدة ملعقة! أو هذا ما ظنه الأطفال، لأننا نعرف طبعًا أنها انكمشت ثانية! كان المصباح مضيئًا حين نزل، لكن السيدة ملعقة تدحرجت على العشب الطويل، ووجدها بوبي وحملها من ساق واحدة!

«هذه طاطتي التي تتحدث!»، صاح مدليًا السيدة ملعقة مقلوبة.

«أنزلها يا بوبي!»، قالت بِتي، «فقد تعضك!».

«كلا!»، أصر بوبي الذي وضع السيدة ملعقة على يده، «إنها طاطتي المتحدثة!».

لم تستعِد السيدة ملعقة أنفاسها، فقالت بهدوء قدر استطاعتها: «هذا صحيح يا صغيريَّ، لقد رآني بوبي هكذا من قبل».

«يا إلهي، إنها السيدة ملعقة!»، صاح پيتر وبتي معًا. «كيف أصبحتِ بهذا الحجم؟».

«سيستغرق توضيح الأمر وقتًا»، قالت السيدة ملعقة، «لكنه يحدث لي بين الحين والآخر، وفي آخر مرة وجدني بوبي في قعر دلو البطاطا، ولذا فإنه يحسبني بطاطا تتكلم!».

«دعيني أحملك»، قالت بِتي. «سأكون شديدة الحذر».

«أجل، سأشعر بأمان أكبر»، قالت السيدة ملعقة حين كان بوبي يقفز حماسًا وهو يرجها.

«ماذا عن بحثنا؟ أيتعين علينا إيقافه؟»، سأل پيتر.

لم تشأ السيدة ملعقة أن تثبطهم، وقد خطرت لها خطة جديدة، لكنها أخذت وَعدَهم بألا يخبروا أحدًا عن انكماشها.

«عليكم أن ترفعوا أيديكم، كما يفعلون في الأفلام، وتقسموا ألا تتحدثوا عن هذا إلى أي كائن حي».

رفع پيتر وبِتي يديهما وكررا كلمات السيدة ملعقة، أما بوبي الصغير فتوجب إخباره بأنه سينال صفعة قاسية إن قال إنه رأى بطاطا تتكلم!

«والآن»، قالت السيدة ملعقة، «بدلًا من ذهابي للحديث إلى نيلي نورث، أريد من پيتر أن يقرع الباب. حين تفتح عليك أن تقول إنك تجمع المال من أجل -لنرَ- مكب لإطارات السيارات المهترئة. إن قالها سريعًا فلن تنتبه، ولدى ذهابها إلى المطبخ لتجلب لك پنسًا، أشعل المصباح اليدوي ومرره تحت الأريكة في الغرفة الأمامية، وحين ترى شيئًا لامعًا، اجلبه معك. سننتظرك أنا وبِتي وبوبي خلف تلك الشجرة هناك».

وصلوا إلى الطريق الكائن أمام مزرعة نورث وأشارت السيدة ملعقة بيدها الصغيرة إلى شجرة تبعد قليلًا عن البيت.

«تمام!»، قال پيتر وسار بشجاعة نحو الباب، مخبئًا المصباح في جيبه.

انتظر الآخرون في الظلام حتى عاد، ولم يطل غيابه لكن پيتر كان شديد الحماس إذ أقبل عليهم، وكان يحمل شيئًا في يده.

«دعني أره!»، قالت السيدة ملعقة الواقفة على يد بِتي. وضع پيتر الغرض بجانبها وأضاء عليه المصباح.

«أوه يا ربي!»، قالت. «أخشى أنك جلبت الغرض الخطأ. هذا الخاتم الفضي أرسله عم نيلي إليها من أمريكا، وقالت إنها أضاعته يوم الاجتماع».

اكفهر وجه پيتر. «ماذا نفعل الآن؟».

«لن تكون عودتك مجدية، وستجد صعوبة جمة في توضيح الأمر»، قالت السيدة ملعقة. «ضعه في جيبك بينما نذهب إلى بيت سالي ساوث آخر الشارع. هذا مكان آخر أظنني أوقعت فيه دبوسي حين كنت هناك في حفلة العيد الفضي للزواج».

فمشوا نحو بيت سالي ساوث، والسيدة ملعقة في جيب بِتي وواصل بوبي وضع أصابعه ليتأكد أنها هناك.

لم تعرف سالي پيتر حين فتحت الباب له، وقد كانت تعاني من صَمم خفيف، لذا لم تفهم تمامًا ما الذي يُجمع المال من أجله، لكنه بدا ولدًا لطيفًا فدخلت لتجلب پنسًا من صندوق نقودها. أثناء خروجها من الغرفة تسنى لپيتر إضاءة المصباح تحت الأثاث وخلف ساعة الجد. وهناك رأى شيئًا يتلألأ فتناوله ووضعه في جيبه. عادت سالي وشكرها بلطف شديد على الپنس وركض إلى الآخرين المختبئين في الخارج.

«أَوَجدته؟»، همست بِتي.

«أظن ذلك»، قال پيتر مخرجًا الشيء الصغير من جيبه.

رأته السيدة ملعقة وهزت رأسها نفيًا: «آسفة يا پيتر، أخشى أنه ليس هو أيضًا. هذه مدالية تلقتها سالي هدية من زوجها بمناسبة العيد الفضي للزواج. كان شديد الحنق حين علم أنها أضاعتها ذلك اليوم».

بدا پيتر شديد القنوط وقال: «يبدو أن هذه ليست فكرة جيدة، ربما علينا الاستسلام».

«أهكذا يتكلم المحقق الرقيب پيتر غري؟»، سألت السيدة ملعقة التي استمتعت بالبحث حقًّا، رغم أنها لم تكن من يجدّ في العمل! «لنجرب مزرعة إيست، فقد ذهبنا أنا والسيد ملعقة إليها بعد عيد الميلاد لحضور حفلة تعميد الطفل. لقد كنت عرَّابته، فحملت الطفل وأحسب أن الدبوس وقع حين وضعت الصغير في مهده».

«أيمكنني حمل طاطتي المتحدثة الآن؟»، سأل بوبي الذي كان مطيعًا وهادئًا جدًّا لوقت طويل.

«لا بأس، ولكن لا توقعني»، قالت السيدة ملعقة التي تجعَّد شعرها وثيابها لتنقُّلِها من يد ليد.

وصلوا إلى مزرعة إيست ولم يكن في البيت إلا السيد إيست يرعى الطفل. كان رجلًا طيبًا ولا يمانع في منح الأطفال پنسًا. لذا أنزل جريدته وخرج يبحث عن پنس في جيب سترته. كان الطفل

في المهد يلعب بأصابع قدميه. تذكر پيتر ما قالته السيدة ملعقة عن وضع الطفل في مهده، وحين رأى الجرس الصغير الفضي في المهد قُربَ الصغير أخذه في الحال ودسه في جيبه. عاد السيد إيست وأعطاه پنسًا. فشكره پيتر بأدب وخرج إلى الآخرين.

«أرجو أني جلبت الغرض الصحيح هذه المرة!» قال پيتر مجلجلًا بالجرس وهو يخرجه من جيبه.

«أوه يا لك من ولد سخيف!»، قالت السيدة ملعقة. «كيف ظننته مشبكي؟ إنه جرس جلجلة الطفل الذي أهديته إياه هدية التعميد!».

بدا الخجل على وجه پيتر: «حسن، إنني لا أعرف على وجه الحق ما المشبك، كما ترين!».

«ولماذا لم تخبرني من قبل؟»، بدأت السيدة ملعقة تغضب. «على المحقق أن يعرف ما يبحث عنه!».

«أنا أعرف المشبك»، قالت بتي، «له دبوس يدخل في إبزيم وتضعه المرأة على وشاحها».

«صحيح»، قالت السيدة ملعقة التي تحاول جاهدة التفكير في مكان آخر للبحث. «تذكرت. لقد وضعته قطعًا في حفلة ترقية مول وست. وكانت السماء تمطر مطرًا غزيرًا ذلك اليوم فأخذت مظلتي، أجزم أنه وقع في حامل المظلات في مزرعة وست. هلموا يا صغار، سنعود إلى البيت إن لم يكن هناك، أعدكم بذلك».

فاستداروا وساروا في درب ضيق حتى وصلوا إلى مزرعة وست. قرع پيتر الباب، كالمرات السابقة، لكنه لم يلقَ جوابًا هذه المرة، فجرَّب فتح مقبض الباب فانفتح. هناك في الداخل كان حامل المظلات الذي وصفته له السيدة ملعقة، فأضاء مصباحه اليدوي بسرعة في قعره، وأيها الرب الرحيم! وجد دبوسًا صغيرًا عليه ما يشبه الحرف «م»! لا بد أنه هو، قال پيتر ومد يده لتناوله. ثم خرج إلى الآخرين، آملًا أن أحدًا لم يسمعه.

كانوا يختبئون خلف السقيفة هذه المرة وتأكد پيتر أنه بعيد عن أنظار أهل البيت قبل أن يفتح يده، ثم قال: «هاك، لقد جلبته!».

«أرنيه»، قالت السيدة ملعقة، وأوشكت على البكاء: «هذا ليس مشبكي، هذا دبوس لربطة العنق!».

«لكن عليه حرف «م» فظننت أنه «ملعقة»!»، تلعثم پيتر.

«لم أُعمَّد باسم «ملعقة»، ألا تعلم؟ لقد تزوجته! إن حرف «م» من أجل مول الذي نال الترقية ذلك اليوم، يا إلهي، يا لإهمال الجميع لأغراضهم!».

لم يكن من الأمر مناص، كان عليهم التوقف والعودة. وما أثار قلق السيدة ملعقة هو إعادتها كلَّ هذه الأشياء إلى أصحابها الحقيقيين، لكن الذكاء لم يحالفها هذه المرة.

كان الأطفال الثلاثة متعبين يمشون ببطء على الدرب، وبتي تحمل السيدة ملعقة حين سمعوا وقع أقدام تركض قادمة ناحيتهم.

«إنهم يلاحقوننا!»، قالت السيدة ملعقة، «اهربوا يا صغار!».

كاد الصغار أن يقعوا بعضهم على بعض لشدة خوفهم، وأُلقيت السيدة ملعقة في قناة ري في الحقل.

اقترب وقع الأقدام أكثر. «أمسكوا باللص!»، صاح أحدهم. كانت نيلي نورث. «إني أراهم!».

«ها هو الصبي!»، قالت سالي ساوث التي تلحقها.

وكان السيد إيست يتهادى خلفهما مع السيدة وست السمينة. «هيا يا ولد»، صاح، «عليك أن تستسلم!».

أخذ الأولاد يبكون وتعثر بوبي الصغير بحجر ووقع.

عندئذ انطلق في الهواء صوت صغير لكنه آمر. «ارفعوا أيديكم وإلا أطلقت النار!»، صاح. بدا أنه قادم من لا مكان ووقف الجميع متجمدين. ثم نطق ثانية: «هذه الشرطة السرية تنادي التالية أسماؤهم: السيدة نورث، والسيدة ساوث، والسيد إيست والسيدة وست. استعدوا من فضلكم! أتسمعوني؟».

كانوا كلهم ذاهلين لدى سماع أسمائهم، ثم أجابوا بخنوع: «أجل».

«حسن»، تابع الصوت. «لينتظر كل منكم مفاجأة في صندوق الرسائل غدًا صباحًا، شرط أن تعودوا إلى البيت في الحال وتتركوا الأطفال وشأنهم!».

توقف الصغار عن الركض، وراقبوا في دهشة، إذ استدار الجميع واحدًا تلو الآخر؛ نيلي نورث، وسارا ساوث، والسيد إيست والسيدة وست السمينة، وذهبوا دون أن يلتفت أحد إلى الوراء.

«أف!»، قال صوت بجانب الأطفال. وهنالك وقفت السيدة ملعقة في حجمها المعتاد. كانت تحمل في يدها ورقة حمَّيضة وقد لفتها على هيئة مخروط كبير.

«ما هذا الشيء؟» سأل بوبي الصغير الذي أنهض نفسه وفرح لرؤية صديقته السيدة ملعقة ثانية.

«يحمل رجال الشرطة السرية مكبرًا للصوت دومًا!»، أجابته مبتسمة للصغار، ثم عادوا إلى بيتها وشربوا الكاكاو الساخن وتناولوا الفطائر المحلاة اللذيذة.

***

نظرت نيلي نورث في صندوق الرسائل الصباح التالي فوجدت الخاتم الفضي الذي أضاعته، ووجدت سالي ساوث مداليتها الفضية، ووجد السيد إيست الجرس الفضي لجلجلة الطفل ووجدت السيدة وست ربطة عنق ابنها. وأصابتهم الدهشة كلهم.

لكن الأكثر دهشة كانت السيدة ملعقة. فحين فتحت صندوق رسائلها وجدت رزمة صغيرة وبداخلها كان المشبك، كما وجدت رسالة من بيتر:

عزيزتي السيدة ملعقة

بعد الإلماحة التي حصلنا عليها منكِ البارحة، استطاع محققوك حل اللغز. لقد وضعنا دلو البطاطا في حقلك. شكرًا لكِ.

المخلص لك

المحقق الرقيب پ. غري.

«صحيح!»، قالت السيدة ملعقة لنفسها، «كنت أضع المشبك في ليلة قدوم لصوص البطاطا، ولا بد أني أوقعته في الدلو!».

(٤١)

سباق التزلج

فعلت السيدة ملعقة أمورًا كثيرة في حياتها، وقد أخبرتُكم بمعظمها. لكن عليَّ الآن أن أقص عليكم حكاية ذهابها إلى سباق التزلج الشتاء الماضي.

* * *

عزم السيد ملعقة على المشاركة في سباق التزلج المحلي، إذ كان متزلجًا بارعًا في شبابه، فقال للسيدة ملعقة:

«لا أدري لماذا لا أشارك هذا العام، أشعر أن لياقتي أحسن مما كانت قبل سنوات مضت».

«هذا صحيح يا زوجي، فشارِك»، قالت السيدة ملعقة، «وإن فزتَ بالكأس صنعتُ لك كيكة الزنجبيل المفضلة عندك حين عودتك».

فسجل السيد ملعقة اسمه، وفي يوم السباق لبس معطفه الأبيض ذا القلنسوة واعتمر قبعة زرقاء لها شرَّابة في الأعلى وخيطان

ينعقدان تحت الذقن. وألقى بزلاجتيه على كتفيه وقال إنه سيلمعهما بالشمع عند خط البداية.

«تمام! حظًّا سعيدًا!»، قالت السيدة ملعقة. كانت تدهن صحن الكيكة وتعد الفرن للخبز.

«شكرًا يا زوجتي»، قال السيد ملعقة وذهب. ولم يكد ينعطف إلى الزاوية حتى رأت السيدة ملعقة علبة الشمع وقد تركها على الصوان.

«يا له من رجل أحمق!»، قالت السيدة ملعقة. «عليَّ اللحاق به، وإلا عادت زلاجتاه الغاليتان إلى الوراء بدلًا من المضي قُدمًا ولن يكون في هذا البيت كأس اليوم».

لفَّت السيدة ملعقة وشاحها على كتفيها وسارت على الدرب بأقصى سرعتها حاملة علبة الشمع. ولدى اقترابها من نقطة البداية رأت حشدًا كبيرًا. فحاولت التملص منه والعثور على زوجها، غير أن الجميع كانوا يلبسون معاطفَ بيضاء ذات قلنسوات ويعتمرون قبعات زرقًا. رأت أخيرًا زلاجتين مثبتتين في الثلج وقبعة زرقاء معلقة أعلاهما. ورأت الأحرف الأولى من اسمه «پ. م». مخيطة بخيط أحمر في الداخل.

«لا بد أن هذه قبعته»، قالت السيدة ملعقة. «هذه أحرف اسمه «پيتر ملعقة. خطتها بنفسي بخيط أحمر كهذا. سأضع علبة الشمع في القبعة ليجدها حين يأتي لأخذ زلاجتيه».

وانحنت إلى الأمام لتضع علبة الشمع في القبعة لكنها أوقعتها عن الزلاجة بطريق الخطأ وانكمشت في تلك اللحظة بسرعة ووقعت في القبعة، أما علبة الشمع فقد تدحرجت على الثلج!

«لا بأس»، قالت السيدة ملعقة، «سيجدني في قبعته حين يعود، ثم بوسعه وضعي في مكان ما بعيدًا عن السباق. وحالما أعود إلى حجمي أرجع إلى البيت».

لكن يدًا كبيرة امتدت وانتزعت القبعة وحشرتها على كتلة من الشعر الكثيف. عقد الخيطان بإحكام فعلِقت السيدة ملعقة!

«أوه يا سلام!»، قالت السيدة ملعقة، «يحسن بي ألا أقول شيئًا قبل بدء السباق»، لأنها عرفت أن السيد ملعقة يكره الظن أن أحدًا يعرف بأمر انكماشها.

«رقم ٤٦!»، سمعت حَكَم البداية يهتف. «قف مكانك واستعد، انطلق!».

وانطلق رقم ٤٦ والسيدة ملعقة في قبعته، في بداية سلسة.

«لا بد أن أحدًا أعاره شمعًا»، قالت، «فلا شيء يسوء زلاجتيه». ثم صرخت من تحت القبعة: «لا تسرع الآن، وإلا انقطعت أنفاسك عند دفعة النهاية!».

أحست أن المتزلج أبطأ قليلًا. «أظنك تعرف من تحت قبعتك؟»، أردفت. «لقد نسيت علبة الشمع فجلبتها لك. لكني وقعت في قبعتك بدلًا من العلبة».

شعرت السيدة ملعقة أن رأس المتزلج استدار ليرى إن كان أحد يكلمه من خلفه.

«إنها أنا أيها الأحمق!»، قالت السيدة ملعقة. «لقد انكمشت ثانية. عليك أن تخرجني عند الدرب المؤدي إلى بيتنا، ستمر به، أتتذكر؟».

لكن المتزلج توقف تمامًا.

«هيا يا رجل، تحرك!»، صاحت السيدة ملعقة. «سيسبقونك!».

«أحقًا... أحقًّا أنتِ تلك العجوز الصغيرة التي تنكمش إلى حجم ملعقة الشاي؟».

«طبعًا وأنتَ تعرف ذلك!»، ضحكت السيدة ملعقة.

«أأنا زوجك؟ أزوجتي تنكمش؟».

«أجل، أجل ولكن أسرع الآن!».

«كلا!»، قال المتزلج، «إذا كان الأمر كذلك فلن أشارك في السباق!».

«هراء!»، صاحت السيدة ملعقة. «عليك المتابعة! وضعت كيكة في الفرن قبل خروجي، وإن احترقت فالذنب ذنبك!».

لكن المتزلج لم يتزحزح.

«ربما تود أن أخرج من قبعتك وأظهر نفسي للجميع؟ سأعود إلى حجمي المعتاد في أية لحظة وستنفجر القبعة وسيرى الجمع كله

من زوج المرأة التي تنكمش. هيا الآن! ستنجح بذلك بقليل من الحظ، ولكن لا وقت للخسارة، مرحى!».

فنجح هذا، إذ انطلق المتزلج بسرعة قصوى متمكنًا من أن يخطو خطوات واسعة بمساعدة عصويه. «إلى الأمام!»، صاح حين أسرع متجاوزًا المتزلجين الآخرين. حين وصلا إلى كشك المرطبات شمت السيدة ملعقة رائحة الحساء الساخن الشهية، ورأت أن زوجها يستحق راحة. «نحن متقدمان، فيمكنك أن ترتاح قليلًا»، قالت له.

أبطأ المتزلج ليتوقف وسمعت السيدة ملعقة أصوات ناس كثيرين يقفون حوله. قالوا له: «أحسنت صنعًا! إنك متقدم، ولكن ما الذي يثير قلقك هكذا؟ لست خائفًا من قطع المسافة الأخيرة، صحيح؟».

«كلا كلا، لا شيء من هذا القبيل!»، قال المتزلج. «إنها قبعتي، إني خائف جدًّا من قبعتي!».

لكن الناس ربتوا على ظهره وقالوا له ألَّا يقلق فلديه فرصة كبيرة في الفوز.

من تحت القبعة شعرت السيدة ملعقة بالاستياء ثانية فقالت: «هذا يكفي! علينا المواصلة الآن!».

سمع الناس الواقفون بالقرب الصوت وتساءلوا من المتكلم. قالت المرأة التي غرفت الحساء: «ربما مكبر الصوت».

ولم تمنع السيدة ملعقة نفسها من الضحك فقالت في نفسها: «اقتربتِ من الحقيقة أكثر مما تظنين!» ثم نادت ثانية: «هيا يا زوجي، انطلق ولنرَ إن كنا سننجح!».

انطلقت الزلاجتان ثانية، قافزتين عدة ياردات كلما غاصت العصوان في الثلج. سمعت السيدة ملعقة صوت التصفيق والهتاف.

«ماذا نفعل الآن؟»، سأل المتزلج بصوت بائس. «أيمكنكِ الاحتمال لدقيقة أخرى ثم سأرمي القبعة تحت أشجار التنوب قبل الوصول إلى خط النهاية».

«أجل، سيكون هذا جيدًا»، قالت السيدة ملعقة. وأسرعت الزلاجتان تنزلان المنحدر الأخير، وحُل الخيطان وطارت القبعة في الهواء وحطت بأمان تحت أشجار التنوب.

تدحرجت السيدة ملعقة وتدحرجت مرات عديدة فوجدت أنها عادت إلى حجمها. نهضت ونفضت الثلج عن تنورتها وسارت بهدوء إلى البيت. كانت واثقة لدى سماعها صوت الهتاف في البعيد بأن زوجها قد فاز بالكأس.

احترقت الكيكة قليلًا من الأعلى، فقطعت الجزء الأسود وأطعمته للقطة. ثم خفقت بعض الكريمة وزينت بها الكيكة وأعدت إبريقًا من القهوة يتصاعد منه البخار ليكون جاهزًا لدى وصول زوجها البطل.

عاد السيد ملعقة إلى البيت دون كأس طبعًا، وقال: «نسيتُ

أخذ علبة الشمع لذا لم أظن الأمر يستحق عناء المشاركة في السباق. لكني شاهدته، وكان عليكِ أن تري پول ميترسن اليوم، لم أره يجري هكذا طوال حياتي. كما أنه بدا غريب الأطوار حقًّا كأنما رأى شبحًا أو ما شابه. ولمَّا انتهى السباق ظل يتحدث عن زوجته وقبعته، ولم يرتحْ حتى هاتف بيته وتأكد أن زوجته كانت هناك كل الوقت تشاهد السباق في التلفاز».

ثم أخذت السيدة ملعقة تضحك. ومنذئذ، كلما خامرها شعور بالحزن أو لم تمضِ أمورها على ما يرام، تذكرت اليوم الذي فازت فيه بالسباق بالقبعة الخطأ، ثم ضحكت وضحكت وضحكت.

النهاية

مكتبة
t.me/soramnqraa

ومن منّا لا يعرف السيدة ملعقة؟ تلك العجوز القصيرة من المسلسل الكرتوني الذي أنتجته شركة پيرو اليابانية عام ١٩٨٣. غير أن المسلسل مقتبس من سلسلة ألّفها الكاتب النرويجي آلف پْرويْسن عام ١٩٥٦، ونُشرت ترجمتها الإنجليزية - من بين ثلاث وعشرين لغةٍ أخرى - بعد ذلك بثلاث سنوات.

أضحت السيدة ملعقة شخصيةً بارزةً في التراث النرويجي، كما في اللغات التي تُرجمت إليها، ولها تمثال نُصّب في بلدة هامار شرقي النرويج، صنعه النّحات فرتز رود من البرونز عام ١٩٧٣.

تتمتع السيدة ملعقة بجاذبية فذة، رغم بساطة حكاياتها، إذ تتيح لها قدرتها على الانكماش "في أشد اللحظات حرجًا" أن ترى ما لا يراه الآخرون، بمعنى أنها تصبحُ قادرةً على رؤية العالم من الأسفل، ما يمرّ به الراشدون كل يوم ولا يكترثون له، فتتعاطف في انكماشها مع الصغير والضعيف من الأطفال والحيوانات.

في هذه الحكايات سنتخطى الحدود التي تفصل بين عالم البشر وعالم الحيوان، والحدود التي تفصل بين الطبيعة والثقافة. وتقول السيدة ملعقة إن من يعبر البوابة، يدخل الغابة السحرية. لذا فإنك، عزيزي القارئ، مدعو لعبور البوابة والدخول إلى عالم السيدة ملعقة الساحر لتتمكن من رؤية ما تراه هذه السيدة العجيبة، ففيمَ وقوفك؟

telegram @soramnqraa

المترجمة

حكايات
السيدة ملعقة

آلف پرويْسن

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING
9 789921 775259
www.takweenkw.com | takween.publishing@gmail.com